الدبلوماسي

عدد متميز

السنة السابعة والعشرون - العدد 268 - 269
يونية- يوليو 2018 الثمن 10 جنيهات

بدء الولاية الثانية للرئيس السيسى

medmark
insurance brokerage

Shape your own insurance solution

Whether it's your family or your employees you seek to protect, choosing the right formula of insurance solutions is key to getting the result you're after. Medmark has done the hard work for you & offers you unbiased advice on a selection of the most reputable international and local medical & life insurance brands. What's more, our Stronger Together philosophy means we'll be with you every step of the way to ensure you get the value and service quality you need. Call us now for a professional insurance consultation and proposal comparison.

stronger together

شركة ميدمارك شركة وساطة تأمينية مسجلة برقم ٢٦ بسجلات الهيئة العامة للرقابة المالية وخاضعة لاحكام القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٨١ و تعديلاته.

19247
www.medmark.eg

مجلة شهرية منوعة تصدر منذ مارس ١٩٩٢ عن

النادى الدبلوماسى المصرى

رئيسة مجلس إدارة النادى الدبلوماسى بالانابة
سفيرة منى عمر

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسى
سفير سعد الفرارجى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

نواب رئيس التحرير

سفير عبد الفتاح عز الدين
سفير هشام الزميتى
سفير رضا الطايفى

مساعدا رئيس التحرير

سكرتير أول فاطمة صابر
سكرتير ثان مينا باسيلى

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس +202 27735457

www.diplomategypt.com
facebook.com/diplomat.magazine.egypt
diplomatmagazine92@gmail.com

يونيـة - يوليو 2018

بدء الولاية الثانية للرئيس السيسى .... بقلم السفير سعد الفرارجى 4
الحقيبـــة الدبلوماسيـــة 7

شئـون عربيـــة

إلا القـــدس ..... سفير سيد أبوزيد عمر 12
مرحلة ما بعد القرارات الأمريكية حول القدس ... لواء محمد إبراهيم 15
ترامب والأمن القومى والعربى - الشرق أوسطى.....سفير د. صلاح حليمة 18
تحديات ما بعد قمة الظهران..... د. أحمد سيد أحمد 20
جواتيمالا ونقل سفارتها إلى القدس ... سفير د. هادى التونسى 22
قدسنـــا ..... سفير د. محمود سليمان 23
الضربة الثلاثية الغربية فى سوريا ..... سفير د. عزت سعد 24
الانتخابات التركية وعفرين المحتلة ..... محسن عوض الله 27
روسيا وإيران وتركيا ومستقبل التسوية السورية ..... منى سليمان 30
إسقاط الدول والأنظمة..... سفير أسامة توفيق بدر 32

افريقيـــا

رؤية مصر لأفريقيا ..... سفير أشرف حربى 33
حقائق جديدة حول مذابح رواندا ..... منى الدالى 34
المحيط الهندى والقرن الأفريقى فى الاستراتيجية الدولية..... سفير د. عادل السالوسى 36
دقوا الطبول واطردوا المخاوف واطلبوا السلام . سفير د. عبير بسيونى 40

آسيـــا

أردوغان والانتخابات التركية المبكرة..... أ. د. هدى ميتكيس 42
السياسة والاقتصاد بين واشنطن وبكين .. سفير د. محمد نعمان جلال 46
القمة الكورية الثالثة ..... سفير رضا الطايفى 47
بوادر تقارب كوري شمالي مع الولايات المتحدة... سفير رخا أحمد حسن 50
أين العرب من منتدى بوآو / دافوس آسيا؟ .... د. أحمد خميس 52
حول الخلاف التجارى الامريكى الصينى...تشن شياو وجوان تشاويو 54

أوروبـــا

كأس العالم ساحة للتنافس السياسى الروسى الغربى... أ. د. هشام مراد 56
علاقات ثرية بين مصـــر والمجـــر منذ 90 سنة .... بيتر كويك 59

الدبلوماسى

عدد مزدوج 268 - 269

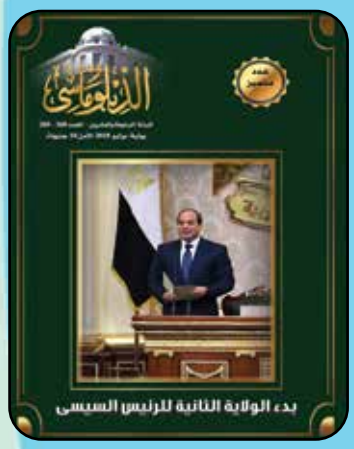

الغلاف للفنان
جمـال عبدالنبـى

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبرعن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة،
والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

توجه المراسلات والمقالات باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان فى المجلة يرجى الاتصال برقم
0100 0722134

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات
السادة أعضاء السلك الدبلوماسى
والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى
المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية

جميع الحقوق محفوظة

اقتصـــاد

الصراع بين النفط التقليدى والصخرى.. أيهما سيبقى؟ أمل عبداللطيف 62
مصر مركز لتوزيع الطاقة ..... سفير جمال الدين البيومى 66

منظمـات دوليـة

الأطفال ضحايا الحروب والصراعات ..... هادية الشربينى 70
معاهدة منع الانتشار النووى ومنطقة الشرق الأوسط ..... سفير د. سامح أبو العينين 73

المعلوماتيـة

سايبرنتك فى الاقتصاد والسياسة والفن ....سفير يسرى القويضى 76
الأمم المتحدة ودعم الاستخدام السلمى للفضاء الإلكترونى ... د. عادل عبدالصادق 78

قـــراءات

الحرب الزئبقية: سوريا والعراق ودوامة الصراع ..... ويليام هاريس 82
السواحل المحترقة: من قلب المعركة من أجل ليبيا الجديدة ... فريدريك ويرى 84

بنـــت النيـــل إعداد نادية الريس

أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين..... 86

تاريخنـــا العظيـــم

لمحات من تاريخ وآثـــار مصـــر الفرعونيـة (5). أ. د. محمد إبراهيم على 88
مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (3) .... سفير محمد عهدى خيرت 92

ثقافـــة وفنـــون

نسائم الزمن الجميل ..... سفير د. محمد حسونة 96
المصريـون لم يتغيـروا فى السينمـــا منذ 70 عام..... محمود قاسم 97
الكتابة العربية والريادة الثقافية..... د. يوسف نوفل 100
صلاح جاهين..... د. أحمد الجويلى 104
علماء الحضارة الإسلامية ..... أ. د. محمد رضا عوض 106
وداعاً ستيفن هوكنج..... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى 108
سألت الرئيس ..... د. وليد عوف 110
الإنسان والتعود..... سفير د. فتحى مرعى 111
دبلوماسية كرة القدم.....سفير د. وليد محمود عبدالناصر 112
فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان 114
مدريد.. نار الله الموقدة .....شريفة محمـد التابعى 116

الولاية الثانية للرئيس عبدالفتاح السيسى:

آفـــاق وتـطلعـات

مع صباح يوم نستبشـــر به خيراً، الثانى من يونيو 2018، بدأت الولاية الثانية للرئيس عبدالفتاح السيســـى، يوم نستبشر به خيراً قياساً على ما كنّا عليه من قبل وأصبحنا فيه اليوم، فقد تولى رئاسة جمهورية مصر العربية منذ أربع سنوات مضت، فترة بدأت مليئة بتطوراتها مشحونة بأحداثها، إرهاب يضرب فى جنبات الوطن بلا هوادة، يريد أمراً واحداً الإجهاز على الدولة الوطنية وإفقار شعبها وتفكيك أوصالها وإشاعة الفوضى بين ربوعها وطمس هويتها، واتفق فى هذا مع خطـــط وأطماع قوى خارجية، تريد لمصر نمطاً من الحياة السياسية يفرض عليها الوهن والتخلف والتبعية.

بقلم السفير

سعد الفرارجى

رئيس التحرير

وبدأت مسيرة وطنية تصدرها الشعب وسانده فيها القوات المسلحة والشرطة، مسيرة جادة تطارد الشر وأعوانه لتقيم دعائم نظام سياسى قويم يستند إلى دستور يضمن الحقوق ويعلى الواجبات، وخطة تنمية وإصلاح هدفها النهوض بالإنسان المصرى واستعادة المكانة الدولية لمصر بعد أن زاغت بسبب تحالفات ومصالح مريبة مع بعض الأوساط والدول، عمدت إلى بث صورة مغلوطة عن مصر وحقيقة ما يدور فيها.

تلك الجهود وتلك المســـــيرة لم تستدع فحسب التصدى للتهديدات التى يمثلها خطر الإرهاب، وما يترتب عليه من تضحيات بشرية ومادية ومعنوية ولكنها شـــــملت أيضاً بناء وتقوية مؤسسات الدولة والتحرك خارجياً لاستعادة الدور المصرى، والاستفادة فى ذات الوقت من هذا الدور لتعظيم المردود على الدولة المصرية، كما كان من المحتم أن يقترن بكل ذلك استكمال تنفيذ الخطط اللازمة لوضع البلاد على مسار اقتصادى سليم، وهو ما بدأ بالفعل خلال الفترة الرئاسية الأولى بإعداد خطة تنمية تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية، وبرنامج إصـــــــلاح اقتصادى حظى بالتأييد والقبول من المنظمات الدولية والمجتمع المالى الأجنبى.

ووسط تحديات الداخل وتطلعات شعب مصر، وفى خضم تيارات دولية متلاطمة وسيولة فى النظام الدولى، شرعت الرئاسة المصرية فى التحرك على محاور متعددة شملت الجوار العربى والأفريقى والبحر المتوسط فى ضفته الشمالية وأوروبا وآسيا ومن الدول الكبرى الصين وروسيا والولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا.

على الصعيد العربى تم تجديد الروابط وتوثيق العلاقات مع دول الخليج، كما دعمت القيادة المصرية العمل العربى المشترك والمواقف العربية، وكلنا يذكر عبارة أطلقها الرئيس «مسافة السكة» وما تعنيه من بناء نظام أمن عربى مكتمل الأركان، فى كلمتين من التراث المصرى جمع كل مكونات ومقومات نموذج نظام دفاع مشترك من إعداد مسبق وتجهيز وتحرك على أهبة الاستعداد، ولاشك أنها وصلت إلى آذان الجميع.

وفى القضية الفلسطينية تكرست الاتصالات المصرية لرأب الصدع بين الفصائل الفلسطينية وتجميع الدعم الدولى لإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، كما عملت على توظيف العلاقات الإستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة واتفاقية

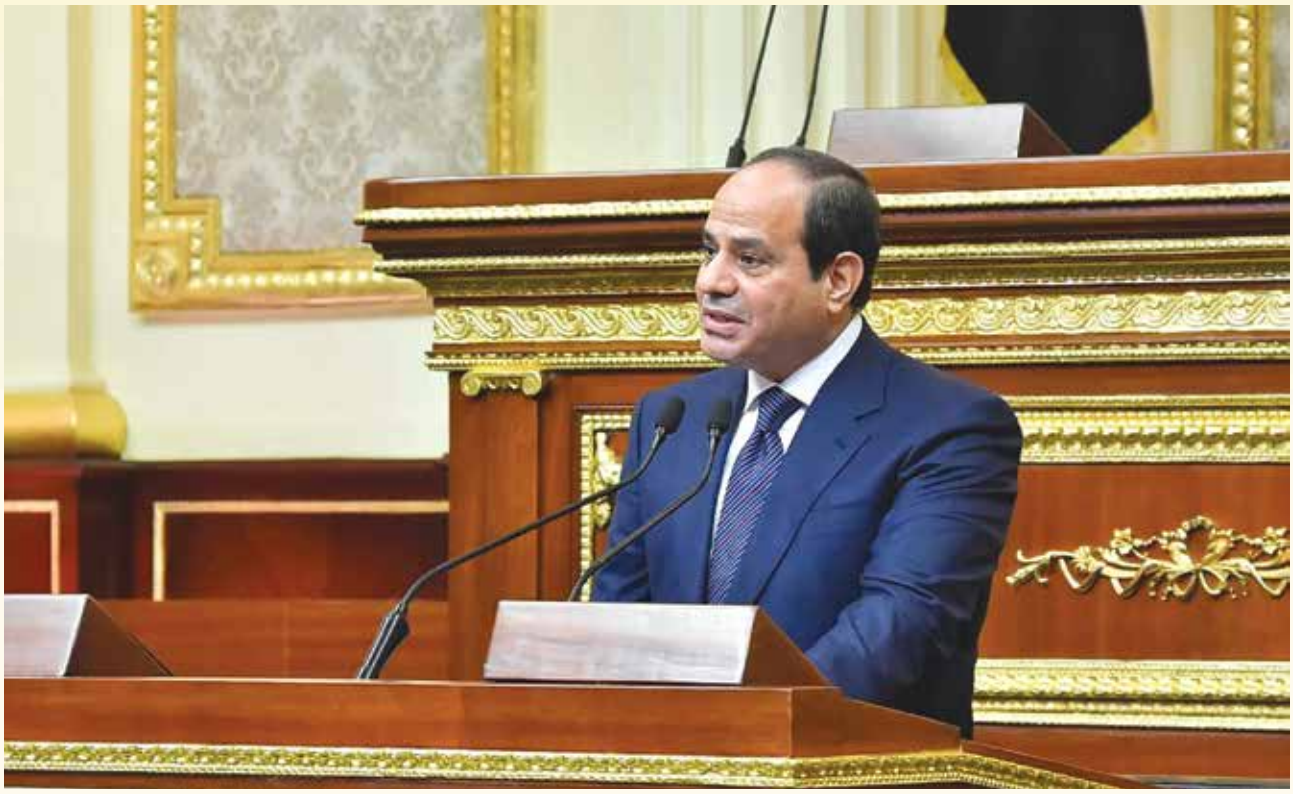

السلام مع إسرائيل لتعزيز السعى لصالح القضية الفلسطينية، فضلاً عن الدور الذى تقوم به فى الأمم المتحدة وكافة المحافل والمؤتمرات والمنظمات الدولية.

كما يسجل للرئاسة المصرية سلسلة الزيارات والاتصالات التى شملت دول البحر المتوسط الأوروبية وما تبعها من اتفاقات وترتيبات تصب فى صالح الاقتصاد المصرى وتدعم الأمن المصرى، وليس من قبيل المبالغة القول بأنه يمكن إضافة دائرة جديدة إلى الدوائر التى تعارفنا عليها من عربية وأفريقية وإسلامية وعدم انحياز، الدائرة المتوسطية بحكم شبكة المصالح والشراكات التى نتجت عن سلسلة الزيارات الرئاسية.

كما نعلم أيضاً المردود الاقتصادى والفنى والعسكرى الذى يصب فى مصلحة مصر بما فى ذلك إنشاء المفاعلات النووية الذى نجم عن الزيارات الرئاسية المتبادلة بين مصر والصين وروسيا.

أما عن أفريقيا فهى حالة جديرة بالتأمل فمصر التى حاربت من أجل تحرير أفريقيا وناهضت قوى الاستعمار فيها وكانت نعم السند والظهر بعد الاستقلال وفى تشييد منظمة الوحدة الأفريقية ودعم التنمية للقارة، تقصى عن بيتها ومنظمتها وأقرانها نتيجة قراءة مدسوسة عن أحداث مصر، وما هى إلا بضعة أشهر حتى أصلح قادة أفريقيا المعوج وعادت مصر عزيزة منيعة إلى مقعدها فى الاتحاد الأفريقى فى قمة مالابو، والآن يختارون الرئيس السيسى لكى يكون رئيساً للاتحاد الأفريقى عام 2019 ، تقديراً للمنزلة والمكانة واعترافاً بما قدمته مصر، وتأتى هذه الرئاسة فى وقت تموج فيه أفريقيا بالتفاعلات والأزمات التى يثيرها الإرهاب فى بعض المواقع وشحن الخلافات الإثنية والعصبية والقبلية، كما يتزامن مع ذلك مشروع أفريقيا 2063 والذى يحتاج إلى دفعات كبيرة لبلوغ التكامل والنمو المستدام فى القارة الأفريقية.

والحديث عن أفريقيا يدفعنا إلى تناول علاقات مصر مع دول حوض النيل وسد النهضة، وهنا نرى موقفاً واضحاً تجلى فى اتصالات وزيارات عديدة للرئيس بما فيها الذهاب إلى البرلمان الأثيوبى لا ضرر ولا ضرار، وبقدر حرصنا على شعب أثيوبيا حرصنا على حقوق مصر والتزامنا بالأصول والضوابط التاريخية والقانونية والفنية دون تحيز أو تجاوز، التنمية حق للجميع والمياه حق لمصر.

لقد حرص الرئيس السيسى على مخاطبة الجمعية العامة للأمم المتحدة فى كل دورة وهو تقليد محمود ومساهمة تتيح التعبير عن رأى مصر ومواقفها من القضايا الدولية، وكذلك التواصل مع العديد من القادة والرؤساء، ولهذا مردوده كما أنه بدا ضرورياً للتصدى لحملات التشويه ومحاولات النيل من مصر وشعبها، ومكملاً للقاءاته الثنائية والتى شملت لقاءات مع المرشحين للرئاسة الأمريكية، وكانت بداية تواصل مع الرئيس الأمريكى ـ المرشح آنذاك ـ قدمت لدعوته الرئيس المصرى لزيارة واشنطن، مناسبة أعطت الفرصة لشرح وجهة النظر المصرية فى العلاقات الثنائية والإقليمية والدولية، وأوجه الاتفاق والتباين فى ظل العلاقات الإستراتيجية بين مصر والولايات المتحدة.

وفى الحديث عن التنمية الشاملة وبرنامج الإصلاح الاقتصادى فى مصر

الولاية الثانية للرئيس السيسى

لابد أن ندرك أنها عملية ممتدة ليست مقيدة زمنياً للانتقال من الوضع القائم فى البداية إلى وضع آخر أفضل كماً ونوعاً، كما أن اقتفاء مسار خطة التنمية لا يقتصر على الإصلاح أو الإنقاذ بل إن هدفه يتخطى مجرد الطفو إلى تحرى الوصول عبر ذلك المسار إلى تحقيق تنمية حقيقية مستدامة طبقاً لبرنامج مدروس يشـــــمل أبعاداً اقتصادية واجتماعية وبيئية وإنسانية تعد إطاراً شاملاً لمواجهة التحديات ومعالجة المشكلات التى تواجه مصر.

وإن كانت جوانب التنمية عديدة وعناصرها كثيرة إلا أن هناك نقاط اهتمام وتمركز تعكس رغبة الدولة فى الإسراع بالخطى على مسارات تمثل معجلات لتحقيق التنمية، وقد ظهر الاختيار والأفضلية كما أوضحها الرئيس السيسى فى خطابه إزاء تراجع المؤشرات للمشروعات العملاقة وأولوية قطاعات الصحة والتعليم والثقافة، وإعطاء للبعـــــد الاجتماعى حقه من الرعاية والإنفاق وتشييد شبكة حماية اجتماعية والاهتمام بالمرأة والشباب، لكى يكمل الارتقاء بالإنسان المصرى.

إن قضيـــــة التنمية والإصلاح الاقتصادى تمتد من الفترة الرئاسية الأولى التى شهدت مرحلة عصيبة وامتلأت تحديات لها طبيعتها الخاصة، إلى فترة الولاية الثانية لتصبح برنامجاً له الأولوية الرئيســـــية خلالها، وما خطوات الإصلاح الاقتصادى التى بدأت خلال العامين الأخيرين إلا مرحلة من مراحل برنامج متكامل لا يمكن جنى ثماره إلا بعد أن يكتمل نضجها، الأمر الذى يتطلب استكمال مسار الإصلاح حتى منتهاه، دون السماح للأعياء أو الإرهاق أن ينال من عزيمتنا أو يصرفنا عن مسار الإصلاح.

إن العدّاء فى مضمار السباق رغم الإرهاق ليس أمامه سوى أن يستمر حتى يصل إلى نهاية الشوط ويحقق النصر أو يستسلم للإرهاق والإعياء ولا يحصد سوى الخسارة.

وعند الحديث عن مسار الإصلاح فإنه لا يوجد فى فراغ وبالتالى تظل الحاجة إلى اليقظة والحذر أكثر إلحاحاً لدرء محـــــاولات الإرهاب والترهيب لإحباط جهود استكمال مسار التنمية، ولقطع الطريق على محاولات المساس بمكتسبات الاستقرار، وهو الأمر اللازم لديمومة وتواصل عملية التنمية وتحقيق رفاهية وتقدم الإنسان المصرى.

ولا تنفصل عن مسار التنمية حركة دؤوبة على الصعيد الخارجى، لأن تفاعل مصر مع محيطها والعالم كان دائماً عاملاً يضاعف مقدار قوتها، ولم يكن الانكفاء على الذات أبداً صنوا لمزيد من النمو بمعزل عما يدور فى الجوار القريب أو البعيد، فموقع مصر وقدراتها تسبغ عليها صفة القوة الإقليمية، حتى وإن شهدت عوامل قوتها فيما سبق بعض التراجع، لكنها كانت وستظل فى المحصلة قوة قادرة على التأثير، تملك رؤية ثاقبة للمستقبل، جديرة بأن تقود، وتلك سمات ربما تكون فى مقدمة ما تستدعيه المرحلة التى تمر بها المنطقة العربية، فى ظل ظروف إقليمية ودولية شديدة الأهمية، قد تحمل فى طياتها تغيرات تطال حاضر ومستقبل المنطقة والشرق الأوسط.

مصر وإن كانت فى المرحلة القادمة ستواصل التطلع إلى استكمال برامج الإصلاح وتحقيق خطط التنمية، إلا أنها ستواصل تفاعلها مع المسائل الدولية والمشكلات الإقليمية من خلال سياسة خارجية فعالة نشطة منفتحة وفوق كل هذا متوازنة تدرك قدر المسئولية التى تتحملها إزاء محيطها مع تحقيق الحد الأقصى من المصالح القومية.

مصر تلفظ العنف والإرهاب والفكر المتطرف وتدعو للتسامح وقبول الآخر، مصر الأزهر منبر وسطية الإسلام، والكنيســـــة العريقة رمز التسامح والسلام، مصر تحرص على تنمية سياسية حقيقية، مصر تستكمل مسيرة البناء والتنمية.

تهنئة خاصة وتمنيات بالتوفيق والنجاح من أسرة مجلة «الدبلوماسى» للزميلات والزملاء ممن شملتهم حركة الترقيات لعام 2018

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

جامعة الدول العربية

أكد الوزير سامح شكرى، أمام الاجتماع الوزارى لمجلس جامعة الدول العربية إن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية هو أصل الأزمة برمتها، وهو مصدر السلسلة المتعاقبة من المآسى التى يعيشها الشعب الفلسطينى، وانه ليس مقبولا بأى حال من الأحوال لى عنق الحقائق ولوم الضحية، ومحاولة تحوير الانتباه عن أصل المأساة الفلسطينية. الأصل هو الاحتلال، وإنهاء هذا الاحتلال هو الطريق الوحيد لطى هذه الصفحة الحزينة من تاريخ منطقتنا. فالشعب الفلسطينى، هو شعب واقع تحت الاحتلال، وهو يمارس حقه الشرعى والأخلاقى والقانونى فى رفض هذا الاحتلال، والتأكيد على حقوقه فى الحرية والكرامة والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. هذه حقائق ثابتة، لا تسقط بالتقادم، ولا يلغيها أى قرار أحادى، أو ممارسات باطلة تستهدف خلق أمر واقع جديد. وقد عبر جميع القادة العرب، خلال انعقاد «قمة القدس»فى الظهران، عن الرفض القاطع لكل عمل أحادى يحاول إضفاء الشرعية على الاحتلال الإسرئيلى للقدس، بالمخالفة لأحكام القانون الدولى وقرارات الشرعية الدولية، وإن نقل أى سفارة إلى القدس المحتلة سيظل إجراء باطلا، لا محل له فى القانون الدولى، لا ينشئ حقوقا قانونية لقوة الاحتلال، ولا يستطيع بطبيعة الحال أن يسقط حق الشعب الفلسطينى، الأصيل وغير القابل للتصرف، فى أراضيه. وأضاف الوزير شكرى إن أمام اجتماع وزراء الخارجية العرب ثلاث مهام عاجلة وملحة. أولا: التحرك العاجل مع المجتمع الدولى، لوقف ممارسات الاحتلال ضد المتظاهرين العزل، والبدء فى تحقيق دولى نزيه وشفاف حول واقعة استخدام الرصاص الحى ضد هؤلاء المتظاهرين فى الأيام الماضية. وثانيا: التأكيد بشكل حاسم على بطلان أية إجراءات ترمى لخلق وقائع جديدة على الأرض أو إضفاء الشرعية على وجود الاحتلال فى الأراضى المحتلة، وفى القلب منها القدس الشرقية، عاصمة الدولة الفلسطينية، وعدم الاعتراف بهذه الإجراءات أو أية آثار مترتبة عليها. وثالثا: إعادة تحريك المفاوضات السياسية، المبنية على قرارات الشرعية الدولية، ومبدأ الأرض مقابل السلام، والمبادرة العربية للسلام، بغرض إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية، وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. فلقد حان الوقت، لكى تنتهى سبعة عقود مظلمة من عمر المنطقة، وأن نطوى هذه الصفحة المؤلمة من تاريخها، ونبدأ مرحلة جديدة عنوانها السلام الذى لا يمكن أن يتأسس إلا على احترام الحقوق، والوفاء بالتطلعات المشروعة للشعب الفلسطينى فى الاستقلال والعيش بحرية وكرامة وأمن

جنوب السودان

أشار سامح شكرى وزير الخارجية فى كلمة مصر أمام الجلسة الافتتاحية لمجلس التحرير الوطنى التابع للحركة الشعبية لتحرير السودان، والذى انعقد من 3 إلى 5 مايو 2018 فى جوبا، بحضور سيلفا كير رئيس جنوب السودان، ويورى موسيفينى رئيس أوغندا، إلى أن الاجتماع يعكس التزام الدول الضامنة لاتفاق أروشا بتحقيق السلام والاستقرار والرخاء لشعب جنوب السودان، فضلاً عما يعكسه من التزام حكومة جنوب السودان بدعم الاستقرار السياسى والاقتصادى بالبلاد، مشيراً إلى تطلع الجميع لتحقيق آمال الآباء المؤسسين لدولة جنوب السودان فى إنشاء دولة مستقرة ومتقدمة، ومنوهاً إلى أن اجتماع مجلس التحرير الوطنى فرصة لتبادل الآراء حول مختلف الأوضاع فى البلاد وسبل معالجتها. وأوضح وزير الخارجية أن اجتماع مجلس التحرير الوطنى يهدف إلى إيجاد حل متفق عليه للأزمة فى جنوب السودان، وأن رؤية مصر تقوم على ضرورة تسوية الأزمة من خلال المفاوضات، فى إطار الحفاظ على السيادة والتكامل الإقليمى والأمنى لدولة جنوب السودان، معرباً عن إيمان مصر بالسلام العادل الذى يستوفى حقوق كافة الأطراف، وهو الأمر الذى لن يتحقق إلا من خلال تطبيق حكم القانون وتحقيق التنمية والرخاء فى كافة أنحاء البلاد. وأشاد الوزير شكرى بالعلاقات التاريخية فى كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فضلاً عن التنسيق المشترك على المستوى الثنائى والإقليمى والدولى، فى إطار العلاقات الوطيدة بين الجانبين التى تمتد إلى ما قبل استقلال جنوب السودان، مؤكداً أن مصر سوف تستمر فى مساعيها لدعم الأشقاء فى جنوب السودان من أجل تحقيق السلام، معرباً عن أمله فى أن تسهم مناقشات المجلس فى التوصل لاتفاق يضم كافة الأطراف فى جنوب السودان، فضلاً عن نجاح لجنة الحوار الوطنى فى مساعيها لتحقيق التوافق الداخلى، ومشدداً على دعم مصر لحل أزمة جنوب السودان فى الإطار الوطنى بالأساس مع توفير الدعم الإقليمى والدولى.

منظمة التعاون الإسلامى

أكد الوزير سامح شكرى أمام القمة الاستثنائية لمنظمة التعاون الإسلامى أن على المجتمع الدولى مسئولية واضحة لحماية الشعب الفلسطينى، وتمكينه من استعادة حقوقه المسلوبة، والعمل على إنهاء واقع الاحتلال، والمحافظة بشكل خاص على وضع القدس الشرقية القانونى، بوصفها أرضاً خاضعة للاحتلال، ولا شرعية لأى إجراءات يقوم بها هذا الاحتلال لفرض سلطة الأمر الواقع عليها. فلقد سبق للقمة الإسلامية الاستثنائية التى انعقدت فى 13 ديسمبر 2017 أن أكدت بوضوح رفض جميع الدول الإسلامية لأى إجراء أحادى يحاول المساس بالوضعية القانونية للقدس أو إضفاء الشرعية على واقع الاحتلال. وأضاف شكرى أن حق الشعب الفلسطينى فى أرضه، ودولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، هو حق ثابت وأصيل، لا يسقط بالتقادم، ولا يؤثر عليه قرار أحادى أو ممارسة باطلة تستهدف خلق أمر واقع جديد. فمثل هذه الممارسات كانت وستظل باطلة، لا شرعية لها فى القانون الدولى، غير قادرة على أن تنشئ حقوقاً لقوة الاحتلال، أو أن تسقط الحقوق التاريخية والثابتة وغير القابلة للتصرف للشعب الفلسطينى. فهذا ليس فقط رأى الدول الأعضاء فى هذه المنظمة، وإنما رأى الغالبية الساحقة من دول العالم، كما يشهد على ذلك قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، الذى شاركت مصر فى إعداده، وأقر بأكثرية 128 دولة فى شهر ديسمبر 2017 وأن سقوط أكثر من 60 شهيداً من أبناء الشعب الفلسطينى فى الأيام الماضية، هو عار حقيقى. عار على قوات الاحتلال. وعار أيضاً على المجتمع الدولى العاجز عن الانتصار للحق فى مواجهة القوة، أو حتى بالحد الأدنى منع الجرائم المستمرة التى تمارسها سلطات احتلال ضد شعب أعزل. إن أقل ما يمكن القبول به هو اتخاذ قرار فورى بإجراء تحقيق دولى، عادل ونزيه، فى واقعة استخدام الرصاص الحى ضد المتظاهرين الفلسطينيين العزل من قِبَل قوات الاحتلال. وذكر الوزير شكرى إن المأساة التى شاهدناها جاءت على خلفية وضع سياسى لا يمكن قبول استمراره دون تغيير. فأصل المشكلة هو الاحتلال، واستمرار هذا الاحتلال يعنى أن السؤال سيصبح: كم من الوقت سيمر قبل أن تتكرر الانتهاكات ويتكرر سقوط ضحايا أبرياء إضافيين؟ لهذا، فإن التحقيق الدولى فى واقعة استخدام الرصاص الحى من قِبَل قوات الاحتلال، وإعادة التأكيد على بطلان أية محاولة لإضفاء الشرعية على احتلال الأراضى الفلسطينية، هما شرطان ضروريان، ولكنهما غير كافيين لمنع تكرار المأساة التى شهدناها على مدار الأيام الماضية. هذه هى المسئولية الواقعة علينا جميعاً، وعلى سائر المجتمع الدولى، وعلى كل مهتم بالحفاظ على ما تبقى من قيمة للقانون الدولى وقرارات الشرعية الدولية التى باتت تنتهك يومياً فى الأراضى الفلسطينية، دون أى إجراءات توقف هذه الانتهاكات وتردع مرتكبيها، وتفتح الباب أمام السلام والاستقرار فى المنطقة.

السودان

عقد سامح شكرى وزير الخارجية مع د. الدردیری محمد أحمد وزير خارجية السودان الجديد جلسة مباحثات موسعة حيث استعرضا التطورات الإيجابية فى العلاقات الثنائية خلال الفترة الأخيرة، أهمها بدء التعاون فى مشروع الربط الكهربائى، والتعاون فى مجال إدارة وتأمين المطارات، وإيجاد حلول للتحديات التى تواجهها هيئة وادى النيل للملاحة النهرية، والتى تربط بين منطقتى وادى حلفا وأسوان، وعقد لجنة المنافذ البرية واللجنة القنصلية، وتبادل زيارات وفود الدبلوماسية الشعبية، وكان آخرها زيارة الوفد السودانى إلى القاهرة فى الفترة من 28 أبريل إلى 3 مايو 2018، فضلاً عن وقف التناول الإعلامى السلبى. كما تناولا الموضوعات التى تقتضى المزيد من التنسيق والتعاون من أجل إيجاد حلول لها، وعلى رأسها الحظر المفروض على المنتجات الزراعية المصرية إلى السودان، وتفعيل عمل الشركة المصرية السودانية للتكامل الزراعى، واستكمال مشروع اللحوم الإستراتيجية، فضلاً عن تسوية مديونية شركة مصر للطيران لدى الجانب السودانى.

ومن جانبه، أعرب وزير خارجية السودان عن تقديره الكبير لتشرفه بلقاء الرئيس السيسى فور وصوله إلى القاهرة وما استمع إليه خلال الاجتماع من نصائح تتعلق بكيفية دعم العلاقات الثنائية وضرورة أن يشعر شعبا وادى النيل بقدسية العلاقات المصرية السودانية وضرورة الحفاظ عليها وتحصينها فى مواجهة أية تحديات قد تطرأ عليها. وقد أعرب وزير خارجية السودان عن تطلعه لأن تشهد المرحلة القادمة تكثيف مجالات وآليات التعاون الاقتصادى والتجارى والزراعى بالقدر الذى يرقى إلى تطلعات الشعبين، كما أبدى "الدردیري" رغبة وزارة الخارجية السودانية فى أن يتلقى الدبلوماسيون السودانيون الجدد التدريب فى المعهد الدبلوماسى التابع لوزارة الخارجية المصرية، بالإضافة إلى الاهتمام بتطوير التعاون البرلمانى.

وفيما يتعلق بالقضايا الإقليمية، تناولت المباحثات تطورات الأوضاع فى كل من ليبيا وجنوب السودان وأمن البحر الأحمر والقرن الإفريقى، حيث تبادل الوزيران الرؤى وتنسيق المواقف بشأن هذه الموضوعات. كما اتفق الوزيران على عقد الاجتماع الرباعى القادم لوزيرى الخارجية ورئيسى المخابرات فى الخرطوم، وعقد اجتماع اللجنة القنصلية الثنائية المقبل بالقاهرة فى غضون الشهرين القادمين، بالإضافة إلى الإعداد لعقد اللجنة العليا المشتركة على المستوى الرئاسى بين البلدين.

أوغندا

اختتمت أعمال الدورة الثانية للجنة الوزارية المشتركة بين مصر وأوغندا برئاسة سامح شكرى وزير الخارجية وسام كوتيسا وزير خارجية أوغندا، وبحضور د. محمد شاكر وزير الكهرباء والطاقة الجديدة والمتجددة، والسيد شريف فتحى وزير الطيران المدنى، فضلاً عن عدد من كبار المسئولين بالجهات الحكومية المصرية. كما شارك من الجانب الأوغندى كل من وزراء الطاقة والنقل والزراعة والصناعة والدفاع. وقد أشاد وزير الخارجية بالعلاقات التاريخية بين البلدين، وما شهدته تلك العلاقات من طفرة خلال السنوات الأربع الماضية عكستها الزيارات رفيعة المستوى بين الجانبين. وأكد التزام مصر بدعم العلاقات الثنائية مع أوغندا، وبحث كافة السبل لتطوير العلاقات الاقتصادية بينهما، وهو ما برهنت عليه زيارة الرئيس السيسى إلى أوغندا فى ديسمبر 2016، مشيداً بالجهود التى بذلت خلال الأعمال التحضيرية للجنة على مستوى كبار المسئولين.

كما أوضح الوزير شكرى رؤية مصر القائمة على دعم التنمية فى أوغندا فى إطار التعاون جنوب جنوب، وأهمية التعاون المشترك بين الدول الأفريقية الشقيقة فى هذا الصدد، مشيراً إلى أن مصر قامت فى هذا الإطار من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية باستضافة نحو 300 متدرب أوغندى فى برامج التدريب وبناء القدرات فى عدة مجالات شملت الصحة، والطاقة والكهرباء، والبيئة، والزراعة، والتعدين، وإدارة الموارد المائية، والأمن، والدفاع، ومكافحة الإرهاب. كما أشاد وزير الخارجية بدور القطاع الخاص فى دعم التعاون التجارى والاستثمارى بين البلدين، معرباً عن سعادته بعقد منتدى الأعمال المصرى الأوغندى فى القاهرة.

وفيما يتعلق بالتعاون الإقليمى، دعا سامح شكرى وزير الخارجية إلى التعاون الشامل بين دول حوض النيل فى مختلف المجالات لتحقيق آمال وتطلعات شعوب المنطقة. كما دعا إلى التعاون بين البلدين لمواجهة ظاهرة الإرهاب التى تستهدف الأمن والاستقرار، مشيراً إلى دور مصر فى حفظ السلم والأمن من خلال مشاركتها فى العديد من بعثات الأمم المتحدة لحفظ السلام بما جعلها إحدى الدول الرئيسية المشاركة ضمن قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام، بالإضافة إلى دعم مصر للمصالح الأفريقية إبان عضويتها غير الدائمة فى مجلس الأمن عامى 2016 و2017. وثمن خلال كلمته جهود أوغندا فى عدد من الأزمات فى القارة خاصة جنوب السودان وبوروندى، موضحاً أن كلا من مصر وأوغندا يمكنهما من خلال التعاون المشترك دعم الاستقرار والسلام والأمن فى القارة الأفريقية، وبما يملكانه من تأثير إقليمى ودولى فى هذا الصدد من أجل مستقبل أفضل لأبناء القارة. كما أجرى سامح شكرى وزير الخارجية مشاورات ثنائية مع سام كوتيسا وزير خارجية أوغندا حيث أشار إلى الفرص المتاحة للدخول فى مشروعات مشتركة على المستوى الحكومى أو القطاع الخاص بين البلدين،حيث تدرس إحدى الشركات المصرية حالياً إقامة عدد من المشروعات فى مجال الكهرباء والطاقة بإجمالى 300 مليون دولار، وهو ما يمثل دفعة قوية لمنتدى الأعمال المصرى الأوغندى، خاصة مع تطلع مصر لزيادة التبادل التجارى بين الجانبين على ضوء توافر عدد من الصادرات الأوغندية التى تلبى بعض احتياجات السوق المصرى مثل الشاى والبن واللحوم

بوركينافاسو

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية "الحسن بالا ساكاندى " رئيس الجمعية الوطنية البوركينابية حيث أوضح شكرى اهتمام مصر بتطوير وتعزيز علاقاتها الثنائية مع بوركينا فاسو فى مختلف المجالات، بما فى ذلك المجال البرلمانى. كما أكد وزير الخارجية على تقدير مصر للزيارات رفيعة المستوى التى يقوم بها الأشقاء من بوركينافاسو إلى مصر، وآخرها زيارة الرئيس "روك مارك كابوريه" فى يونيو 2017، والتى شهدت مباحثات موسعة مع السيد رئيس الجمهورية حول مختلف الموضوعات الثنائية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك. وأكد شكرى اهتمام مصر بتعزيز التعاون بين مصر وبوركينا فاسو فى مجال مكافحة الإرهاب، من خلال الألف منحة التى تقدمها وزارة الدفاع، ومركز الساحل والصحراء لمكافحة الإرهاب الجارى إنشاؤه فى مصر، وهو ما يسهم فى تعزيز الجهود المشتركة لمجابهة الإرهاب والجريمة المنظمة المنتشرة فى منطقة الساحل. كما استعرض وزير الخارجية جهود مصر فى تجمع دول الساحل الخمسة الذى تعد بوركينافاسو عضواً فيه، على ضوء دوره المهم فى مكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة فى منطقة الساحل، كما أكد على اهتمام مصر بتفعيل التعاون مع التجمع من خلال المنح التدريبية التى تم الإعلان عنها خلال مؤتمر بروكسل فى 23 فبراير 2018، معرباً عن تطلع مصر لتعزيز التبادل التجارى بين البلدين ليعكس مستوى العلاقات الثنائية المتميزة.

إثيوبيا

استقبل آبى أحمد رئيس الوزراء الإثيوبى السيد سامح شكرى وزير الخارجية واللواء عباس كامل رئيس المخابرات العامة المصرية، حيث اتسم اللقاء بالود والشفافية فى الحوار، وحيث أكد رئيس الوزراء التزامه الكامل بتعزيز وتطوير العلاقة مع مصر واستكمال بناء الثقة لما فيه مصلحة الشعبين الشقيقين. وقد نقل الوزير شكرى تحيات وتهنئة السيد الرئيس السيسى إلى رئيس الوزراء الإثيوبى بمناسبة توليه مهام منصبه، مؤكداً أهمية العلاقات بين الجانبين، وتطلع مصر لتطويرها فى كافة المجالات باعتبار ذلك خياراً إستراتيجياً لمصر، حيث أشار إلى الفرص والإمكانيات الكبيرة المتاحة للتعاون بين الجانبين فى مجالات التجارة والاستثمار والتعاون الفنى. كما أكد وزير الخارجية حرص مصر على تفعيل كافة آليات التعاون على المستوى الثلاثى بين مصر والسودان وإثيوبيا، بما يحقق أهداف التنمية فى الدول الثلاث، ويسهم فى تحقيق تطلعات شعوبها فى غدٍ أفضل، فضلاً عن تطلع مصر للتنسيق بين الجانبين تجاه القضايا الإقليمية محل الاهتمام المشترك. كما جدد الدعوة الموجهة من السيد الرئيس إلى رئيس الوزراء الإثيوبى لزيارة مصر، والذى أعرب من جانبه عن تطلعه لإتمامها فى أقرب فرصة ممكنة.

اليمن

استقبل السيد سامح شكرى وزير الخارجية اليمنى عبد الملك المخلافى حيث استهل اللقاء بالإشارة إلى العلاقات الثنائية المتميزة مع اليمن وحرص مصر على دعم استقرار اليمن الشقيق والوقوف إلى جانب الأشقاء اليمنيين خلال المحنة الحالية التى تمر بها البلاد، وهو ما برهنت عليه المساعدات التى قدمتها مصر إلى الشعب اليمنى مؤخراً من أدوية وأمصال ومستلزمات طبية. وأكد الوزير شكرى أهمية الحل السياسى للخروج من الأزمة الحالية، بما يجنب البلاد مخاطر الانزلاق فى صراع طويل الأمد ويساهم فى تخفيف معاناة الشعب اليمنى الشقيق. واستمع الوزير شكرى من وزير خارجية اليمن إلى شرح كامل للوضع الأمنى فى كافة المدن اليمنية، والجهود والاتصالات التى يجريها المبعوث الأممى الجديد مع الأطراف الدولية والإقليمية الرئيسية، فضلاً عن المشاورات التى يجريها وزير خارجية اليمن فى هذا الشأن. وقد تركزت محادثات وزيرى الخارجية على تقييم الوضع السياسى وتوازنات القوى على الساحة اليمنية بشكل مفصل، حيث شدد شكرى على أنه لا يوجد حل عسكرى للأزمة اليمنية، مؤكداً على استعداد مصر الدائم لتقديم الدعم السياسى لجهود تحقيق السلام والحل السياسى للأزمة اليمنية، بالإضافة إلى دعمها بطبيعة الحال لجهود الأمم المتحدة للوساطة. وشدد وزير الخارجية على ضرورة أن تكون الحلول يمنية خالصة وتنحى منطق الغلبة والاستقواء بالخارج.

الأردن

عقد كل من السيد سامح شكرى وزير الخارجية والسيد اللواء عباس كامل رئيس المخابرات العامة اجتماعاً مع نظيريهما الأردنيين حيث بحثوا أبرز التطورات الإقليمية، لاسيما تلك المرتبطة بدعم القضية الفلسطينية وجهود تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية وتقييم الأوضاع الأمنية فى الأراضى الفلسطينية، فضلاً عن تقييم التحركات والجهود الدولية ذات الصِّلة. كما بحثوا آخر المستجدات السياسية والأمنية فى سوريا والأوضاع فى العراق واليمن، بالإضافة إلى جهود مكافحة الإرهاب والتنسيق فى المحافل الدولية.

وعلى مسار التعاون الثنائى تم تأكيد الأهمية التى توليها حكومتا مصر والأردن لتعزيز آفاق التعاون وتنويعه، تنفيذاً لتوجيهات القيادتين السياسيتين، كما عكست المناقشات الحرص المتبادل على مواصلة التنسيق والتشاور فى مواجهة التحديات.

مصر والأردن وفلسطين

عقد بالقاهرة اجتماع تشاورى لوزراء خارجية مصر والأردن وأمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، بمشاركة رؤساء أجهزة مخابرات الدول الثلاث، وذلك للتباحث بشأن آخر المستجدات على الساحة الفلسطينية.

تناول الاجتماع آخر التطورات الخاصة بالقضية الفلسطينية، وما شهدته الأراضى الفلسطينية مؤخراً من تصعيد خطير راح ضحيته عدد كبير من المدنيين العزل من أبناء الشعب الفلسطينى، حيث أعرب مسئولو الدول الثلاث عن رفضهم القاطع وإدانتهم للممارسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطينى الأعزل والذى يمارس حقه الشرعى والأخلاقى والقانونى فى الدفاع عن أرضه، مؤكدين على حقه فى أن يعيش فى أمان وحرية، وأن يقيم دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية على حدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، وفقاً لمقررات الشرعية الدولية.

وحذر المشاركون من المخاطر الوخيمة المترتبة عن استمرار حالة التصعيد الحالية، وما يواكبها من انسداد فى الأفق السياسى للحل السلمى والعادل للقضية الفلسطينية، الأمر الذى يفرض على المجتمع الدولى والأطراف الفاعلة دولياً أن تطرح حلولاً لإطلاق جهد دولى فاعل لحل الصراع على أساس حل الدولتين وفق مقررات الشرعية الدولية ومبادرة السلام العربية.

أكد الاجتماع على الموقف العربى الراسخ بشأن عروبة القدس الشرقية، والرفض القاطع لأية أعمال أحادية تهدف لتغيير الوضع التاريخى والقانونى القائم للمدينة، والعمل على تنفيذ مخرجات "قمة القدس" التى عقدت فى الظهران. وأكد المشاركون ضرورة احترام الوضع القائم تاريخياً فى القدس باعتبارها مدينة محتلة تخضع لمفاوضات الحل النهائى للقضية الفلسطينية وفقاً لكافة مرجعيات عملية السلام المتوافق عليها دولياً. كما استعرض الاجتماع سبل تكثيف التحرك وتنسيق المواقف مع كافة الأطراف الدولية والإقليمية من أجل توفير الحماية الدولية للشعب الفلسطينى، ودعم العضوية الكاملة لدولة فلسطين فى الأمم المتحدة .

ليبيا

استمع الوزير شكرى إلى استعراض من المبعوث الأممى غسان سلامة لتقييمه للتطورات السياسية فى ليبيا والجهود الإقليمية والدولية التى تستهدف المساعدة فى حل الأزمة. كما عرض نتائج اتصالاته مع الأطراف المختلفة والجهود التى يبذلها من أجل تهدئة الأوضاع والمساعدة فى بناء التوافق الوطنى بالبلاد، بما فى ذلك الإعداد للانتخابات. واستعرض الوزير شكرى بدوره الرؤية المصرية تجاه آخر التطورات السياسية والأمنية فى ليبيا، مؤكداً أن مصر تبذل قصارى جهدها فى التواصل والحوار مع كافة الأطراف الليبية، كما أنها مستمرة بكل جدية فى استضافة اجتماعات دورية من أجل توحيد المؤسسة العسكرية الليبية بما يسهم فى تحقيق الاستقرار ويدعم من جهود مكافحة الإرهاب وتهريب السلاح والهجرة غير الشرعية. كما أعرب شكرى عن قلقه من تدهور الوضع الأمنى بعدد من المدن الليبية مؤخراً، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من العودة إلى الدائرة المفرغة للعنف من جديد. وأكد فى هذا الصدد على دعم مصر للوساطة التى يقودها المبعوث الأممى بغية التوصل إلى حل سياسى شامل وتحقيق المصالحة الوطنية وتوحيد المؤسسات الوطنية الليبية، مع تأكيده على الموقف المصرى الثابت بضرورة أن يكون الحل النهائى للأزمة من صنع الليبيين أنفسهم، ونتاج للتوافق بين أبناء الشعب الليبى بكافة أطيافه. استمع الوزير شكرى إلى استعراض من المبعوث الأممى غسان سلامة لتقييمه للتطورات السياسية فى ليبيا والجهود الإقليمية والدولية التى تستهدف المساعدة فى حل الأزمة. كما عرض نتائج اتصالاته مع الأطراف المختلفة والجهود التى يبذلها من أجل تهدئة الأوضاع والمساعدة فى بناء التوافق الوطنى بالبلاد، بما فى ذلك الإعداد للانتخابات. واستعرض الوزير شكرى بدوره الرؤية المصرية تجاه آخر التطورات السياسية والأمنية فى ليبيا، مؤكداً أن مصر تبذل قصارى جهدها فى التواصل والحوار مع كافة الأطراف الليبية، كما أنها مستمرة بكل جدية فى استضافة اجتماعات دورية من أجل توحيد المؤسسة العسكرية الليبية بما يسهم فى تحقيق الاستقرار ويدعم من جهود مكافحة الإرهاب وتهريب السلاح والهجرة غير الشرعية. كما أعرب شكرى عن قلقه من تدهور الوضع الأمنى بعدد من المدن الليبية مؤخراً، وما يمكن أن ينتج عن ذلك من العودة إلى الدائرة المفرغة للعنف من جديد. وأكد فى هذا الصدد على دعم مصر للوساطة التى يقودها المبعوث الأممى بغية التوصل إلى حل سياسى شامل وتحقيق المصالحة الوطنية وتوحيد المؤسسات الوطنية الليبية، مع تأكيده على الموقف المصرى الثابت بضرورة أن يكون الحل النهائى للأزمة من صنع الليبيين أنفسهم، ونتاج للتوافق بين أبناء الشعب الليبى بكافة أطيافه.

تجمع الساحل الصحراء

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية إبراهيم قبانى سكرتير عام تجمع الساحل والصحراء، لبحث التعاون بين مصر والتجمع والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك، حيث استهل اللقاء بتأكيد التزام مصر بتعزيز التعاون مع مجموعة دول الساحل والصحراء، حيث أشاد بالدور الذى تقوم به الأمانة فى الحفاظ على هذه المنظمة على الرغم من طبيعة الأوضاع فى ليبيا، وحيث المقر الرئيسى للتجمع. كما أكد شكرى حرص مصر على تحقيق الأمن والاستقرار فى منطقة الساحل والصحراء، مشيراً إلى مشاركة مصر فى المؤتمر الرفيع المستوى حول الساحل الذى انعقد فى بروكسل فى شهر فبراير 2018، بالإضافة إلى تعهد مصر بدعم القوة الإقليمية المشتركة لمنطقة الساحل وأهمية إنشاء مركز مكافحة الإرهاب الإقليمى التابع لتجمع الساحل والصحراء فى القاهرة، مشيراً إلى تعهد مصر بتقديم نحو 100 مليون جنيه لهذا المشروع على ضوء أهمية المركز فى القضاء على الإرهاب فى المنطقة، وتحقيق السلم والأمن والتنمية فى دول الساحل والصحراء. كما أشار وزير الخارجية إلى أن التزام مصر بإنشاء المركز يعكس بوضوح حرص مصر على تعزيز قدرات الدول الأعضاء بتجمع الساحل والصحراء لمكافحة تلك الظاهرة، معرباً عن استعداد مصر لاستضافة قمة غير عادية للتجمع بحلول نهاية العام الجارى، وكى تتزامن القمة مع افتتاح مركز مكافحة الإرهاب الإقليمى. ومن جانبه، أعرب سكرتير عام التجمع عن سعادته بالدعم الذى تقدمه مصر للتجمع بالشكل الذى يدعم نشاطه وأهدافه المهمة. وأضاف سكرتير عام التجمع، بأنه من ضمن أهم الأنشطة التى تم تنظيمها اجتماع وزراء دفاع الدول الأعضاء فى التجمع فى شرم الشيخ، الأمر الذى كان له وقع كبير لدى العديد من دول العالم وأظهر التجمع باعتباره إطاراً مؤسسياً قوياً. كما أعرب السكرتير العام عن تقديره واعتزازه بالمنح التى تم الإعلان عنها من جانب مصر للدول الأعضاء، مقدماً الشكر الخاص للرئيس السيسى لمبادرته بالإعلان عن تلك المنح. ودعا السيد « قبانى» لأن تكون مصر هى القاطرة التى تدفع وتعزز دور التجمع فى تحقيق أهدافه خلال المرحلة القادمة.

فرنسا

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى وزير الشئون الخارجية الفرنسى جان إيف لودريان حيث استهل اللقاء بالترحيب بزيارته العاشرة لمصر، سواء كوزير للدفاع أو الخارجية، الأمر الذى يعكس العلاقة الوطيدة التى تجمعه بمصر، كما أعرب شكرى عن التقدير لمواقف لودريان البناءة لتعزيز العلاقات المصرية الفرنسية فى شتى المجالات خاصة التعاون العسكرى والتنسيق الوثيق إزاء الملفات الإقليمية ذات الأولوية.

وقد عبر الوزيران عن أهمية البناء على الزخم الكبير الذى تمخضت عنه زيارة السيد الرئيس لباريس فى أكتوبر 2017 والتى أحدثت نقلة نوعية فى الشراكة الإستراتيجية، حيث شهدت توافقاً فى الرؤى إزاء تعزيز العلاقات الثنائية، بالإضافة إلى توقيع 16 اتفاقاً ومذكرة تفاهم فى المجالات الاقتصادية والثقافية والعلمية، والاتفاق على أن يكون 2019 عام التعاون الثقافى بين مصر وفرنسا باعتباره يتزامن مع الذكرى 150 لافتتاح قناة السويس. وفى هذا الصدد، ناقش الوزيران الاستعدادات الخاصة بزيارة الرئيس الفرنسى فى مصر خلال العام الجارى. وتطرقت المباحثات للتطورات على الساحة الإقليمية، لاسيما الوضع فى سوريا وكيفية دعم العملية السياسية وتنسيق الجهود الدولية والإقليمية لضمان وحدة الهدف وهو إنهاء الصراع المسلح والقضاء على الإرهاب ووجود مسار سياسى واضح يضمن خروج سوريا إلى سوريا الجديدة التى تلبى تطلعات الشعب السورى بكافة أطيافه. كما تناولت المباحثات الوضع فى ليبيا، حيث أعرب الجانبان عن سعادتهما بالتنسيق والتشاور القائم بين البلدين بشأن دعم جهود بناء التوافق الوطنى ودعم الاستقرار فى ليبيا. وقد حرص الوزير شكرى على إحاطة نظيره الفرنسى بالجهود التى تقوم بها مصر على مسار توحيد المؤسسة العسكرية الليبية. كما تناولت المباحثات أيضاً تطورات القضية الفلسطينية، وجهود مكافحة الإرهاب، والعلاقات بين مصر والاتحاد الأوروبى.

روسيا

عقد كل من سامح شكرى وسيرجى لافروف وزيرا خارجية مصر وروسيا جلسة مشاورات ثنائية فى موسكو، فى إطار اجتماعات صيغة 2+2 التى تضم وزيريّ دفاع وخارجية البلدين. وقد ثمن الوزيران المستوى المتميز للعلاقات الثنائية وما شهدته من دفعة قوية على مدار عام 2017 تُوجت فى نهايته بزيارة الرئيس «بوتين» للقاهرة فى 11 ديسمبر 2017، والتى شهدت توقيع اتفاق بدء العمل فى مشروع إنشاء محطة الضبعة النووية، وما أعقب ذلك من استئناف للرحلات الجوية بين القاهرة وموسكو فى 11 أبريل 2018، وكذلك التوقيع على اتفاق إقامة منطقة صناعية روسية فى مصر خلال أعمال اللجنة المشتركة. ويُضاف إلى ذلك تواتر زيارات كبار المسئولين، ومنها زيارة قداسة البابا تواضروس الثانى لموسكو فى 23 مايو 2017، ثم زيارة وزير الدفاع «سيرجى شويجو» إلى القاهرة فى 29 نوفمبر2017، وهو ما يعكس الزخم الكبير فى مسار تطور العلاقات الثنائية، وتشعب مجالات التعاون والتنسيق بين البلدين. واستعرض شكرى مع نظيره الروسى التحسن المطرّد فى أداء الاقتصاد المصرى خلال الفترة الأخيرة، وما يحظى به من أفق واعدة للتجارة والاستثمار لاسيما مع الشريك الروسى، حيث بلغ حجم التبادل التجارى بين مصر وروسيا فى عام 2017 حوالى 6 مليارات و712 مليون دولار. كما بلغت الاستثمارات الروسية فى مصر حتى 2018/1/31 نحو 66.49 مليون دولار متمثلة فى 423 شركة تتركز معظمها فى قطاعات السياحة والإنشاءات والصناعة والاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والخدمات التمويلية والزراعة. كما أفرد الوزيران جانباً مهماً من مباحثاتهما لتبادل الآراء حول الموضوعات الإقليمية، وفى مقدمتها الوضع فى سوريا، وليبيا، واليمن، وتداعيات الانسحاب الأمريكى من الاتفاق النووى الإيرانى والمشاورات الجارية فى هذا الإطار، بالإضافة إلى القضية الفلسطينية والتصعيد الحالى الخطير فى الأراضى المحتلة. كما ناقش الجانبان جهود مكافحة الإرهاب، مؤكدين على أهمية استمرار التنسيق بين البلدين فى هذا المجال وفى المحافل الدولية المختلفة.

أوكرانيا

استقبل وزير الخارجية وزير خارجية أوكرانيا «بافلو كليمكين»، الذى قام بزيارة إلى مصر اكتسبت أهميتها من كونها أول زيارة على هذا المستوى السياسى منذ عام ٢٠١٠. وقد حرص شكرى على الإعراب عن تقدير القاهرة لتعديل إرشادات السفر السلبية إلى مصر، فى خطوة نأمل أن تؤدى لزيادة السياحة الأوكرانية الوافدة لمصر على ضوء أهميتها لخريطة السياحة المصرية، حيث وصلت أعداد السائحين الأوكرانيين طبقاً لبعض الإحصاءات إلى ما يقرب من 800 ألف سائح فى عام 2017. كما رحب وزير الخارجية بعودة الطيران المباشر بين القاهرة وكييف مما سيكون له أثر إيجابى على السياحة والعلاقات التجارية. وقد أكد الوزيران حرصهما على دعم العلاقات الاقتصادية والتجارية باعتبارها الدرع الرئيسى للعلاقات الثنائية، حيث يُقدر حجم التبادل التجارى بين البلدين بحوالى 2.4 مليار دولار أمريكى عام 2017، كما تحتل مصر المرتبة الأولى فى قائمة شركاء أوكرانيا التجاريين داخل القارة الأفريقية. كما أعربا عن تطلعهما لانعقاد اللجنة المشتركة المصرية الأوكرانية فى أقرب توقيت. ومن جانبه، أكد الوزير الأوكرانى تقدير بلاده للتنسيق الذى تم بين مصر وأوكرانيا إبان فترة العضوية غير الدائمة للدولتين فى مجلس الأمن. كما أكد دعم بلاده الكامل لمصر فى حربها ضد الإرهاب، وكذلك تطلع الجانب الأوكرانى لإنشاء آلية تشاور سياسى على مستوى وزارتى الخارجية حول الموضوعات الثنائية والإقليمية والدولية. ومن جانبه، حرص شكرى على التأكيد على أهمية تفعيل مجلس الأعمال لتعزيز العلاقات التجارية بين البلدين.

هولنـــدا

استقبل السيد سامح شـــكرى السيد ستيف بلوك وزير خارجية هولندا، حيث استهل المباحثات بتقديم التهنئـــة للوزير الهولندى على تولى منصبه فى مارس 2018، مشـــيراً إلى العلاقات المتشعبة والممتـــدة بين البلديـــن والتى تعـــود بدايتها إلى عشـــرينيات القرن الماضى، مؤكداً أهمية الارتقاء بها من خلال تكثيف الزيارات المتبادلة والتشـــاور والتنسيق ثنائياً وإقليمياً. كما رحب الوزيران بعقد الجولة الثالثة من المشاورات السياسية على مستوى كبار المســـئولين فى القاهرة خلال يونيو 2018 باعتبارها فرصة مناســـبة لمراجعة مختلف أوجه التعاون الثنائى وتوســـيع نطاقه ومناقشة الشواغل المتبادلة بين الجانبين. وأكد شـــكرى تطلع مصر لتطوير التعاون فى المجالات الاقتصادية مع هولندا، حيث بلغت قيمة التبـــادل التجارى بين البلدين فى عـــام 2017 نحو 1.6 مليار يورو، كما تأتى هولندا فى المرتبة الخامســـة فى قائمة الـــدول الأجنبية المستثمرة فى مصر، باستثمارات تتجاوز 4.5 مليار دولار فى 567 مشروعاً فى القطاعات المختلفة، مع الإشادة بأداء الشركات الهولندية العاملة فى مصر. واستعرض وزير الخارجية فى هذا الصدد التحسن الكبير فى مؤشـــرات أداء الاقتصـــاد المصرى وما يحظى به من إشادة كبيرة من مؤسسات التصنيف والتمويل الدوليـــة، مقدماً الدعوة إلى الشـــركات الهولندية للاستفادة من التســـهيلات التى تقدمها مصر للاستثمار فى المشروعات القومية العملاقة، خاصة المنطقـــة الاقتصادية لتنميـــة محور قناة السويس، مع التطلع للاستفادة من الخبرة الهولندية المتميـــزة فـــى إدارة الموانئ وتقديـــم الخدمات اللوجيستية. وأعرب الوزير شكرى عن تطلع مصر لأن يتفهم الشـــركاء الأوروبيون طبيعة التحديات الأمنيـــة والاقتصادية التى تواجههـــا البلاد داخلياً فى ظل مواجهة الإرهاب فى سيناء وضبط الحدود الممتدة مع ليبيا. ومن جانبه، أعرب وزير خارجية هولندا عن ســـعادته بتنامى التعـــاون بين مصر وهولندا فى كثير من المجالات، وامتنانه لأول زيارة يقوم بها إلى مصر عقب توليه المنصب، مشيراً إلى أن هولندا تثمن عالياً مكانة مصر الإقليمية والدولية ودورها المؤثر والفعال فى تعزيز السلام والاستقرار فى منطقة الشـــرق الأوسط. وفى هذا الصدد، اهتم الوزير الهولندى بالاســـتماع لتقييم وزير الخارجية للأوضاع فـــى الأراضى الفلســـطينية، وكذلك فيما يتعلق بالتطورات فى ســـوريا وليبيا، لافتاً إلى أن بلاده تنظر لمصر باعتبارها حجر زاوية فى الإطار الإقليمى، فضلاً عن كونها من الشركاء المهمين فى مجالات الاستثمار والتجارة وإدارة المياه والزراعة ومكافحـــة الإرهاب، بالإضافة إلـــى النقل والطاقة والبنية التحتية.

مجلس النواب الأمريكي

التقى الوزير ســـامح شـــكرى بوفد من الكونجرس الأمريكى برئاسة النائب الجمهورى "داريل عيسى" رئيس لجنة الرقابة والإصلاح الحكومـــى بمجلس النـــواب، وعضوية النائب الديمقراطى "ســـتيفن لينـــش" رئيس الأقلية باللجنة، حيث أكد شـــكرى أن مصر دائماً ما تتوقع من شـــركائها، وعلى رأســـهم الولايات المتحدة، مزيداً من الدعم فى مواجهة التحديات المتزايدة. وأكد شكرى أن الدعم الأمريكى لمصر خلال الفترة الماضيـــة، لا يعكس خصوصية العلاقة ولا يحقق المصالح المشـــتركة، مشدداً فى هذا الإطـــار على الدور المهم الذى يضطلع به الكونجرس فى نقل صـــورة أكثر وضوحاً للأوضاع السياســـية والاقتصادية والاجتماعية فى مصر.

وقد حرص وفد الكونجرس على الاستماع لشرح مستفيض للتطورات السياسية والأمنية والاقتصاديـــة الجارية فى مصـــر، وبرنامج الحكومة المصرية فـــى عملية الإصلاح، فضلاً عن نتائج العملية الشاملة "سيناء 2018" وما يقوم به الجيش المصـــرى من جهود ويقدمه من تضحيات فـــى مجال مكافحـــة الإرهاب. كما حرص وزير الخارجيـــة على الإجابة على استفسارات الوفد، والتى تمحورت حول الأزمة الســـورية وآفاق الحل السياسى، والوضع فى ليبيـــا وتحقيق التوافق الوطنـــى. كما تناولت المناقشات بشكل مستفيض التطورات الخاصة بالقضية الفلســـطينية والجمود الذى يعترى عملية السلام، حيث استعرض وزير الخارجية رؤيـــة مصر وتقييمها للمخاطـــر الناجمة عن التصعيـــد الحالى فى الأراضى الفلســـطينية المحتلة ومخاطر اســـتمرار الجمود فى عملية السلام وتأثيره على انعدام الأمل تدريجياً لدى المواطن الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتهـــا القدس الشـــرقية. كمـــا تبادل مستجدات قضية سد النهضة والتحديات التى تواجه الأمن المائى المصرى.

المعهد اليهودى للأمن القومى الأمريكى

استقبل سامح شكرى وزير الخارجية وفد المعهد اليهودى للأمن القومى الأمريكى، والذى يُعد أحد مراكز البحث فى واشنطن، حيث ضم مجلسه الاستشارى منذ إنشائه، أعضاء سابقين بمجلس الشيوخ فضلاً عن مسئولين سابقين بالإدارات الأمريكية المتعاقبة، وأبرزهم مستشار الأمن القومى الحالى «جون بولتون» ونائب الرئيس الأمريكى الأســـبق «ديك تشـــيني». وقد أحاط الوزير شكرى الوفد بتطورات الأوضاع فى مصر على المســـتويات الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية، متناولاً مختلف جوانب برنامج الإصلاح الذى تتبناه الحكومة المصرية، والجهود المبذولة فى مجال مكافحة الإرهاب، وما يقوم به الجيش المصرى من جهود ويقدمه من تضحيات فى إطار العملية الشـــاملة «ســـيناء 2018 .»كما شهد اللقاء نقاشـــاً مطولاً حول العلاقات المصرية الأمريكية وخصوصيتها، حيث أكد شـــكرى لأعضاء الوفد على أهمية اســـتثمار جميع الدوائر الأمريكية من أجل تنشـــيط وتعزيز العلاقات الأمريكية مع مصر فى مجالاتها المختلفة، بالإضافة إلى أهمية تكثيف التنســـيق والتشاور السياســـى حول القضايا الإقليمية، لاسيما فى ظل ما تواجهه مصر والمنطقة من مخاطر وتهديدات متزايدة تؤثر على مصالح جميع الأطراف. كما اســـتعرض شكرى الرؤية المصرية لسبل معالجة الأزمات التى تشهدها منطقة الشرق الأوسط، وعلى رأسها الأزمة السورية واليمنية والليبية وجهود مكافحة الإرهاب. وفيما يتعلق بالقضية الفلســـطينية، أكد وزير الخارجية أهمية أن يكثف المجتمع الدولى من جهوده، لاســـيما الولايات المتحدة، للمساعدة فى بناء الثقة وتشجيع الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى على استئناف المفاوضات بهدف التوصل إلى السلام العادل والشامل على أساس مقررات الشرعية الدولية. وأكد شـــكرى فى هذا الإطار، على أنه من الضرورى أن يستوعب الجميع قدر المعاناة التى يمر بها الشـــعب الفلسطينى حالياً نتيجة غياب الأمل بشأن الحل النهائى لقضيته وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية، فضلاً عن الضغوط الاقتصادية والأمنية والحياتية الكبيرة التى يمر بها المواطن الفلسطينى، والتى تحتم أن تتكاتف الجهود من أجل إيجاد مخرج ملائم من حالة الجمود الحالية فى عملية السلام.

إلا القدس...

أعلن الرئيس الأمريكى يوم 6 ديسمبر 2017 قراره الصادم باعتراف إدارته بالقدس عاصمة لإسرائيل ووجه وزارة الخارجية للتحضير لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب للقدس. مخالفاً بذلك الموقف الأمريكى المبدئى منذ بداية المشكلة. وكان الكونجرس الأمريكى قد تبنى قانوناً عام 1995 ينص على ضرورة نقل السفارة فى سقف زمنى لا يتعدى عام 1999 إلا أنه تضمن بنداً يسمح للرئيس الأمريكى بتوقيع إعفاء عن تنفيذه لمدة ستة شهور، ومنذ إدارة الرئيس كلينتون والإدارات الأمريكية المتعاقبة توقع الإعفاء تلقائياً على الرغم من أنهم كانوا قد وعدوا بوصفهم مرشحين بتنفيذ هذا القانون.

سفير سيد ابوزيد عمر

solitairegypt@gmail.com

وكان الغرض من التأجيل يتسق مع المنطق من حيث إتاحة الفرصة للتوصل إلى تسوية سلمية توافقية بين أطراف النزاع.

وكنا قد اعتدنا أن نقول إن قضية فلسطين هى جوهر النزاع فى الشرق الأوسط، وبأنه يصعب أن يسود السلام والاستقرار فى المنطقة دون الوصول إلى تسوية عادلة لهذه المشكلة، وأكدت التطورات منذ منتصف القرن الماضى بما لا يدع مجالاً للشك، أن القدس هى جوهر القضية الفلسطينية ولبها، ولا حل يمكن أن يكون مقبولاً ويكتب له الدوام دون التوصل إلى تسوية مرضية فى حدها الأدنى بجعل القدس الشرقية عاصمة للدولة الفلسطينية المرتقبة. ولم يأت هذا من فراغ بعد أن امتزج فيها عبق التاريخ بروحانيات الأديان السماوية وصمود سكانها وتضحياتهم وقرارات الشرعية الدولية منذ ما قبل قيام الدولة.

الجوانب الروحانية والتاريخية والقانونية:

فيما يتعلق بالعامل الدينى، فإنه لا شك فى أهمية القدس للأديان الثلاثة، فهى للمسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وموضع الإسراء والمعراج، وبها المسجد الأقصى وقبة الصخرة ومراقد عدد من الصحابة والتابعين، وكانت مقصداً لهم بعد إتمامهم فريضة الحج، توقفت الزيارات فقط بعد الاحتلال الإسرائيلى للمدينة المقدسة. وهى للمسيحيين المدينة المقدسة التى شهدت دعوة السيد المسيح ومحاوراته وآلامه وصلبه وفيها طريق الآلام الذى سار فيه كما شهدت قبره وقيامته، كما أن بها كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المقدسة التى يحج إليها المسيحيون. وتتركز المقدسات التى يتعبد اليهود عندها فى القدس بحائط المبكى (حائط البراق) الذى يقع على الطرف الغربى للحرم الشريف. وقامت حكومة الانتداب، بموافقة عصبة الأمم، بتشكيل لجنة دولية مكونة من خبراء من هولندا والسويد وسويسرا عام 1930 « لتبت فى حقوق ومطالبات المسلمين واليهود فيما يتصل بالحائط الغربى أو حائط المبكى»، وأصدرت اللجنة القرار التالى « تعود الملكية الحصرية للحائط الغربى والحق الملكى الحصرى فيه للمسلمين نظراً لكونه يشكل جزءاً لا يتجزأ من منطقة الحرم الشريف التى هى من ممتلكات الأوقاف». والواقع أن إسرائيل قد وسعت الساحة المواجهة للحائط بما تطلب هدم العديد من المبانى، وقامت بحفريات طالت أساسات الحرم الشريف بحثاً عن مواقع أثرية ودينية يهودية دون جدوى. ومهما كان الأمر فإنه ليس من المقبول أن تفرض المعتقدات الدينية اليهودية على أتباع الديانات الأخرى.

وبالنسبة للعامل التاريخى فإن القدس مدينة قديمة تعود نشأتها إلى تاريخ سابق على غزوهم لها، وكانت تحت حكم اليبوسيين (وهم من أصول عربية)، وكانت فلسطين تحت حكم الكنعانيين (وهم أيضاً من العرب), وكان تاريخ الدولة اليهودية الموحدة فى القدس قصيراً عابراً، حيث انفرط عقدها بعد 80 عاماً.

وحق الشعب الفلسطينى فى القدس الشرقية يقوم على أسس قانونية صلبة، ذلك أن وجود إسرائيل بها قد جاء نتيجة لعمليات عسكرية لا تكسبها السيادة عليها، وتعد كافة الإجراءات التى اتخذتها فيها باطلة، وعليها الانسحاب منها تنفيذاً للقرار 242.

ظلت الأمم المتحدة متمسكة بصيغة تدويل المدينة لعدة سنوات اتساقاً مع قرار التقسيم رقم 181 لعام 1947، والذى اقتسم أرض فلسطين التاريخية بين دولتين مستقلتين إحداهما عربية والأخرى يهودية (شبه مناصفة) واستمرت الولايات المتحدة فى التمسك بنفس الصيغة رداً على الإجراءات الإسرائيلية والأردنية، غير أن رفض إسرائيل تدويل القدس، وتمسكها هى والأردن بسيادة كل منهما على شطر المدينة، قد أضعف من الحماس الدولى للمطالبة بالتدويل. وأعلنت إسرائيل فى 23 يناير 1950 القدس (الغربية) عاصمة لها وبدأت تنقل المكاتب الحكومية إليها، ونقلت إليها بعد ذلك وزارة الخارجية الأمر الذى رفضته

الغالبيـــة العظمى للـــدول ولم تنقل سفاراتها إلى ذلك الشطر من المدينة.

ومنذ يونيـــو 1967 اتخذت الأمم المتحدة موقفاً ثابتاً هو اعتبار القدس الشـــرقية أرضاً محتلة ينطبق بشأنها أحكام القانون الدولى المتعلقة بالاحتلال الحربى وخاصة اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية السكان المدنيين فى زمن الحـــرب، وأصدرت كل مـــن الجمعية العامة ومجلـــس الأمن قرارات واضحة تدين الإجراءات والأعمال الإســـرائيلية فى القدس الشـــرقية وتعتبرها باطلة وتطالب إسرائيل بإلغائها والكف عنها. ودعا مجلس الأمن فى قراره رقم 478 بتاريخ 20 أغسطس 1980 الدول إلى سحب البعثات الدبلوماسية من القدس، وذلك رداً على القانون الأساســـى الذى أصدره الكنيســـت فى 30 يوليو 1980 ونص على أن القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل ومقراً لرئيســـها وحكومتها وبرلمانها فى انتهـــاك صريح للقانون الدولـــى الـــذى يحرم ضـــم الأراضى المحتلة.

واعتبرت اتفاقات أوســـلو القدس من موضوعات التســـوية النهائية التى يجرى التفاوض بشـــأنها فى مرحلة مفاوضات الوضـــع الدائم، وأقرت حق السكان الفلسطينيين بها فى المشاركة فى انتخابات المجلس الفلسطينى طبقاً لنظام خاص. ووجه شيمون بيريز إلى وزير الخارجية النرويجـــى كتاباً فى أكتوبر 1993 أكـــد فيه المحافظة على المؤسســـات الفلســـطينية فى القدس وعدم عرقلة نشاطها. وتضمنت معاهدة الســـلام الأردنية الإسرائيلية نصاً تلتزم إســـرائيل فيه باحترام الـــدور الحالى للأردن فـــى القدس وإعطائـــه أولوية كبرى عند انعقـــاد مفاوضات الوضع النهائى.

توصيات

– تنحـــو أغلب التقديـــرات إلى أن الأســـباب التى حدت بالرئيس ترامب إلى اتخاذ هذا القرار الذى يتعارض مع الشرعية الدولية ويفقد الولايات المتحدة الدور الذى تمتعت به كوســـيط يمكن الركون إليه فى عملية السلام. ولم يحظ هذا القرار بأى تأييـــد أو تعاطف على المستوى الدولى، بل قد أدى إلى زيادة التوتر وتعقيد الأوضاع بين الأطراف فى المنطقة:

* ميله إلى الظهور بمظهر الرئيس القـــوى الذى يفى بوعـــوده الانتخابية والذى يتخذ قرارات لا يجرؤ غيره على اتخاذهـــا. ووجد ترامب فـــى القضية الفلسطينية فرصة لممارسة هذا الدور، فهو فى واقع الأمر لم ينفذ أغلب وعوده.

* إرضاء اللوبى الصهيونى بتنفيذ وعده الـــذى قطعه على نفســـه أمام الإيباك فى مارس 2016 بنقل «السفارة الأمريكية إلى العاصمة الأبدية للشـــعب اليهودى». ومن بين النتائج المباشـــرة لهذا الخطاب التقـــارب مع الملياردير شيلدون اديلسون الذى قدم دعماً مادياً ملموساً لترامب فى حملته الرئاسية.

* تغلب المعسكر اليمينى المتطرف فـــى إدارته الذى تقوم حســـاباته على ضعف موقف الفلســـطينيين، الذين قد يبتعدون عن مائـــدة المفاوضات، غير أنهم لن يبتعدوا عنها طويلاً.

* إرضـــاء الجماعـــات الإنجيلية التـــى صوت نحـــو 80 مـــن البيض منهم لمصلحة ترامـــب فى الانتخابات الرئاسية، لاعتبارات عقيدية تتصل بربط نقل السفارة للقدس بعودة المسيح.

* اتســـاقها مع توجهات المجموعة المحيطة به من بينهم صهره ومستشاره جاريد كوشـــنر، والمبعـــوث الأمريكى الخاص للسلام جيســـون جرينبلات، والســـفيرة افى تيويـــورك نيكى هالى والسفير فى تل أبيب ديفيد فريدمان.

* الاتهامـــات الموجهة لترامب فى الداخل وتجرى تحقيقات بشأنها التى تضعـــف موقفه بالضـــرورة وتجعله حريصاً على إرضاء الجماعات المختلفة التى يمكن أن تسانده وبخاصة اللوبى اليهودى.

* انكفـــاء أغلب القوى الرئيســـية فى المنطقة على أوضاعهـــا الداخلية حتى توارت القضية الفلســـطينية إلى الدرجـــات الدنيا فى ســـلم الأولويات، وانقســـام الفلســـطينيين بين رام الله وغزة، الأمر الذى لـــم يتوقع من جرائه ردود فعل ذات شأن ضد هذا الإجراء.

– الانحيـــاز الأمريكـــى للموقـــف الإســـرائيلى بالكامل أصبح واقعاً جلياً يجب أن يوضع فى الاعتبار عند احتساب المواقف على الساحة الدولية, فلم تكتف الولايات المتحدة بقرار نقل السفارة، بل إنها استخدمت حق الفيتو فى الحيلولة دون صـــدور قرار مـــن مجلس الأمن برفض هذا الإجـــراء، وهددت بصورة علنية وغير مقبولة الدول التى تناقض موقفها عند نقل الموضوع إلى الجمعية العامة يوم 22 ديسمبر الماضى، وبينت نتائـــج التصويت أنه رغـــم الضغوط الأمريكيـــة التى أدت إلى امتناع 35 عن التصويـــت ومعارضته من تســـع من الدول التى اعتـــادت أن تنضوى تحت

الراية الأمريكية، فقد حظى القرار بتأييد 128 دولة من بينهم حلفاء لواشنطن مثل فرنسا وبريطانيا. ووصل التحدى الأمريكى للمشاعر العربية والفلسطينية مداه بتقديم موعد نقل السفارة والمشاركة فى الاحتفال بهذه المناسبة فى القدس.

- يمر الفلسطينيون بمرحلة بالغة الصعوبة، فقد كانت الولايات المتحدة وسيطاً رئيسياً فى النزاع، ولكنها فقدت الثقة فى جدوى قيامها بهذه المهمة بعد أن جردت المفاوضات من محتواها، من خلال جملة إجراءات تلغى بمقتضاها أغلب موضوعات التسوية النهائية وخاصة القدس، واللاجئين الفلسطينيين (تقليص المساعدات المقدمة للإنروا) وموضوع المستوطنات. بل يعتقد البعض أن الإدارة الأمريكية بدأت فعلياً بتطبيق ما يسمى بصفقة القرن بالتنسيق مع إسرائيل، تلك الصفقة التى لوحت بها طويلاً دون أن تتضح معالمها. وليس أمام الفلسطينيين سوى اللجوء إلى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ومن بينها المحكمة الجنائية الدولية، وترميم علاقاتها مع القوى الكبرى الأخرى، وبخاصة روسيا والصين والهند، علماً أن إسرائيل قد نجحت فى الاقتراب من تلك الدول إلى حد كبير، وكذلك تكثيف اتصالاتها بدول الاتحاد الأوروبى التى يصعب تصور استعداد أى من هذه الدول المواجهة مع الولايات المتحدة حول الملف الفلسطينى. وأصبح من الحيوى السعى الحثيث لرأب الصدع فى الصف الفلسطينى، ومحاولة إقناع العواصم العربية الرئيسية باتخاذ مواقف أكثر تأثيراً وإعادة قضية فلسطين إلى مقدمة السلم فى أولوياتها.

- المواقف المصرية من عناصر التسوية النهائية ثابتة، ولم تتوان فى إعلانها فى كل مناسبة، بل إن الجهد المصرى وعلى أعلى المستويات هو من أسباب أن تظل القضية مطروحة بقوة

فى مختلف الساحات. وتؤكد مصر حل الدولتين وقيام الدولة الفلسطينية فى حدود ما قبل يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية. ولعله من المفيد هنا التذكير برسالة الرئيس السادات إلى الرئيس الأمريكى كارتر، وهى إحدى الرسائل المتبادلة والملحقة باتفاق كامب ديفيد كجزء منه، وتتلخص فيما يلي:

* إن القدس العربية جزء لا يتجزأ من الضفة الغربية ويجب احترام واستعادة الحقوق القانونية العربية فى المدينة. و يجب أن تبقى القدس العربية تحت السيادة العربية. من حق سكان القدس العربية ممارسة حقوقهم الوطنية باعتبارهم جزءاً من الشعب الفلسطينى فى الضفة الغربية.

* يجب تطبيق قرارات مجلس الأمن الصادرة بشأن القدس، وخاصة القرارين 242، 267 فكل الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع القدس باطلة ويجب إلغاؤها.

* يجب أن يكون لكل الناس حرية الوصول إلى المدينة والتمتع بحرية العبادة وحق الزيارة والمرور إلى الأماكن المقدسة دون تفرقة أو تمييز. ومن الممكن وضع الأماكن المقدسة لكل ديانة تحت إدارة وإشراف ممثليها.

- وتبلور الموقف العربى فيما صدر عن قمة الظهران الشهر الماضى، والتى سميت بقمة القدس، بالتأكيد على مركزية قضية فلسطين للأمة العربية جمعاء، وعلى الهوية العربية للقدس الشرقية عاصمة دولة فلسطين، وإعلان بطلان وعدم شرعية القرار الأمريكى، داعياً دول العالم بعدم نقل سفاراتها إلى القدس أو الاعتراف بها عاصمة لإسرائيل. وأعلن ملك السعودية فى القمة تقديم 200 مليون دولار دعماً لوكالة الأونروا وللقضية الفلسطينية.

ويطرح السؤال نفسه عما إذا كانت الأوضاع العربية فى صورتها الراهنة قادرة على مواجهة التحديات والمخاطر التى تحيق بالأمة، وفى مقدمتها ابتلاع القدس؟

ضرورة أن يكون هناك موقفاً ملزماً للجميع

التحرك فى مرحلة ما بعد القرارات الأمريكية حول القدس

لا شـــك أن القرارات الأمريكية المتعلقة بالقدس ســـواء قرار الاعتراف بالقدس عاصمة لإســـرائيل الذى اتخذه الرئيس دونالد ترامب فى الســـادس من ديسمبر من العام الماضى أو التنفيذ الفعلى لهذا القرار الذى شاهدناه فى احتفال نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس فى الرابع من شهر مايو 2108 لم تكن سوى ظاهرة كاشفة للحقائق الأربعة التالية:

لواء محمد ابراهيم

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية

mohamedeldewery@yahoo.com

الحقيقة الأولى: مدى عمق سياسة التحيز التـــى تنتهجها الإدارة الأمريكية الحالية تجاه إسرائيل مقارنة بالإدارات السابقة التى كانت تتأنى فى اتخاذ مثل هذه القرارات الحيوية ومن ثم علينا توقع مزيد من مثل هذه القرارات الصعبة التى تمس جوهر القضية العربية المركزية وهى القضية الفلسطينية.

الحقيقة الثانية: أن الموقف العربى لم يعد بالقوة أو الوضعية التى تسمح له بمواجهة مثل هذه القرارات إلا من خلال بيانات شجب وإدانة تعلم واشنطن تمام العلم أنها ليس لها أى تأثير.

الحقيقـــة الثالثـــة: أن إســـرائيل مازالت فى مرحلة جنى المكاســـب من جراء علاقاتها المتميزة مع هذه الإدارة الجمهورية كما أن تل أبيب لم تعد تعطى القضية الفلسطينية أية أولوية اعتماداً على نجاحها فـــى إيجاد قدر من توحد الأهداف المشـــتركة مع الدول العربية وخاصة قضيتى الإرهاب والموقف من إيران لتكون هذه هى القضايا الرئيسية فى المرحلة المقبلة.

الحقيقة الرابعة: محدودية الأدوار الأوروبيـــة والروســـية والصينية وأية أدوار أخرى نظراً لأنها لا تســـتطيع أن تواجه الموقف الأمريكى أو الإسرائيلى إزاء القضية الفلسطينية وتكتفى أيضاً بالتحرك السياســـى الذى ليست له أية فاعلية على الأرض.

* وبالرغـــم من هـــذا التردى الذى يشـــهده الموقف ويكاد يدفع بالقضية الفلسطينية إلى مرحلة من الجمود الذى قد لا تخرج منه إلا بعد فترة طويلة فإن هناك متغيرين رئيسيين من الضرورى التوقف عندهما لأهميتهمـــا أولهما ما يحدث حالياً على الأرض الفلســـطينية وأعنى به مســـيرات العـــودة التى تتم على الحدود بين قطاع غزة وإسرائيل، وثانيهما ما يثار بشكل كبير من اقتراب طـــرح الولايـــات المتحدة ما يســـمى بصفقة القرن, وبالتالى من الضرورى أن نحاول فى هذا المقال معالجة هذين المتغيرين والعمل علـــى تحليلهما من مختلف الجوانب.

المتغير الأول: مسيرات العودة الفلسطينية

* يمكن القول أن مســـيرات العودة التى بدأت يـــوم 30 مارس من 2018 ومازالـــت متواصلة حتـــى الآن كانت بمثابة رسالة شـــديدة اللهجة وجهها الشعب الفلســـطينى ليس إلى إسرائيل فقـــط وإنما إلـــى المجتمـــع الدولى بأكمله مفادها أن هناك شعباً محتلاً لا يزال يبحث عن التحـــرر وإقامة دولته المســـتقلة على أرضه وأن هذا الشعب وقيادته استنفذوا كافة السبل السلمية من أجل الوصـــول إلى هذا الهدف دون جدوى حتى الآن ومن ثم فإن العالم عليه أن يتحمل مسئولية وصول الأوضاع فى هذه المنطقة إلى هذه الحالة. وفى هذا المجال من المهم الإشارة إلى المحددات الخمس التالية:

المحـــدد الأول: أن الشـــعب الفلسطينى لم ولن ينسى قضيته حتى لو كانت هناك العديد من المشـــكلات التى يتعرض لها داخلياً وخارجياً.

المحدد الثانى: أن هذا الشعب قادر فى أى وقت على إعـــادة إحياء قضيته وأنه لن يتوانى عن تقديم أية تضحيات حتى يشـــعر العالم بقضيتـــه العادلة ويسعى إلى حلها.

المحـــدد الثالـــث: أن الشـــعب الفلسطينى لديه كل الحق فى استخدام مبدأ المقاومة بكافة أشكالها وهو المبدأ الذى كفلته له كافة المواثيق الدولية وأن هذه المقاومة حتى وإن خفت جذوتها فى بعض الأحيان إلا أنها لم ولن تنتهى.

المحدد الرابع: إن أى مشـــروعات سياســـية منقوصة أو متحيزة قد يتم طرحهـــا من أى طـــرف دون أن تلبى المطالب الفلسطينية لن تحظى بقبول الشعب الفلسطينى وسيتصدى لها بكل الوسائل الممكنة.

المحـــدد الخامـــس: أن المجتمع الدولى أصبح مطالباً الآن وأكثر من أى وقت مضى بأن يجد حلاً عادلاً للقضية الفلسطينية وأن مسألة استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى الفلسطينية إلى ما لا نهاية أمر لم يعد من الممكن السكوت عنه.

** ولا شـــك أن هـــذا التحـــرك

التحرك فى مرحلة مابعد القرارات الأمريكية حول القدس

الفلسطينى الشعبى لم يأت من فراغ بل جاء بعد أن أعلن العالم صمته التام وأكد عجزه أمام تشـــدد إسرائيل والإجراءات التى تنفذها بشكل ممنهج فى الأراضى المحتلة ولاســـيما فـــى مدينة القدس سواء سياسة الاستيطان أو الاقتحامات المتكررة للمســـجد الأقصى التى تقوم بها الجماعـــات المتطرفة بمشـــاركة مسئولين إسرائيليين رسميين بما يؤكد أن هناك موافقة حكومية على كافة هذه الإجراءات.

** ومن ناحية أخرى فقد تعاملت إسرائيل مع هذه المســـيرات السلمية بقـــدر كبير من العنـــف دون أن تلقى بالاً لنتائج وتداعيات إطلاقها الرصاص الحى على المواطنيـــن العزل ولم تعر أى اهتمام لتصاعد أعداد الشهداء الذى وصل أكثر من مائة شـــهيد والمصابين الذين وصل عددهم إلـــى الآلاف, ومن الواضح أن إسرائيل هدفت من ذلك إلى بث رســـالة مفادها أنها لن تتهاون مع أية تحركات تتم على حدودها مع قطاع غزة وأنها ستســـتخدم فـــى مواجهتها كل الوســـائل العسكرية, كما يتضح أن إسرائيل تمارس هذه السياسة العدوانية وهى على قناعـــة كاملة بأن هناك دعماً أمريكيـــاً لها ســـيحول دون اتخاذ أية إجراءات مضادة لها فى كافة المحافل الدولية وهو ما حدث بالفعل باستخدام واشنطن الفيتو لعدم صدور أية قرارات أو حتى مجرد بيانات ضد إسرائيل.

** ومن المؤكد أن اســـتمرار هذا الوضع سيؤدى إلى مزيد من التوتر فى هذه المنطقة بمـــا قد يؤدى إلى تدهور غير محســـوب وبالتالى من الضرورى أن يتـــم التدخل العاجـــل من الأطراف المعنية لاحتواء الموقف أولاً ثم التحرك السياســـى فى أعقاب هـــدوء الموقف مباشرة, وفى هذا المجال أرى أهمية أن يتم هذا التحرك على المستويات الثلاثة التالية:

المستوى الفلسطينى

** استمرار التحرك على المستويين الإقليمى والدولى مـــن أجل تجميع أية ضغوط علـــى إســـرائيل لإدانتها قدر المستطاع على ما ارتكبته من اعتداءات وهذا التحرك هـــو أضعف الإيمان رغم أهميته المعنوية.

** اتخاذ التنظيمات الفلسطينية فى قطاع غزة كافـــة التدابير الوقائية لعدم سقوط شهداء بالشكل الذى حدث مؤخراً حيث يجب أن تتســـم كافة هذه المسيرات بالســـلمية التامة والسيطرة القيادية على تحركاتها مع عدم الاقتراب من أية خطوط تماس قد تؤدى إلى تكرار نفس المجازر بالإضافة إلى ضرورة ألا تخضع هذه المسيرات إلى أجندات أى تنظيم أو فصيل.

** العـــودة مرة أخرى وفور هدوء الأوضاع إلـــى الاجتماعات بين حركتى فتح وحمـــاس برعاية مصرية من أجل تحقيق المصالحة.

المستوى العربي

** تحـــرك الـــدول العربية – أو بعضهـــا- مع كافة الأطـــراف المعنية بما فى ذلك إســـرائيل نفســـها لوقف عدوانها علـــى الفلســـطينيين العزل وضمان عدم تكرار هـــذه المجازر فى حالة قيام مسيرات سلمية فى المناطق الفلســـطينية, مع أهمية توصيل رسالة إلى إسرائيل مفادها أن استمرار رفضها عملية الســـلام ومنح الفلســـطينيين حقوقهم لن يؤدى إلا إلى تهديد حقيقى لأمن إســـرائيل بل ويؤثر على استقرار المنطقة كلها.

المستوى الدولى

** اســـتمرار التحـــرك الأوروبى والروسى لمواجهة الموقف الإسرائيلى بالرغم من الموقـــف الأمريكى الرافض لإدانة إسرائيل.

** الضغط الدولى على إســـرائيل كلما كان الأمر ممكناً مثل القرار الأخير للجنة حقـــوق الإنســـان لضمان عدم تكرار هذه الاعتداءات على المســـيرات الفلسطينية السلمية.

المتغير الثانى: صفقة القرن

*** يقصـــد بصفقـــة القرن تلك التسوية التى ستطرحها إدارة الرئيس الأمريكى ترامب والتى سيتم بمقتضاها حل القضية الفلســـطينية القائمة منذ أكثر مـــن نصف قرن لتكـــون بمثابة الصفقة التى ســـوف يســـجلها القرن الحادى والعشـــرون باعتبارها الإنجاز الأكبر لحل هـــذه القضية المعقدة, كما قد تشمل الصفقة فى بعض جوانبها ما يتعلق بالأمن الإقليمى ومواجهة الخطر الإيرانى.

*** هناك أربعة مبادئ شـــديدة الوضوح هى بمثابـــة جوهر الموقفين العربى والفلسطينى وهى كما يلى:

** المبدأ الأول: لا يمكن لأى قوى سياســـية فى العالم أن تفرض رؤيتها لحل القضية الفلســـطينية ما لم تكن متوافقة مع الثوابت المعروفة.

** المبدأ الثانى: لا يوجد أى زعيم عربى أو فلسطينى يستطيع أن يتحمل مســـئولية التفريط فى أى من الثوابت

الفلسطينية فتلك مسئولية أمام الله والتاريخ والشعوب.

** المبدأ الثالث: من المستحيل تماماً أن تقبل القيادة السياسية المصرية التنازل عن أى جزء من سيناء من أجل حل القضية فى إطار ما يتداول ويسمى بسياسة تبادل الأراضى.

** المبدأ الرابع: أن مسألة إقامة علاقات عربية طبيعية مع إسرائيل لابد أن تكون مرتبطة تماماً بحل القضية الفلسطينية.

*** وإذا ما انتقلنا إلى كيفية التعامل مع صفقة القرن فمن الواضح أن الخط العام يشير إلى أنها تتضمن تسوية لا تلبى المطالب الفلسطينية والعربية لا سيما وأن الولايات المتحدة وهى الشريك الرئيسى فى كل الاتفاقات السابقة قد ابتعدت كثيراً عن مبدأ حل الدولتين وأسقطت قضية القدس من المفاوضات والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق كيف استعدت الأطراف الأربعة المعنية لاستقبال هذه الصفقة وفى هذا الشأن أشير إلى ما يلى:

** الجانب الإسرائيلى: ركزت حكومة نتنياهو على أن أية مفاوضات يجب أن تعترف باحتياجات إسرائيل الأمنية خاصة فى منطقة غور الأردن وبما يعنى ضم أجزاء كبيرة من الضفة الغربية, وكذا الاعتراف بيهودية الدولة مع استمرار القدس الموحدة كعاصمة لإسرائيل بالإضافة إلى مواصلة سياسة الاستيطان الممنهج ولاسيما فى القدس.

** الجانب الفلسطينى: اتخذت السلطة الفلسطينية موقفاً رافضاً للوساطة الأمريكية المتحيزة مع مواصلة التحرك الخارجى لدرء مخاطر وآثار القرار الأمريكى المجحف حول القدس بالإضافة للتأكيد على الثوابت الفلسطينية المعروفة خاصة إقامة دولة فلسطينية كاملة السيادة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

** الجانب العربى: فقد تبلور موقفه بصورة واضحة فى القرارات المهمة التى اتخذتها الجامعة العربية سواء على المستوى الوزارى أو فى قمة الرياض والتى تضمنت رفض أية تسوية لحل القضية لا تنسجم مع المرجعيات الدولية لعملية السلام.

** الجانب الأمريكى: واصلت واشنطن تبنى الاتجاه المتشدد فى الضغط على السلطة الفلسطينية فى أعقاب قرار نقل السفارة إلى القدس ثم تخفيض التمويل الأمريكى لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين والاتجاه لخفض المساعدات المالية المقدمة للسلطة وكلها ضغوط متواصلة حتى توافق السلطة على العودة للمفاوضات.

*** وفى رأيى فإن نقطة الانطلاق فى تحركنا لمواجهة هذه الصفقة تتمثل فى ضرورة أن يكون هناك موقف عربى وفلسطينى ملزم للجميع يؤكد رفض أية مشروعات لتسوية القضية لا تؤدى إلى إقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية ليس هذا فقط ولكن من الضرورى امتلاك بدائل عملية وواقعية للتحرك حتى لا يبدو الأمر وكأن هناك رفضاً عربياً للحلول السياسية وفى هذا الشأن من المهم أيضاً ما يلى:

** استمرار التحرك العربى الإقليمى والدولى حتى لا تهدأ قوة الدفع التى بدأت حتى تظل القضية الفلسطينية فى بؤرة الاهتمام.

** أن يعلن الجانب العربى الاستعداد لاستئناف المفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية دون شروط مسبقة من أى طرف على أن يتم طرح كافة القضايا الخلافية دون استثناء خلال المفاوضات التى لابد أن تشهد مرونة وتنازلات من كافة الأطراف.

** عدم الإصرار على استبعاد واشنطن من الوساطة فلا توجد أية دولة فى العالم يمكن أن يكون لها تأثير على إسرائيل سوى الولايات المتحدة مع إمكانية بحث فكرة توسيع مجموعة الوساطة لتشمل أيضاً بعض الدول الأوروبية والعربية مع الولايات المتحدة وذلك على الأقل فى بداية انطلاق المفاوضات التى لابد أن تتجه بعد ذلك إلى المفاوضات الثنائية المباشرة.

*** ومن الواضح أن الحركة العربية والفلسطينية رغم أنها مهمة ومطلوبة إلا أنها لم تثمر عن نتائج على الأرض فمازالت إسرائيل هى أكبر مستفيد من عامل الوقت فى رسم عملى لخريطة الدولة الفلسطينية بالشكل الذى تراه مناسباً, وبالتالى علينا التفكير منذ الآن وقبل طرح الصفقة عن كيفية استئناف المفاوضات السياسية المتوقفة منذ أكثر من أربع سنوات فى إطار خطة عمل شاملة ومن المؤكد أنه عندما تبدأ المفاوضات وتدور رحى هذه المعركة السياسية فإن الواقع سيكون حينئذ أفضل ولو قليلاً مقارنة بالواقع الراهن الأليم.

ترامب والأمن القومى العربى - الشرق أوسطى

جاء دونالد ترامب إلى سـدة الحكم فى الولايات المتحدة عبر انتخابات ديمقراطية وبرنامـج انتخابى محوره التغيير. وقد عزز فوزه الكاسـح فرص دعم إنفاذ برنامجه الانتخابى فى مواجهة أية تحديات، سـواء كانت تلك التحديات داخلية ـ قوى سياسية وجماعات ضغط ووسـائل إعلام ـ أو خارجية ـ قوى دولية أو إقليمية أو مجتمع دولى ممثلاً فى الأمم المتحدة وربما أيضاً منظماتها الفرعية.

سفير د. صلاح حليمة

salah_halima@hotmail.com

لقد بلور ترامب أبرز أسس تعامله مع القضايـا الدولية فى مجموعة من المبادئ، لعل أبرزها، أن أمريكا الأقوى أولاً، ومصالحهـا على قائمة أولويات إدارته، وأن معيـار تقييم الإنجازات ما تحققه من مكاسـب وإيجابيات للمصالـح الأمريكية، على أطراف أية قضية تحمـل الأعباء المرتبطة بها أو المشاركة فيها.

انتهج ترامب وهو بصدد التعامل مع القضايا الدوليـة محل الاهتمام إسـتراتيجية التوجه نحـو» حافة الهاوية» القائمة على «غطرسة القوة»، عبر انتهـاج حزمة من السياسـات المؤثرة والفاعلـة على الخصم، ومن أبرزها فرض العقوبات أو المزيد منها إن وجدت، ممارسة الضغط السياسى والاقتصـادى بتقليص المسـاعدات وشن حرب تجارية، اللجوء إلى عزل الدولة المستهدفة أو فرض مزيد من العزلـة عليها، إطـلاق التصريحات النارية عبر أجهزة الإعلام ووسـائل التواصل الاجتماعى، التلويح باللجوء إلى اسـتخدام القوة المسلحة وكذا التدخل العسكرى عند المقتضى.

ولقد تجسدت هذه السياسات على أرض الواقع فـى تعامله مع قضايا تمس وأخرى تمارس آثاراً على الأمن القومى العربى/ الشـرق أوسطى، وأبرزهم قضية كوريا الشمالية، الملف الإيرانى، القضية الفلسطينية، القضايا العربية الساخنة حيث أحرز فى إطار رؤيته ومراميه فى كل منها نجاحات.

بالنسبة للأولى جاء اللقاء المرتقب بين ترامب ورئيس كوريا الشـمالية على خلفيـة تلك السياسـات التى شـملت ضغوطاً على كوريا الشمالية بل وأيضـاً الصين وروسـيا للتأثير على الموقف الكـورى بصدد الملف النووى والصواريخ الباليسـتية، إذ بجانب تغليظ العقوبات وزيادة العزلة (قطع أو تحجيم علاقات دول صديقة لكوريا منها دول عربية)، تم التلويح باستخدام القوة بما فى ذلك النووية، وبـدأ يظهر فى الأفق أجواء تبشـر بفرص واعدة للسلام ترقباً للقاء القمة الكورى الشمالى الأمريكى ـ والذى تم التمهيد له بلقاء قمة ناجح لرئيسـى الكوريتين ـ بعد أن تواترت أنباء عن اسـتعداد الولايات المتحدة التخلى عن هدف إسـقاط النظام فى كوريا الشـمالية وتغييره إلى هدف تعديل سلوكه وممارسـاته ووقف البرنامج النووى والصاروخـى، ربما تمهيداً لنزع السلاح النووى وإنهاء البرنامج الصاروخى لتبـدأ مرحلة أخرى. وقد فقدت الدول العربية تقريباً من جراء تلك السياسـة داعمـاً تقليدياً لأمنها القومى وقوتها العسـكرية هو كوريا الشمالية.

وبالنسـبة للملف الإيرانى، فقد جاءت جولته الشرق أوسطية فى مايو 2017 عقب توليه السـلطة، وعقده ثلاث قمم (سعودية، وأخرى خليجية، وثالثة إسـلامية فى الرياض)، لتعلن عن تحالف شـرق أوسطى يضم دولاً عربية وأخرى إسـلامية بالإضافة إلى إسرائيل معاً فى قارب واحد ضد عدو مشترك هو إيران ومكافحة الإرهاب، واعتبارهـا قضية لهـا الأولوية فى المنطقة، وليعزز بـه موقفه بصدد الملف النـووى الإيرانـى وبرنامج الصواريخ الباليستية، ولتصبح القوة السياسية والعسـكرية والاقتصادية لدول عربيـة رهينة لـدى الولايات المتحدة بموجب الصفقات الضخمة التى أبرمها فى المجالين العسـكرى والاقتصادى مع وجود قواعد عسكرية أمريكية على أراضى بعض منها، دون أن يأبه كثيراً للشـرخ العميق الذى أصاب دول الخليج بل سعى لتكريسه لاسـتثماره لصالح الولايات المتحده اقتصادياً وسياسياً.

أما بالنسـبة للملف الفلسطينى، فقد تم التمهيد لإنفاذ الرؤية الترامبية التى تحـدث عنها إبـان الانتخابات الأمريكية بجولته الشـرق أوسطية عندما نجح فـى وضع الدول العربية

فى قارب واحد مع إسرائيل ضد إيران والإرهاب، ووصم منظمات مقاومة فلسطينية وعربية بالإرهابية خاصة وأن بعضاً منها ساهم للأسف من خلال ممارساته وتحالفاته مع قوى إقليمية تدخلاً فى شئون داخلية لدول عربية، ونجحت إسرائيل على خلفية ما تقدم أن تتاح لها فرص استحداث علاقات مع دول عربية أو تعزيز علاقات قائمة.

وقد أعقب ذلك التمهيد مؤخرا تنامى الحديث عن صفقة القرن والتى بدأت إرهاصاتها بقرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس واعتراف الولايات المتحدة بالقدس عاصمة إسرائيل، ثم الحديث عن بديل لحل الدولتين، وتلميحات عن تجنب الإشارة إلى عبارة الأراضى المحتلة، بل ودعم بناء المستوطنات فى تلك الأراضى. ومن المتوقع أن يكون هناك حديث عن التوجه نحو الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية.

واقع الأمر أن سياسات ترامب تجاه الملفات المشار إليها وإن كانت تستهدف طبقاً لرؤيته تأمين المصالح الأمريكية وتعظيمها بالدرجة الأولى، إلا أنها تصب فى النهاية وبقوة لصالح إسرائيل وتناميها كقوة إقليمية فى مواجهة قوى إقليمية عربية وغير عربية، وعلى نحو يضعف الموقف العربى بصدد قضاياه المحورية، فى اتساق مع رؤية إسرائيل المستقبلية للدولة العبرية وصفقة القرن الترامبية.

وفيما يتعلق بإيران، فلقد فقدت إيران قناة التعاون القائم بينها وبين كوريا الشمالية فى المجال العسكرى النووى، فى نفس الوقت الذى يبدو أن ترامب نجح على الأرجح فى التأثير على موقف الدول الغربية بل والأمم المتحدة بصدد الاتفاق النووى الإيرانى الغربى والصواريخ الباليستية على نحو أضحت الخيارات المطروحة تعديل الاتفاق أو توسيعه أو البحث عن بديل قبل إلغائه. وهى أمور فى مجملها تصب فى مصلحة إسرائيل بالدرجة الأولى، وليست فى صالح دول المنطقة العربية إذا وضعنا فى الاعتبار موقف إيران من القضية الفلسطينية، وضرورة أن تكون منطقة الشرق الأوسط بما فى ذلك إسرائيل خالية من أسلحة الدمار الشامل.

من ناحية أخرى فإن المشهد الحالى فى المنطقة العربية يتسم بالتعقيد الشديد، تحت وطأة تدخلات قوى إقليمية ودولية فى الشأن الداخلى لدول بالمنطقة، وأطماع الهيمنة والسيطرة لكل منها، والتى تتجسد فى ما تشهده اليمن وسوريا والعراق وليبيا، وما قد تنتهى إليه بالتقسيم والتفتيت على أسس عرقية / دينية/ مذهبية/ جهوية، حيث تبلورت فى محاور متصارعة بين دول عربية/ عربية، ودول إسلامية/ إسلامية، بدعم من تلك القوى. واقع الأمر أن هذه الأوضاع تستنزف موارد وقدرات دول عربية، لصالح قوى إقليمية ودولية وقد تنشأ على إثرها كيانات غيرعربية تعزز من فرص الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية، على نحو قد ينطمس معه وجود الجامعة العربية كبيت للعرب أو يصبح جزءاً من كيان جديد لجامعة شرق أوسطية تضم كل دول المنطقة، يتراجع معه ـ أكثر مما هو عليه الآن ـ الدور العربى والوجود العربى ككيان مستقل.

مجمل القول وخلاصته على ضوء ما تقدم، أن سياسة ترامب تجاه الملفات السابقة تجذب المنطقة العربية بصفة خاصة، والشرق الأوسط بصفة عامة، نحو المزيد من حالة التردى التى تدور فى حلقة مفرغة من الصراعات المدمرة واستنزاف الموارد والتوجه نحو التفتيت والتقسيم، مع تنامى قوة إسرائيل وتعاظمها لتصبح الأبرز فى المنطقة بل وربما الحاكمة للأمن والاستقرار بها. وهكذا أضحى الأمن القومى العربى يستوجب ـ حفاظاً عليه وتأمينه ـ رؤية جديدة لطبيعة العلاقة بين العالم العربى ودول الجوار الإقليمية مجتمعة، بما يسمى الأمن الشرق أوسطى، يتأسس على التعاون وليس التصادم، والتفاهم وليس التنافر، فضلاً عن المصالح المشتركة وعلاقات حسن الجوار وعدم التدخل فى الشئون الداخلية، وأن تتخذ دول المنطقة من مبدأ المواطنة والتقريب بين أطياف المجتمع بما فى ذلك بين المذاهب، سبيلاً لتجاوز النزعات العرقية أو الدينية أو المذهبية أو الجهوية.

وفى التقدير أن مثل هذا التوجه يمكن أن يأخذ مساره بتحرك عبر قناة لا يتم الإعلان عنها، وبمبادرة يضطلع بها الرباعى العربى فى إطار الجامعة العربية بوضع وثيقة تتضمن أسس العلاقة بين الدول العربية ودول الجوار الإقليمى، وتنتهى بموجبها فترة العقاب التى ألمت بالمحور الثلاثى ـ إيران/ تركيا/ قطر ـ إنقاذاً لماء وجهه ـ هذا المحور ـ ، خاصة وأن هناك رسائل ـ صريحة وضمنية ـ من جانبه تتضمن دعوة للحوار.

هذا ويجئ مجمل ما تقدم على خلفية وفى اتساق مع ما ورد فى خطاب الرئيس عبد الفتاح السيسى فى القمة العربية الأخيرة التى عقدت بالرياض حول ما يتعرض له الأمن القومى العربى من أخطار وما يواجهه من تحديات وبما يستوجبه من صياغة إطار جديد للعلاقة مع دول الجوار الإقليمى. وتعد تلك الرؤية إحدى السبل ـ من بين رؤى أخرى يمكن طرحها للنقاش ـ للخروج من هذه الحلقة المفرغة ومن حالة التردى التى تمر بها المنطقة العربية، وصولاً للإطار الأنسب الذى يحقق أمناً واستقراراً ورخاء وتعايشاً سلمياً لدول المنطقة.

تحديات ما بعد قمة الظهران

شكلت القمة العربية الأخيرة فى السعودية تحولاً مهماً فى مسار العمل العربى المشترك واكتسبت أهمية كبيرة ليس فقط نتيجة لمستوى التمثيل غير المسبوق فيها, وإنما أيضاً بالبيان الصادر عنها والذى عالج المشكلات والأزمات الحقيقية التى يواجهها العالم العربى وسبل حلها.

د.أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية فى الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

انعقاد القمة بشكل دورى يمثل إنجازاً فى ذاته ويعكس الحرص العربى على الحفاظ على الحد الأدنى من التماسك العربى رغم الظروف والتحديات الكبيرة التى يعيشها العرب وأبرزها:

أولاً: خروج بعض الدول عن حالة الاصطفاف العربى مثل قطر ومراهنتها على قوى إقليمية أخرى كإيران وتركيا, حيث شكلت قطر شوكة فى خاصرة الجسد العربى, مع دعمها للتنظيمات الإرهابية مثل جماعات الإخوان المسلمين ودعمها مالياً ولوجيستياً وإعلامياً لجبهة النصرة والتنظيمات الإرهابية بسوريا, وتوفير المأوى لكثير من العناصر الإرهابية فى الدوحة. وقد دفع الموقف القطرى فى دعم الإرهاب الدول الأربعة مصر والسعودية والإمارات العربية والبحرين, إلى اتخاذ موقف محدد بإعلان المقاطعة مع قطر والاستمرار فى هذا الموقف حتى تستجيب قطر لمطالبها وتغير سياستها, وهو ما لم تفعله الدوحة بعد ما يقارب العام على الأزمة فى يونيو 2017. وبشكل عام شكل الانقسام العربى عائقاً أمام تحقيق التكامل العربى واتخاذ موقف عربى موحد إزاء التحديات الراهنة التى يواجهها العالم العربى.

ثانياً: تفكك العديد من الدول العربية التى تعانى من حروب وأزمات وصراعات مثل سوريا وليبيا واليمن والعراق والصومال, واستمرار تلك الصراعات يجعل من الصعوبة تحقيق التكامل العربى أو أن يسير العمل العربى المشترك فى مساره الطبيعى خاصة مع انهيار المؤسسات الوطنية فى تلك الدول وبروز الفاعلين من غير الدول والتى شكلت عامل تحدٍ للدولة الوطنية وتحالفها مع قوى خارجية, وهو ما حدث فى اليمن حيث تشكل ميليشيا الحوثى الانقلابية تحدياً للدولة اليمنية وتحالفت مع إيران التى تزودها بالأسلحة والصواريخ وتعنتت فى قبول أية تسوية سياسية للأزمة. وفى سوريا شكلت التنظيمات المسلحة عامل تحدٍ للدولة السورية مثل جيش الإسلام وهيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) وفيلق الرحمن وداعش وغيرها من عشرات التنظيمات التى تحالفت مع قوى دولية وإقليمية دعمتها بالمال والسلاح وهو ما أدى لتعقد واستمرار الأزمة السورية, وفى الحالة الليبية هناك عشرات التنظيمات المسلحة التى تسيطر كل منها على منطقة فى ليبيا وانقسام ليبيا إلى حكومتين, واحدة فى الشرق والأخرى فى الغرب, وهو ما أدى لفشل الحلول السياسية, فى المقابل نجح العراق إلى حد كبير فى استعادة سيطرة الدولة الوطنية على معظم الأراضى العراقية بعد هزيمة تنظيم داعش وتحرير المدن التى كان يسيطر عليها.

ثالثاً: تزايد الأدوار الخارجية الدولية والإقليمية فى المنطقة العربية وفى إدارة أزماتها المشتعلة مع غياب الدور العربى, فهناك قوى إقليمية ودولية تمسك بمفاتيح المعادلة السورية مثل أمريكا وروسيا إضافة لإيران وتركيا, وانفردت روسيا مع إيران وتركيا بمسار الآستانة الأمنى, بينما تعثر مسار جنيف, وأصبح الصراع الآن فى سوريا هو صراع على المصالح وتقاسم النفوذ بين القوى الإقليمية والدولية. وفى الحالة الليبية يتزايد الدور الخارجى أيضاً خاصة التركى والأوروبى فى إدارة التفاعلات الليبية, ولاشك أن مصر لعبت دوراً مهماً وفاعلاً فى الأزمة الليبية سواء عبر تعزيز المصالحة الوطنية بين أبناء الشعب الليبى واستضافتها العديد من اللقاءات فى القاهرة بين الفرقاء الليبيين, أو عبر تعزيز الأمن مع حدود ليبيا ومنع تسرب التنظيمات الإرهابية إليها, أو عبر حشد الجهود العربية والدولية لتحقيق تسوية سياسية حقيقية وشاملة فى ليبيا. ويبرز الدور الإيرانى فى اليمن والعراق بشكل كبير عبر التحالف مع التنظيمات والفصائل الموالية له طائفياً. وبالتالى فإن غياب الدور العربى الفاعل فى الأزمات العربية قد أوجد حالة من الفراغ سعت بعض القوى الدولية والإقليمية لملئه وتوظيفه لخدمة مصالحها على حساب المصالح العربية.

رابعاً: تهديد الأمن القومى العربى, حيث اتسعت مصادر تهديد الأمن القومى العربى ولم تعد مقصورة فقط على التهديد الإسرائيلى الذى ساد لعقود مع استمرار احتلال الأراضى الفلسطينية, وإنما شملت تلك المصادر أيضاً مصادر أخرى مثل التنظيمات الإرهابية والفاعلين من غير الدول كذلك التهديد الإيرانى وتدخل القوى الكبرى والإقليمية فى المنطقة العربية, وهو ما يؤثر بشكل كبير على الأمن القومى

العربى وعلى منظومة العمل العربى المشترك.

هذه التحديات غير المسبوقة التى أفرزتها مرحلة ما بعد الربيع العربى وما زال العرب يعانون من تداعياتها تتطلب بلورة موقف عربى موحد لمواجهتها, فاستمرار الحالة العربية الراهنة يحمل مخاطر كبيرة ليس فقط على الحاضر العربى وإنما مستقبله أيضاً, فتهديد الدولة الوطنية وهدم مؤسساتها وبروز الفاعلين من غير الدول, كالتنظيمات الإرهابية مثل داعش والحوثى وغيرها, يمثل انتكاسة كبيرة لمسيرة بناء الدولة العربية ما بعد الاستقلال والقادرة على تحقيق السيادة والاستقرار والاندماج القومى بين مختلف المكونات العرقية واللغوية والدينية, والتى انفجرت مع انهيار تلك الدولة ودخلت فى صراعات طاحنة طائفية ودينية خلفت ملايين الضحايا من القتلى والجرحى والمهجرين واللاجئين, وتدمير البنية الأساسية, إضافة إلى انهيار النسيج المجتمعى وزيادة حدة الاستقطاب والكراهية بين أبناء الوطن الواحد.

كما أن تزايد الدور الخارجى للقوى الكبرى والإقليمية فى المنطقة العربية وفى أزماتها من شأنه أن يؤثر بشكل كبير على المسارات المستقبلية لتلك الأزمات, والتى سوف تتشكل وفقاً لأجندات ومصالح تلك القوى الخارجية على حساب المصالح العربية, حيث أن حالة الضعف العربية قد أغرت تلك الدول لأن تصبح المنطقة ساحة للصراع والتنافس على النفوذ فيما بينها, وهو ما أدى لتعقد أزمات المنطقة وإطالة أمدها.

هناك تكلفة اقتصادية ضخمة لاستمرار الحالة العربية الراهنة, من صراعات وحروب وانقسامات, فقد أعاقت عملية التنمية والتطور الاقتصادى وعادت دول عربية إلى الخلف عشرات السنين, كما أن تكلفة إعادة الإعمار وإعادة بناء ما تم تدميره تحتاج إلى مئات المليارات من الدولارات من الصعب توفيرها فى المدى القصير, حيث تم تدمير الطرق والجسور وشبكات الكهرباء والمستشفيات والجامعات والمدارس وملايين المنازل, وهو ما يتطلب أموالاً طائلة لإعادة تأهيل تلك المرافق وإصلاح ما تم تدميره. إضافة إلى ذلك هناك التكلفة الاجتماعية الكبيرة سواء على مستوى التعايش والتلاحم بين أبناء المجتمعات العربية, حيث أوجدت الحروب والصراعات التى شهدتها بعض الدول العربية تزايد الشروخات المجتمعية وتصاعد حدة الكراهية ونفى الآخر بين أبناء الوطن الواحد وتم تغذية الصراعات الطائفية واللغوية والعرقية, وهو ما يحتاج إلى جهود ضخمة وسنوات لنزع ثقافة الكراهية والانقسام وتحقيق المصالحة المجتمعية الشاملة. كما أن الحروب والصراعات وتدمير المؤسسات التعليمية أدى لحرمان أجيال بكاملها من فرص تلقى تعليم جيد وبالتالى زيادة الأمية وانتشار الجرائم الاجتماعية.

تحديات ما بعد القمة العربية تحتاج إلى خريطة طريق واضحة ورؤية شاملة وإستراتيجية متكاملة للخروج من الوضع الراهن وتتمثل فى:

أولاً: إعادة ترتيب أولويات التحرك فى الفترة المقبلة, والتركيز على الأولويات الملحة, المتمثلة فى تفعيل الدور العربى فى إطفاء النيران المشتعلة ووقف نزيف الدم والدمار فى بعض الدول العربية والعمل على تسوية الأزمات فى سوريا وليبيا واليمن عبر حل سياسى شامل يستوعب الجميع ويكرس الديمقراطية الحقيقية القائمة على مبدأ المواطنة الذى يساوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات بغض النظر عن أية خلافات عرقية أو طائفية أو لغوية, والمساعدة فى تحقيق المصالحة المجتمعية, والمساعدة فى إعادة إعمار تلك الدول, ورغم العقبات التى يواجهها التحرك العربى خاصة مع تعقد تلك الأزمات وتشابك القوى الخارجية والتى تعد اللاعب الرئيسى فيها, إلا أن تشكيل لجنة عربية تابعة للجامعة العربية مهمتها العمل على التدخل فى تلك الصراعات والتحاور مع القوى الكبرى الفاعلة فيها خاصة روسيا وأمريكا يمكن أن يساهم فى تدعيم الدور العربى. كذلك أولوية مواجهة مخاطر الهجمة الشرسة على القضية الفلسطينية بعد قرار ترامب, ليس فقط برفض ذلك القرار ورفض الإجراءات الإسرائيلية لتغيير هوية القدس, وإنما أيضاً العمل المضاد بحشد الدعم الدولى للاعتراف بالقدس الشرقية كعاصمة للدولة الفلسطينية.

ثانياً: مواجهة الخطر الأساسى وهو التدخل الإيرانى فى المنطقة والذى لا يقل عن خطر تنظيم داعش الإرهابى الذى تعرض للانحسار بشكل كبير بعد هزائمه فى سوريا والعراق, حيث يكتسب الدور الإيرانى بعداً طائفياً أدى إلى اشتعال الصراعات فى المنطقة ويمثل خطراً كبيراً على الأمن القومى العربى, ولاشك أن تزايد الدور العربى فى العراق وسوريا واليمن ولبنان يمثل حائط صد أمام التمدد الإيرانى.

ثالثاً: تبنى نظرية المسارات المتوازية, أى التحرك السياسى لتحقيق الأمن والاستقرار مع التحرك الاقتصادى عبر تدعيم التكامل الاقتصادى العربى, ليس بمفهومه التقليدى وإنما من خلال تدعيم التعاون بين الدول الصلبة مثل مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات والكويت والبحرين والجزائر والأردن, لتكون قاطرة العمل العربى حتى تستعيد بقية الدول العربية عافيتها وتلحق بها.

رابعاً: تدعيم التعاون العسكرى والأمنى والاستخباراتى العربى لمواجهة خطر الإرهاب, ومواجهة تدخلات القوى الخارجية فى المنطقة العربية, وتعزيز صيغ التعاون العسكرى مثل التدريبات والمناورات العسكرية المشتركة بين الجيوش العربية الكبيرة مثل مصر والسعودية والإمارات والكويت والبحرين والأردن والجزائر والمغرب, وتفعيل معاهدة الدفاع العربى المشترك.

لتكن هذه خريطة الطريق العربية لعام 2018 والعمل على تركيز الجهود العربية على تلك الأولويات بحيث تأتى القمة العربية العام القادم وقد تحقق بالفعل إنجازات واضحة على الأرض وهو ما يمثل تصحيحاً للمسار العربى للخروج من حالته الراهنة, فرغم التحديات الكثيرة إلا أن التحرك عبر مسارات محددة والتركيز على الأولويات العاجلة يمثل بداية الطريق الصحيح.

جواتيمالا ونقل سفارتها إلى القدس

ذكرنى تنفيذ قرار جواتيمالا نقل سفارتها فى إسرائيل إلى القدس بتجربتى فى العمل مرتين متتاليتين فى سفارتنا بجواتيمالا؛ الأولى مستشاراً ثم وزيراً مفوضاً بين عام 1995 وعام 1999، والثانية سفيراً بين عام 2001 وعام 2005 وانتهت بكونى أول عربى يحصل على وسام هو الأعلى فى جواتيمالا وأقصد وسام الكيتزال بعد تغير موقف جواتيمالا جوهرياً إلى مؤيد للقضايا العربية وإنجاز أول زيارة لوزير خارجيتها لمصر عام 2004 بعد 27 عاماً من تبادل السفارات بين الدولتين، وقع خلالها أربع اتفاقيات ثنائية أساسية وأجرى لقاءات بالسيد الرئيس وقتها ورئيس مجلس الشعب ووزراء الخارجية والداخلية والاقتصاد والتجارة الخارجية، وبدا وقتها أن العلاقات الثنائية اتخذت منحى مختلفاً جوهرياً عما كانت عليه قبلها. وربما حالياً أيضاً، لكن لذلك قصة.

جواتيمالا كانت تاريخياً إحدى أقرب الدول لإسرائيل؛ فصوت جواتيمالا رجح قرار الأمم المتحدة إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، ومنذ ذلك الحين كانت العلاقات الجواتيمالية الإسرائيلية وطيدة بحكم عدة عوامل، منها النفوذ الأمريكى فى دول أمريكا الوسطى والذى كان من مظاهره تاريخياً تدبير شركة الفواكه المتحدة الأمريكية انقلاباً فى جواتيمالا فى عهد سابق والمعونة الأمريكية، وهو نفوذ رأينا مظاهره فى كل أمريكا الوسطى عدا نيكاراجوا حين اعترفت بعض تلك الدول بتايوان (بتأثير معونات تايوانية أيضاً) بديلاً عن الصين الشعبية، وفى قيام كوستاريكا والسلفادور فى أوائل الثمانينات بنقل سفارتيهما فى إسرائيل إلى القدس تحدياً لقرار القمة العربية بقطع العلاقات مع الدول التى تقوم بذلك، وهو أيضاً الإجراء الذى رجعت عنه الدولتان بعد عقدين من الزمان تقريباً وأسهم فى عودة العلاقات بينهما والدول العربية.

وفى عام 1995 أسفرت الضغوط على جواتيمالا عن قيام رئيسها بالإعلان عن رغبته «لأسباب عاطفية» نقل سفارة بلاده إلى القدس، لكنه اضطر إلى تجميد القرار بفعل تظاهرات منتجى حب الهال الذين كانوا يصدرون منه ما يتراوح بين ٥٠ مليوناً ومائة مليون من الدولارات سنوياً إلى الدول العربية حيث تستخدمه فى إعداد القهوة، فقد خشى هؤلاء أن تقاطع الدول العربية صادراتهم. لكن مع هذا ظل التأثير العربى محدوداً؛ فالسفارة المصرية كانت العربية والأفريقية الوحيدة فى جواتيمالا، ولم تكن هناك استثمارات عربية ملموسة، كما أن الإعلام المحلى والرأى العام متأثر تماماً بالإعلام الأمريكى الداعم لإسرائيل.

فى فترة خدمتى الأولى فى جواتيمالا وبفعل إجادتى للغة الأسبانية والإلمام

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

بأسلوب الحياة فى الدول اللاتينية نتيجة لسابق خدمتى فى بوليڤيا وبنما وقبلهما البرتغال توطدت علاقاتى بشخصيات مهمة حاولت من خلالها دعم العلاقات مع مصر، ومنها رئيس غرفة التجارة حتى أننى اقترحت عليه، ونجحت فى فترة خدمتى التالية سفيراً، توقيع اتفاقية تعاون بين غرفتى التجارة فى الدولتين. وشاءت الظروف قبيل انتخابات برلمانية فى دولته أن يكون حزباً سياسياً دخل ضمن ائتلاف فاز بالأغلبية، وأن يعهد إليه بتولى وزارة الخارجية، وتجدد بالتالى الحديث معه باعتبارى سفيراً حول القضايا العربية والفلسطينية كون جواتيمالا قبلها من الدول النادرة التى تؤيد إسرائيل فى الأمم المتحدة، وبالتالى أوضحت أن تعديل نمط التصويت الجواتيمالى، والذى تم بالفعل بحيث أصبح مؤيداً غالباً للحق العربى أو أحياناً ممتنعاً عن التصويت، سيكون رسالة صداقة وود تمهد لتطوير العلاقات مع مصر. وهكذا طلبت دعوة الوزير لزيارة مصر بعد إعداد جيد لها حيث بالإضافة للاتفاقيات الموقعة كانت هناك أربع أخرى فى طور الإعداد .

فى نهاية مهمتى قال الوزير وهو يقلدنى الوسام أنه كان يود لو عملت فى جواتيمالا لفترة ثالثة، وهو أمر وإن كان صعب التحقيق إلا أنه يشير إلى نقطة مهمة فى العلاقات مع الدول اللاتينية التى أحببت ثقافاتها وأُسلوب معيشتها، فرغم المشترك الاجتماعى والعرقى مع شعوبها بحكم الهجرات الأساسية الأسبانية والبرتغالية إليها بعد الحضارة العربية فى الأندلس التى استمرت ثمانية قرون من التأثير العرقى والثقافى والفكرى، إلا أن بعد المسافة والتأثر بالإعلام الغربى والصورة المقدمة عن التطرف الدينى والإرهاب وقلة التبادل الثقافى والسياحى يجعل الشعوب اللاتينية لا تدرك المشترك ولا تفهم العقلية العربية وبالتالى مع محدودية العلاقات الاقتصادية والتجارية يكون تأثير الإعلام الأمريكى أقرب إلى الشعوب، وهو ما يُبين أن اختيار الكادرات التى تجيد الأسبانية والمتوافقة مع العقلية السائدة قد يكون له تأثير كبير فى تنشيط العلاقات الثنائية يُحد من التأثير السلبى الناجم عن بعد المسافة والافتقار لعلاقات ثنائية مؤثرة والضغوط السياسية والاقتصادية والإعلامية المعارضة.

ورغم ما سبق شرحه من عوامل أدت إلى تأجيل نقل سفارة جواتيمالا إلى القدس منذ عام 1995 حتى مايو 2018 إلا أنه يبقى أن تغير الأوضاع فى المنطقة العربية منذ 2011 وانشغال الدول العربية بالصراعات الأهلية والإقليمية وتراجع تماسكها وأولويات بعضها مع توجهات الإدارة الأمريكية الحالية الداعمة بقوة لإسرائيل رجح للأسف فى النهاية نقل السفارة الجواتيمالية إلى القدس، حيث إن وجود السفارة الأمريكية بها جعل جواتيمالا تعتقد ولو خطأ أنه سيحميها من المقاطعة باعتبار صعوبة تطبيقها على الولايات المتحدة فى المقام الأول وباعتبار أن دولاً أخرى قد تنقل سفاراتها بالمثل إلى القدس.

قدسنـــــــا

مرة أخرى، بعد عقود طويلة، تتكرر مأساة «وعد بلفور» بتحقيق حلم يهود الشتات فى وطن، حتى ولو تم ذلك على حساب الفلسطينيين.. أصحاب الأرض.

لـــم يتوقع أحد خيراً من وراء اللقاء الذى جمع الرئيس الأمريكى برئيس وزراء إســـرائيل على هامـــش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة مؤخـــراً، وإصغاء الأول لما طرحه الثانى، من تحقيق تطلعات أو أطماع الدولة «الدخيلة» إلى تتويج المشروع الصهيونى بدرة التاج.. أو الجائزة الكبرى «القدس» بعد أن انزلق الأول، خلال حملته الانتخابية إلى استقطاب أصوات اليهود بالتلويح بالاعتراف بالقدس موحدة عاصمة لإسرائيل.

بـــل أكثر من ذلك.. نقل الســـفارة الأمريكية إليهـــا تأكيداً للصفة الجديدة فأعلن قراره غير الشرعى فى 6 ديسمبر 2017 والذى أدانتـــه الجمعية العامة للأمـــم المتحدة ولم يعـــد خافياً مدى تغول سياســـة المصادرة الإسرائيلية لمئات الآلاف من الدونمات، وقيام شركة تطوير الحى اليهودى بوضع اليد «دون مقابل» على أراض من الأوقاف العربية خمسين عاماً.

وتحت اسم «ميراث الحى الغربى»، تواصل الشـــركة حفرياتها فى ساحة الحرم القدسى، حيث تتولى المشروع جمعية يهودية باسم «صندوق الحائط الغربى»، وتضـــم رئيس بلدية القدس، ومدير شـــركة تطوير الحى اليهودى، ومديـــر الهيئة الرئيســـية لحاخامات اليهود فى القدس.

ويمثل عـــام 2009 ذروة الهجمة اليهوديـــة على القـــدس بهدف طمس هويتهـــا ومحـــو طرازهـــا المعمارى العربى.

هـــذا، ويضم ملف تهويـــد البلدة القديمة عدداً من وثائق تسجيل الأرض باسم دولة الاحتلال.. بينما تمثل اتفاقية عام 1971 مع «شـــركة تطوير الحى اليهـــودى بالقدس» اغتصـــاب آخر ما تبقى من أوقاف عربية، بالسعى الحثيث لتقســـيم المســـجد الأقصى، باقتطاع ساحاته الجنوبية وتخطيطها للمصلين اليهود، مع استغلال الجمعيات المتطرفة للمناسبات والأعياد اليهودية، إضافة إلى معاودة العمل فى الجسر الحديدى على باب المغاربة، لاستكمال البنية التحتية

سفير د.محمود سليمان

لتقسيم المسجد!

مواصلة ما يسمى بمشروع المدينة المقدســـة فى محيط المسجد الأقصى وأسفله، وافتتاح مواقع الحفريات، التى وصـــل فيها العمل لمراحلـــه النهائية، بينما تتوســـع الحفريـــات فى الجانب الأيمن باتجاه أســـوار البلدة القديمة. ومع افتتاح كنيـــس «الخراب» باعتباره الرمز اليهودى الأهم فى البلدة القديمة، يواصـــل المحتل تعزيـــز وجوده فى المدينة بإقامة مشـــاريع إضافية.. فى مقدمتها كنيس «النور» بحيث يشـــيد أعلى المحكمة الإسلامية الملاصقة.

وتتواصـــل سياســـة اغتصـــاب الأوقاف المســـيحية بمـــا فيها أملاك كنيســـة الأرثوذوكس فى البلدة القديمة مع المضى قدماً فى أعمال الاســـتيلاء على الأوقـــاف المســـيحية.. والقيام بتثبيت ملكية «ســـاحة عمر» للشركات الاســـتيطانية وصفقات الاســـتحواذ على أملاك جديدة صـــادق عليها البابا تيوفيلوس والمجمع المقدس.

والشاهد أن عملية سحب الهويات وتصاريح الإقامة، تمضى قدماً للتخلص مـــن أكبر عدد متاح من الســـكان، مع إعلان تعديل الحدود البلدية واســـتبعاد التجمعات الفلســـطينية خارج حدود القدس.

وتمضى الحكومة الإســـرائيلية فى تنفيـــذ مخطط اعتبـــار القدس مركزاً ســـكنياً جاذباً للاستيطان والإقدام على إقامة اثنتى عشـــرة ألف وحدة سكنية جديدة شـــرق المدينة فى الوقت الذى يقتصر منح رخص بناء للفلسطينيين على مائتى رخصة!!

ليس هذا فقط بـــل تتجه حكومة الاحتـــلال إلى تعديل الحـــدود البلدية للقـــدس، لتتطابق مع حـــدود الجدار، بما يسمح لها بضم 163كم 2 لمساحة القدس الأصلية، بحيث يتم توطين نحو سبعين ألف مســـتوطن على أن يتم من خلال توسيع الكتل الاستيطانية القائمة بحيث تلتحـــم بمدينة القدس من خلال شبكة مواصلات تربط بينها.

والأمر يتطلب، بطبيعة الحال، حركة تهجير عكسى للفلسطينيين من خلال تكثيف الضغوط عليهم مع الملاحقات الأمنية وتجفيف منابع أية مســـاعدات خارجية!! إسلامية أو عربية أو أجنبية، تدفعهـــم فـــى النهاية للهجـــرة!! مع المماطلة فى البـــت فى أية قضايا أمام المحاكم تتعلـــق بأوضاعهم القانونية تثبيتاً لاحتلال المستوطنين لمنازلهم!

ويبدو أن مخطط إلهـــاء المنطقة العربيـــة بالمشـــاكل قـــد نجح فى تحجيم قدرتهـــا على ملاحقة المخطط الصهيونى، ناهيك عن التصدى له.

الضربة الثلاثية الغربية فى سوريا

مع فجر يوم 14 أبريل الماضى، شنَّت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا هجوماً عسكرياً استهدف ثلاث منشآت رئيسية فى دمشق وحمص، قِيل أنه رد فعلٍ على هجوم كيميائى اتُهِمَ نظام بشار الأسد بتنفيذه بـدوما بالغوطة الشرقية فى 7 أبريل 2018. وبعد الهجوم مباشرة، ظهر وزير الدفاع الأمريكى ماتيس ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال دانفورد أمام الإعلام الأمريكى ليعلنا انتهاء الضربة العسكرية، وليقولا إنها كانت «ضربة لمرة واحدة فقط»(1). وتمَّ الهجوم باستخدام صواريخ قُدِّر عددها بأكثر من مائة صاروخ، بالرغم من أن وزير الدفاع الأمريكى أشار سابقاً إلى أن الأدلة على استخدام الهجمات الكيماوية غير قاطعة (2).

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

وقد اعتبرت وكالة الأنباء السورية الرسمية (سانا) أن «العدوان الثلاثى ضد سوريا انتهاك فاضح للقانون الدولى، وكسر لإرادة المجتمع الدولى، وسيكون مآله الفشل». وتباينت ردود الأفعال الدولية حول الضربة بشدة؛ فقد ذكر المتحدث باسم رئاسة الجمهورية فى مصر أن التصعيد الأخير فى الأزمة السورية يدعو إلى القلق الشديد، مؤكداً دعم مصر الدائم للحلول السياسية وإنهاء المعاناة الإنسانية للشعوب جرَّاء الحروب ودعم الحكومات الشرعية والجيوش الوطنية، ودعا المتحدث إلى ضرورة إجراء تحقيق شفاف فيما يخص الوضع فى سوريا عبر المنظمات الدولية ووسائلها(3). ورفضت لبنان والعراق والجزائر الضربة تماماً، فيما أيدتها تركيا والسعودية والبحرين والإمارات وقطر وسلطنة عمان، مع جملة الدول الغربية ككندا وألمانيا إلى جانب إسرائيل واستراليا واليابان. وأدانت الصين وإيران بشكل كامل هذا الهجوم واعتبرتاه خرقاً للقانون الدولى، فيما أعربت روسيا على لسان رئيسها بوتين أن» الضربات الغربية ضد سوريا عدوان ضد دولة مستقلة تقف فى طليعة الدول المُحاربة للإرهاب. وفى ذات السياق، أكَّد السَفير الروسى لدى واشنطن أناتولى أنطونوف أن «أسوأ المخاوف قد تحققت، وأن التحذيرات الروسية لم تجد آذاناً صاغية»، منوِّهاً أن روسيا قد حذَّرت مسبقاً من أن تلك الأمور لن تمر دون عواقب (4).

وقد فشل مجلس الأمن فى تبنى مشروع قرار – قدمته سوريا- يدين الهجوم ويطالب بوقفه، وذلك بأغلبية 8 دول، من بينها الدول المعتدية الثلاث المتمتعة بحق الفيتو بالمجلس.

ولا شك أن هذه الضربة تدل على الفشل الذريع لنظام الأمن الجماعى الدولى، واستمرار القوى الكبرى فى العمل خارج نظام الأمم المتحدة، والاستهانة بأحكام ميثاقها وبكافة قواعد ومبادىء القانون الدولى ذات الصلة؛ وذلك باستخدام القوة المسلحة دون ترخيص من مجلس الأمن. كما لم تمكّن منظمة حظر الأسلحة الكيماوية، وهى المعنيَّة بالمسألة، من إجراء تحقيق عادل ونزيه فى الاتهامات المُوجَّهة للنظام السورى باستخدام السلاح الكيماوى.

ويلقى هذا المقال الضوء على الدلالات والتداعيات الإستراتيجية التى انطوت عليها الضربة مع بيان لكيفية اتخاذ الولايات المتحدة القرار بالضرب ومبرراتها، مروراً بموقف باقى الدول الغربية منها، فدلالاتها على العلاقات الأمريكية – الروسية، وأخيراً تداعياتها على إيران وعلى البنيان الثلاثى الضامن للأمن فى سوريا (تركيا وإيران وروسيا).

•وفى التقدير، فإن هذه الضربة هدفها سياسى بالأساس، وليست لها أية مضامين استراتيجية أو عسكرية؛ حيث لم تغير الأوضاع على الأرض، وكانت مدفوعة بالأساس بالحفاظ على ماء الوجه خاصة بعد تهديدات ترامب المتكررة بضرب سوريا، ورغبة واشنطن فى تأكيد كبريائها ووضعيتها كوة عظمى. وفى هذا السياق، دأبت صقور واشنطن على مطالبة ترامب بفعل المزيد، وحثوه فى وقتٍ سابق من شهر أبريل 2018 على إعادة النظر فى رغبته فى سحب القوات البرية الأمريكية من سوريا؛ تلك الخطوة التى تعبر من وجهة نظرهم عن الاستسلام الأمريكى بينما يسعى نظام الأسد إلى تعزيز موقفه على الأرض.

ولا شك أن أحد الأهداف الرئيسية للرئيس الأمريكى دونالد ترامب هو صرف انتباه الرأى العام الأمريكى عن المشاكل التى تواجهها إدارته فى الوقت الحالى وإظهار أنه الرجل الحقيقى المسئول والقائد القوى.

والسؤال الذى يطرح نفسه، هو : ما مدى أهمية تلك الضربة لمركز الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط؟

•جمع الشتات الغربى للعدوان على سوريا:

لقد بذلت الولايات المتحدة جهوداً ضخمة للحصـــول على أكبر دعمٍ غربى لتنفيذ تهديداتها بضرب سوريا، بيد أنها فشلت فى خلق جبهة غربية مُوحَّدة أو حتى على صعيد حلف الناتو للتصدى للحكومة الســـورية، واقتصر الأمر على المملكة المتحدة وفرنسا فقط. أما باقى شركاء واشـــنطن فى الغرب فلم يعلنوا دعمهم لهذه الخطوة سوى بعد انتهائها . وهذا يُظهِر علـــى ما يبدو أن لكلٍ من الدول الغربية أجنداتٍ وأهدافاً مختلفة لا تتوافـــق بالضرورة مـــع التصعيد العســـكرى الحاصل؛ وتُعَد ألمانيا أحد أهم الأمثلة البارزة فى هذا الصدد نظراً لأنهـــا رفضت بوضوح المشـــاركة فى الضربة.

فى الوقت ذاته، ينبغى ملاحظة أن الأطراف الثلاثة التـــى قامت بالضربة أكدت أن هدفها ليس إســـقاط الأســـد، بل إظهار رد على الاســـتخدام المزعوم للأسلحة الكيميائية. وأخذاً فى الاعتبار حقيقـــة انقســـام المجتمـــع الدولى إلى حـــدٍ كبير حول ضـــرورة أو حتى منطق اســـتخدام القوة ضد الأسد، فمن المستبعد إلى حدٍ كبير تشكيل ائتلاف أوســـع فى هذا الصدد. ومع ذلك، يبدو أنه فى حال وجود أى توافق فى الجبهة الغربية لاستهداف الأسد مباشرة، فإن الحلفاء الأمريكيين فى الشرق الأوسط، كالمملكة العربية السعودية وشركائها فى مجلس التعاون الخليجى سيكونون أول مَـــن ينضمون إليهـــا، لأنهم كانوا يرغبون منذ فترة طويلة فى خلق كيان قوى يتحرك ضد الأسد.

وربما يمكن تبرير موافقة فرنســـا على أن تكون إحـــدى قوى الضربة هو استشـــعارها لتنامى قوة روسيا كفاعل يأخذ خطواتٍ عملية منفردة للدفاع عن مصلحتها الوطنية كما فعلت فى الأزمة الأوكرانية من قبل، وكما تفعل فى الأزمة الســـورية القائمة. ونظـــراً لأن أوروبا تستشعر هذا الأمر أيضاً، ولكوْن ماكرون أحد المتعهدين بالحفـــاظ على الكيان الأوروبى فى مجملـــه – كما تبيَّن من رفضه لدعوات الانعزال التى دعت إليها منافســـته مارين لوبان فى الانتخابات الرئاسية الســـابقة – فإنه حاول إعلان خطٍ أحمر لروسيا مفاده عدم الاستهانة بالقوى الغربيـــة وضرورة إدراجها فى حســـاباتها إزاء منطقة الشرق الأوسط

عموماً وســـوريا خصوصاً. وهذا الأمر جلى كذلك على خلفية حادثة تســـميم الجاسوس الروسى ســـكريبال وابنته، فقد طردت فرنســـا – برفقة 14 دولة أوروبيـــة – أربعةً من الدبلوماســـيين الروس (5).

وهنا يمكن تفسير الموقف الفرنسى إزاء روســـيا فى إطار سياسة أوروبية عامة وقناعاتٍ ثابتة تحدد بصفة عامة مواقف السياســـة الخارجية الفرنسية، رغـــم عدم تجاهـــل الشـــق الجيد من العلاقات الفرنســـية – الروسية، حيث سيزور ماكرون موسكو يومى 24 و 25 مايو 2018 (6).

•روسيا... والترتيبات الأمريكية:

وفقـــاً لما أُعلِن، تـــم إبلاغ الروس بالضربة قبـــل وقوعها، وتـــم تحديد الممرات الجوية التى ســـوف تُستخدَم فـــى الضربة وليس الأهـــداف، كما أنه من المؤكَّد أن موســـكو أبلغت حليفتها طهران بالضربـــة أيضاً، بل إن المواقع التى ضُرِبَت قد أُخلِيَت قبل ذلك بأيام.

من جهةٍ أخرى، أظهرت موســـكو بالفعل ردة فعل محســـوبة على هذه الضربة؛ فمنـــذ المرحلـــة الأولى من التهديدات الأمريكية، حاولت موســـكو التحرك نحـــو تهدئة الوضع عن طريق إقامة بعض قنـــوات الاتصال الجديدة مع الجانب الأمريكى، ولمَّحت بوضوح إلى أنها لن تتســـامح مع أى فعل ضد مصالحها فى ســـوريا. وبذلك، تمكنت روسيا أيضاً من كسب الوقت لحليفتها دمشق لإخلاء الأهداف المحتملة. وبعد أن تمَّـــت الضربات، حاولت موســـكو نزع شـــرعية الخطوة باستخدام الأمم المتحدة، وفى نفس الوقت اتباع مسار أكثر استقلالية نحو التسوية السياسية فى ســـوريا، بالاعتماد أكثر من ذى قبل على الآليـــات البديلة لمســـاعى الأمم المتحدة مثل عمليتَى آستانا وسوتشى (7).

• الارتدادات على إيران:

على الرغم من محاولة إيران تقليص أهمية تلـــك الضربـــة وتأثيراتها على النظام، باعتبـــار أنها ركزت فقط على اســـتهداف المواقع الخاصة بالأسلحة الكيماويـــة المدعى بها فى دمشـــق وحمص تحديـــدًا، ولم تشـــمل أهدافاً أخرى، إلا أنها كانت حريصة فى الوقت نفســـه على قراءة دلالاتها السياســـية ومدى ارتباطها بالملفات الأخرى التى تحظـــى بأهمية خاصة مـــن جانبها، لاسيَّما الاتفاق النووى، الذى يقترب من استحقاق حاســـم فى 12 مايو 2018، عندمـــا تقـــرر إدارة الرئيس الأمريكى دونالد ترامب ما إذا كانت ســـتواصل تعليق العقوبـــات الأمريكية المفروضة على إيران بمقتضاه أم ســـتوقفه، بما يعنى انسحابها منه. ومن هذه الدلالات ما يلى (8):

• التقـــارب الأمريكى مـــع الدول الأوروبيـــة: بـــدأت إيـــران تـــرى أن السياســـات التى تتبناها إدارة الرئيس الأمريكى دونالـــد ترامب تجاه الملفات الإقليميـــة الأبرز ســـاهمت فى تقريب الرؤى مـــع الـــدول الأوروبية الأخرى، خاصة بريطانيا وفرنســـا، لدرجة باتت تدفعها إلى التماهـــى تدريجيًا مع تلك

الضربة الثلاثية الغربية فى سوريا

السياســـات، على نحو بـــدا جليًا فى حرصها على المشاركة فى توجيه تلك الضربة. وتشير مشاركة هاتين الدولتين فى الضربة، وفقًا لرؤية اتجاهات عديدة داخل طهران، إلى أنها ســـتنخرط فى ممارسة ضغوط أكبر على إيران، خاصة فيما يتعلق بمطالبتهـــا بالموافقة على إجراء تعديلات فى الاتفاق بما يستوعب التحفظات الأمريكية العديدة تجاهه.

• تأثير روســـيا: زادت أهمية الدور الذى تقوم به روســـيا بالنســـبة لإيران بعد الضربة، خاصة بسبب استخدامها الفيتو فى مجلس الأمـــن لمنع صدور قرار بتشـــكيل لجنة تحقيـــق دولية لتحديد المسئول عن استخدام الأسلحة الكيماوية مجددًا فـــى دوما، بناءً على مشـــروع تقدمت به الولايات المتحدة الأمريكية للمجلس، على نحو ساهم فى تصاعد حدة التوتر فـــى العلاقات بين روســـيا والدول الغربية، حيث وجهت بريطانيا انتقادات قوية للأولى بعد أن اتهمتها باستخدام الفيتو لحماية النظام السورى.

• وفى رؤية إيران، فإن ذلك قد يلقى بتداعياته علـــى الملف النووى تحديدًا، فى حالة مـــا إذا تطور التصعيد الحالى إلى مراحل غير مســـبوقة، خاصة إذا انســـحبت الولايات المتحدة الأمريكية منه، ويبدو أن إيران تحاول اســـتثمار التوتر المستمر فى العلاقات بين روسيا والدول الغربية لتعزيز موقفها استعدادًا لتلك المرحلة.

• عدم مشاركة إســـرائيل: اعتبرت الاتجاهات الســـابقة أن حرص الدول الغربية على عدم إشـــراك إســـرائيل فى الضربة الثلاثيـــة، كان الهدف منه توجيه رسالة بأن أولويتها تنحصر فى اســـتهداف المواقع الخاصة بالأسلحة الكيماوية فقط التـــى يمتلكها النظام السورى، دون توســـيع نطاقها لتشمل قصف مواقع تابعة لإيران أو الميليشيات الموالية لها، خاصة حزب الله، لا سيما أن إسرائيل قامت، فى 9 إبريل الماضى، بتوجيـــه ضربة ســـريعة لمطار «تى فور» العسكرى، أســـفرت عن مقتل 7 من المستشارين العسكريين الإيرانيين من بينهم عقيد متخصص فى تســـيير الطائرات من دون طيار.

•قلق تجاه الصين: لم تخف طهران قلقها من المواقف التى تتبناها الصين فى مجلـــس الأمن فى الملفـــات التى تحظـــى باهتمام خاص مـــن جانبها. فللمرة الثانية على التوالى، تمتنع الصين عن التصويت، حيث اتخذت هذا الموقف للتعامل مع مشروع القرار الذى أعدته بريطانيا، بالتشاور مع الولايات المتحدة وفرنســـا فى 18 فبراير 2018، لإدانة إيران بسبب تقاعسها عن وقف تهريب الأســـلحة والصواريخ إلـــى الحوثيين. وكررت ذلك فى مشـــروع القرار الذى أعدته الولايات المتحدة، فى 10 إبريل، للدعوة لتشكيل لجنة تحقيق دولية بعد استخدام الأسلحة الكيماوية فى سوريا.

•وتعنـــى هذه السياســـة الصينية بالنسبة لإيران أنه لا يمكن الرهان على دعم بكين لهـــا داخل مجلس الأمن، فى حالة ما إذا وصـــل التصعيد بين إيران والـــدول الغربية إلـــى مرحلة حرجة، قد تتجـــه الأخيرة فيها إلـــى المجلس لاســـتصدار قرارات ضدها، على نحو

قد يتحول إلى متغير مهم يســـاهم فى تحديد اتجاهات السياسة التى ستتبعها طهران تجاه بكين خلال الفترة القادمة.

•تداعيات الضربـــة على البنيان الثلاثى الضامن للأمن فى ســـوريا (تركيا وروسيا وإيران):

ســـبقت الإشـــارة إلى أن الموقف التركى من الضربـــة كان مغايراً تماماً لموقف كل من روسيا وإيران. ولا ريب فى أن هذا الاختلاف سيلقى بظلاله على علاقات الدول الثلاث فيما يتعلق بالأزمة السورية، لاســـيَّما وأنها الدول الضامنة لمناطق خفض التصعيد فى هذه البقعة الملتهبة من العالم. ومن ثَمَّ، إذا فشلت الدول الثلاث فى التوصل إلى تفاهمات وترتيبات جديدة حول أهدافها النهائية واستراتيجياتها الحقيقية، فإن الوضع سيكون أكثر تعقيداً. وفى هذا السياق، يجب انتظار القمة الثلاثية المقبلة فى طهران لرؤية آثـــار التوجهات الحالية على عملية آستانا (9).

المراجع:

- أحمد جمعة، «تعرف على المناطق المستهدفة فى العدوان الثلاثى على سوريا». 14 أبريل 2018. موقع اليوم السابع.

(2- https://www.youm7.com/ المرجع السابق.

3 - «ردود فعل دولية وعربية على العدوان الثلاثى الذى استهدف سوريا». 14 أبريل 2018. موقع الميادين.
(http://www.almayadeen.net/news/politics/871328/).

-4 المرجع السابق.

-5 يوسف صابر، «محددات الموقف الفرنســـى تجاه أزمة الجاسوس «سكريبال».23 أبريل 2018. موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة. (https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/3870).

-6 المرجع السابق.

-7Hamidreza Azizi, "MOSCOW TO PURSUE MORE INDEPENDENT PATH TOWARD POLITICAL SETTLEMENT IN SYRIA". 14 April 2018. Website of Valdai Club. (http://valdaiclub.com/a/highli ghts/moscow-de-escalating-syria/).

-8 «ملفات مترابطة: كيف تتعامل إيران مع الضربة الغربية لســـوريا؟». 17 أبريل 2018. موقع مركز المســـتقبل للأبحاث والدراســـات المتقدمة.(https://futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/3858/).

-9Hamidreza Azizi. Op. Cit.

الانتخابات التركية وعفرين المحتلة

لم يكن سقوط تمثال «كاوه الحداد» بقلب مدينة عفرين بشمال سوريا مجرد سقوط لتمثال من الحجر، أو إهانة متعمدة لرمز كردى مثل الحداد بقدر ما كان سقوطاً لمشروع فكرى وسياسى لأكراد سوريا. جسد سقوط تمثال الحداد رمز عيد النيروز عند الأكراد، والبطل الأسطورى الذى وقف فى وجه الملك الفارسى أزدهاك الذى نكل بالكرد وفق الأسطورة الكردية، بداية حلقة جديدة ومستقبل أكثر غموضاً ينتظر الأقلية الكردية بسوريا.

محسن عوض الله

باحث فى الشئون الكردية

mospress2000@yahoo.com

و18 مارس 2018 لم يكن يوماً عادياً فى تاريخ الكرد عموماً وكرد سوريا بشكل خاص، فمدينة زيتونهم عفرين قد احتُلت، وأغصانها قد سقطت بيد القوات التركية وحلفائها من فصيل الجيش الحر والمعارضة السورية.

لحقت عفرين مدينة الزيتون، بكركوك قدس الأكراد، وسقط الحلم بشمال سوريا كما تم إجهاض فكرة الدولة بشمال العراق، تشابهت التجربتين فى الفشل والسقوط وكأن قدر الكرد ألا تكتمل لهم فرحة. 58 يوماً صمدت فيهم عفرين فى مواجهة الهجمات التركية المدعومة بفصائل وميليشيات سورية وسط صمت وتواطؤ دولى رهيب، لم يشفع للكرد مشاركتهم الفعالة فى قتال تنظيم داعش الإرهابى وتحريرهم المدينة تلو الأخرى من قبضة التنظيم.

لم تحظ عفرين بجزء قليل من الاهتمام العالمى الذى حظيت به الغوطة الشرقية رغم أن استهداف المدنيين الذى تحرك من أجله الغرب فى الغوطة حدث بشكل كامل فى عفرين، ورغم أن تركيا استخدمت نابالم وأسلحة محرمة فى عفرين كما استخدمها النظام فى الغوطة. وبغض النظر عن تفاصيل السقوط، فالواقع يقول أن عفرين التى تمثل واحدة من ثلاث مقاطعات تكون الفيدرالية الكردية بالشمال أو كما يسميها الكرد «روج آفا» قد سقطت وخرجت من كونها مدينة كردية تديرها إدارة كردية إلى مدينة يحكمها والى تركى وقائمقام عثمانى وتتبع ولاية هاتاى التركية ويرفع فيها العلم التركى ويهتف أطفالها فى المدارس للقائد أردوغان.

سقطت عفرين تحت نظر واشنطن الحليف الرئيسى لأكراد سوريا والتى كان يعول عليها الأكراد لتكون حامية لهم وضامنة لحقوقهم فى إقامة فيدرالية روج آفا ودعمها بشكل كبير. سقطت عفرين بتواطؤ واضح ومعلن من موسكو صاحبة النفوذ والعلاقات الجيدة مع كرد سوريا، موسكو التى عملت كوسيط لتقريب وجهات النظر بين الكرد ونظام دمشق ومنعت المواجهات بين الطرفين خلال سنوات الأزمة السورية. عمّق سقوط عفرين من حدة الخلافات بين قوى المعارضة السورية والأكراد بسبب ممارسات «الجيش السورى الحر» الموالى للأتراك المناهضة لأهالى عفرين من نهب لمنازل المدينة وقتل المدنيين بدم بارد، فضلاً عن التنكيل بجثث المقاتلات الكرديات أمام عدسات الشاشة كما حدث مع المقاتلة بارين كوبانى.

خطأ الأكراد بين عفرين وكركوك

بحسب دراسة لمركز الشرق الأوسط للدراسات والأبحاث الإستراتيجية لا تختلف التجربة الكردية العراقية عن السورية كثيراً، فبعد ظهور «داعش»، تمّ توكيل الأكراد من قوى محلية وإقليمية ودولية بقتالهم، وتم تزويدهم بالأسلحة والتدريب من كل الجهات، وبالغطاء الجوى، قاتلوا المنظمات الإرهابية وانتصروا عليها فى الكثير من البقاع العراقية والسورية. ثم انتفت الحاجة لهم دون أن يعرف الأكراد كيفية الاستفادة من الانتصار الميدانى فى المجال السياسى ليصدق فيهم قول الكاتب الأمريكى جوناثان راندل فى كتابه «أمة فى شقاق» الذى تحدث فيه عن الأكراد بقوله «ماهرون عسكرياً.. فاشلون سياسياً». وذكرت الدراسة أن بسالة القتال التى أظهرها الأكراد فى الميدان أنهت الحاجة إليهم سريعاً، فتُركوا لمصيرهم، ولم يدم الحلم الكردى طويلاً، وانتهى إلى سراب ووهم. وفى شمال سوريا، لم يختلف الوضع كثيراً عن العراق حيث حطمت «قوات سوريا الديمقراطية» ذات الأغلبية الكردية «تنظيم الدولة الإسلامية» وسيطرت على معاقلها الأساسية، وتراجعت «داعش» إلى حدود الاضمحلال فى أبرز البقع الجغرافية السورية، فتدخلت تركيا لتصفية حسابها مع الأكراد، فسيطرت على عفرين ويبدو أنها لن تتوقف عندها.

تحالف قاتل

ربما من حظ الكرد السيىء أن

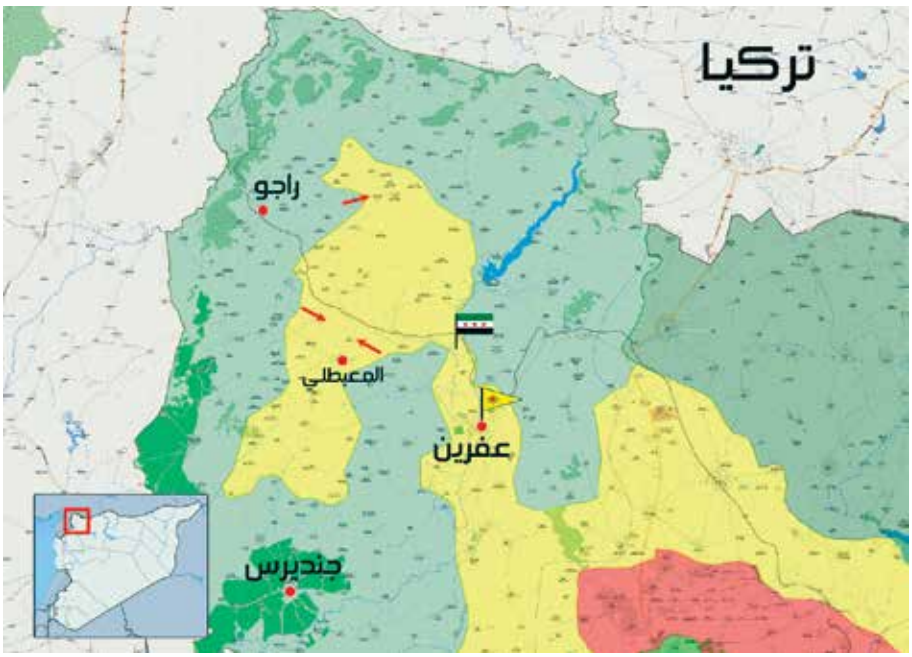

الانتخابات التركية وعفرين المحتلة

اختارتهم واشـــنطن كحليـــف لها فى مواجهة الإرهاب بسوريا وهو التحالف الـــذى وضع الكـــرد دوماً فـــى خانة «العمـــلاء» وجعلهم أعداء لكل الأطراف المتحاربة بســـوريا. فالكرد بالنســـبة للروس هم ميليشيات مسلحة مدعومة من واشنطن وذراع واشنطن العسكرى بســـوريا وممثلو مصالحهـــا لذا يجب الوقوف فى وجههم نكاية فى واشنطن وتعطيـــلاً لمصالحها، وهـــو ما دفع موسكو للسماح لأنقرة بدخول عفرين فضلاً عـــن تلميحاتها بعدم شـــرعية وجـــود التنظيمات الكردية المســـلحة بشمال ســـوريا وحق الجيش السورى فى مواجهتها، ودعوة الأتراك للتنســـيق مع الجيش الســـورى لمواجهتها وفق تصريحات نيكولاى تيبلوف قائد قاعدة حميميم الروســـية بســـوريا ما يوحى بعقاب روسى جديد ينتظر كرد سوريا على علاقتهم بأمريكا.

كمـــا أنهم بالنســـبة للنظام خونة يسعون لتقسيم الأرض السورية وتمزيق وحدة الدولة ويجب إجهاض مخططهم، أما تركيا فلا تراهم ســـوى ميليشيات إرهابية يجب القضاء عليها حماية للأمن القومى التركى ولا تترك مناســـبة دون الإعلان عن نيتها تكرار عملية عفرين فى منبج وتل رفعت بل وربما الرقة أيضاً فى رسائل ضمنية لواشنطن. أما المعارضة الســـورية والجماعات المسلحة فالكرد بالنســـبة لهم خوارج ملحدون مرتدون عن الإسلام قتلهم جائز وأموالهم حلال ونساؤهم غنيمة.

وفى ظل هذا العـــداء الذى يلاقيه الكرد من كل الأطراف نجد أن الحليف الأمريكى ليس موثوقاً به، ونظرته للكرد دونية بشـــكل كبير، فالكرد بالنســـبة لواشـــنطن حلفاء مؤقتون وميليشيات تحـــت الطلب فقط لا تلتـــزم ناحيتهم بشـــىء، أما العلاقات مع تركيا العدو اللدود للكرد فهى جزء من إستراتيجيات واشنطن بالمنطقة نظراً لما تمثله أنقرة من ثقل فى الصراع الســـورى وحاجة واشنطن لها فى مواجهة روسيا وتقزيم النفوذ الإيرانى بسوريا.

وبدا واضحـــاً للجميع أن التحالف الأمريكى الكـــردى فى مواجهة الإرهاب انتهى بشـــكل كبير، ولم يعد للكرد تلك الأهميـــة التى كانوا يحظـــون بها لدى الإدارة الأمريكية قبيل سقوط مدينة الرقة عاصمة تنظيم داعش بسوريا، فالكرد أشـــبه بورق التواليت الذى استخدمته واشنطن لتحقيق مصالحها بسوريا ثم ألقته فى أقرب سلة مهملات بعد انتفاء الغرض منه، وهو ما كشفته تصريحات ترامب المتكررة عـــن نيته الخروج من سوريا والحديث الأمريكى عن استبدال القوات الأمريكية بأخرى عربية بمناطق شمال سوريا ذات الغالبية الكردية.

كما لـــم تتحرك واشـــنطن تجاه تهديدات أردوغـــان بالتوجه إلى الرقة ومنبج، كذلك لم تنجح الضربة الغربية لســـوريا فى ضرب أواصر العلاقة بين أنقرة وموســـكو رغـــم ترحيب الأولى بالضربة مـــا اعتبره ماكـــرون بداية لاستعادة تركيا من حضن الدب الروسى قبـــل أن يعلن الكريملـــين أن الموقف التركى لن يؤثر على متانة العلاقة بين أنقرة وموسكو.

جُعبة خاوية

بعـــد أســـابيع قليلة من ســـقوط عفرين، لم يقدم الكرد ما يوحى بوجود تغيير فى إســـتراتيجية المواجهة التى يمكن أن تغيـــر من الواقع الجديد، وبدا الأكـــراد وكأن جعبتهـــم خاوية إلا من بعض البيانات وعمليات المقاومة ضد الاحتلال التركى التى لا أعتقد أنها يمكن أن تسفر عن تغيير ملموس على الأرض يعيد الأمـــور لما قبل ســـقوط «كاوه الحداد». أعتقد أن فكرة تحرير عفرين ربما تكون بعيدة المنال دون دعم دولى يتطلب تغييراً فـــى مواقف الدول التى سمحت لأنقرة باحتلالها. وحتى الآن لا توجد مؤشـــرات إيجابية لصالح الكرد بعفرين، فالممارسات التركية لم تلفت انتباه واشنطن التى يبدو أن مصالحها مع أنقرة تفوق بكثيـــر حاجتها لكرد سوريا أو قوات سوريا الديمقراطية التى قدمت جهوداً كبيرة فى مواجهة داعش.

تتريك عفرين

بدأت تركيا تخطـــط لمرحلة ضم عفرين للســـيادة التركية فبعد تعيين والٍ تركى ونقل تبعية المدينة السورية لولاية هاتاى التركية بدأت أنقرة حملة موســـعة لتتريك المدينة فى سيناريو مشابه للواء إســـكندرونة الذى انتزعته تركيا من ســـوريا فـــى الثلاثينات من القرن العشرين. وبحسب مصادر داخل عفرين فهناك عمليات تغيير ديموغرافى تتم بشـــكل موســـع لتغيير التركيبة الســـكانية للمدينة التـــى يمثل الكرد النسبة الأكبر بين سكانها، فمنذ احتلالها

المدينة سعت القوات التركية المدعومة بفصائل سورية عربية لممارسة عملية تتريك وتعريب كبيرة فى محاولة لتغيير الطابع الكردى للمدينة حيث تم تغيير أسماء الكثير من القوى والمحلات، كما تم نقل الآلاف من مهجرى الغوطة الشرقية وتوطينهم بعفرين بعد تهجير سكان المدينة الأكراد من منازلهم وفق دراسة للإدارة الذاتية بشمال سوريا.

عفرين والانتخابات التركية

تمثل السياسة التركية تجاه الأزمة محركاً كبيراً للأوضاع الداخلية التركية وتستخدم قضية أكراد شمال سوريا تحديداً والذين تعتبر معاداتهم والوقوف فى وجه طموحاتهم جزءاً من ثقافة الشعب التركى ما يدفع السلطة لاستغلال ذلك فى تحقيق مكاسب انتخابية والقفز فوق المشاكل الداخلية. وتعتمد إستراتيجية أردوغان بشكل كبير على خلق تهديد خارجى لمواجهة التحديات الداخلية، وهو ما ثبت قبيل استفتاء «تعديل الدستور» فى تركيا، الذى جرى فى 2017، مع التصعيد الإعلامى بين تركيا وألمانيا ودول أوروبية أخرى فضلاً عن عملية درع الفرات التى سبق وأطلقتها تركيا بشمال سوريا وسيطرت من خلالها على مدن إعزاز وجرابلس والباب ومازال العلم التركى يرفرف على تلك المدن. ففى مقال له بموقع «أحوال تركية»، شبّه الكاتب التركى، أوموط أوزقرملى، تدخل الجيش التركى فى عفرين بالعملية العسكرية التى نفّذتها القوات الأرجنتينية عام 1982 فى جزر فوكلاند ولاس مالفيناس التى كانت خاضعة للاحتلال البريطانى. وذكر الكاتب فى مقاله أن النظام العسكرى الذى كان يحكم الأرجنتين فى ذلك الوقت كان يواجه صعوبات جمة فى إدارة البلاد، بسبب الأزمة الاقتصادية التى تسببت فى اندلاع احتجاجات شعبية واجهتها السلطة بكل عنف، لدرجة أن الاضطرابات بالبلاد أدت لمقتل 15 ألف شخص.

وأشار أوزقرملى إلى أن النظام وجد ضالته فى البحث عن مغامرة عسكرية خارجية، وبالفعل فقد شرع فى واحدة أطلق عليها اسم «العملية الزرقاء»، ونجح فى احتلال جزر فوكلاند ولاس مالفيناس، وقابل الشعب الأرجنتينى العملية بمظاهرات تأييد ودعم أمام القصر الرئاسى. ورأى الباحث أن أوجه التشابه بين الأرجنتين وتركيا كبيرة، فمن حزب واحد حاكم ورئيس مطلق الصلاحيات إلى أزمة اقتصادية، حتى وإن كانت أقل حدة من مثيلتها فى الأرجنتين. كما أن تراجع مستوى الديمقراطية ونسبة الاعتقالات غير المسبوقة للمعارضين وارتفاع حدة الانتقادات الدولية، قد تجعل حرب عفرين نفسها، من وجهة نظر الكاتب، استنساخًا تركيًا لتجربة النظام الأرجنتينى. وكما استخدم أردوغان عفرين للهروب من مشاكله الداخلية يسعى لاستغلال نصره فى تعزيز أركان حكمه، حيث تمثل عفرين ركناً أساسياً فى قرار أردوغان الأخير بتقديم موعد الانتخابات البرلمانية والرئاسية بتركيا قبل موعدها بعام ونصف، فأردوغان يريد من خلال هذا القرار جنى ثمار «غصن الزيتون» والاستفادة من الزخم الذى حققه انتصار الجيش على أكراد سوريا فى عفرين فى تحقيق أغلبية نيابية لحزبه فضلاً عن نجاحه فى استمرار السيطرة على مقاليد الرئاسة التركية فى أول عهود النظام الرئاسى بتركيا.

ويدرك أردوغان أن التغييرات بالشأن السورى قد تؤثر حتماً على حظوظه الانتخابية ويخشى أن تحدث تطورات لا تحمد عقباها تؤثر على وضعية بلاده بسوريا، ولذا لا يوجد أنسب من هذا الوقت لإجراء الانتخابات لتصبح دماء أهالى عفرين هى السلم الذى يصعد عليه أردوغان لتحقيق أحلامه فى استعادة أمجاد السلطنة العثمانية.

مستقبل غامض لاكراد سوريا

يرتبط مستقبل عفرين بشكل كبير بمستقبل سوريا التى لا يمكن لأحد توقع شكلها ولا حدود أراضيها، فبقاء سوريا بشكلها الحالى وحدودها الحالية غير مؤكد كما أعلنت بذلك الخارجية الروسية وهو ما يفتح الباب لفكرة تقنين أو شرعنة احتلال المدن المحتلة بسوريا خاصة بالشمال كعفرين وإعزاز وجرابلس وهى المدن التى تسيطر عليها تركيا بشكل كامل. والغريب أن تصريح الخارجية الروسية حول حدود سوريا لم يلق أى تعقيب أمريكى وهو ما قد يشير لوجود احتمالية لتحقيق ذلك التقسيم خاصة وأن موسكو مصدر التصريح تعتبر المتحكم الفعلى فى ما يجرى بالأزمة السورية. ويبقى الشكل النهائى يرتبط برد الفعل الأمريكى فى ظل الخلافات داخل الإدارة الأمريكية حول طبيعة التعاطى مع الأزمة حيث يرغب ترامب فى الخروج من سوريا وهو ما ترفضه قيادات البنتاجون محذرة من ندم أمريكى حال إتمام هذه الخطوة.

ويبدو الكرد بحاجة لإعادة النظر فى تموضعهم وتحالفاتهم بالمنطقة فى ظل تباين المصالح مع الراعى الأمريكى والذى أثبتت الوقائع أنه حليف لا يمكن الوثوق به، على الكرد أن يعوا أن ارتباطهم بأمريكا لن يجعل منهم سوى ورقة تتقاذفها المصالح ومهما قدمت من خدمات فمكانها النهائى لن يتجاوز سلة المهملات.

روسيا وإيران وتركيا يرسمون مستقبل التسوية السورية

اختتمت فى العاصمة الكازاخية يوم 15 مايو 2018 الجولة التاسعة من «محادثات الآستانة» حول التسوية السياسية للأزمة السورية بمشـــاركة الدول الثلاثة الضامنة وهى (روسيا، تركيا، إيران)، واتفقوا على عدد من الإجراءات لدعم التسوية السياسية فى سوريا، وأكدت الدول الثلاثة التزامها الثابت بضرورة الحفاظ على سيادة ســـوريا واستقلالها ووحدة أراضيها، بما يؤكد أنها هى من ترسم مستقبل التسوية السياسية فى سوريا.

منى سليمان
باحثة فى العلاقات الدولية
solimanmona484@yahoo.com

محادثات الآستانة

عقدت الجولة الأولى فى يناير 2017 وذلك بعدما تمكنت الحكومة الســـورية من استعادة الســـيطرة على مدينة حلب الاستراتيجية فى ديسمبر 2016 مما مهد لتوقيع أول اتفـــاق للتهدئة بين الفصائل المعارضـــة والحكومة الســـورية برعاية موســـكو وأنقرة. وكان ذلك مؤشرًا على فشل الاعتماد على الحل العسكرى فقط فى الملف الســـورى، وتصاعد الدور الروسى فى سوريا خاصة والشرق الأوسط عامة. ثم توالى بعد ذلك عقد جولات المفاوضات برعاية (روسيا، تركيا، إيران). وبالتزامن مع تلك الجولات عقدت عـــدة قمم ثلاثية على مستوى رؤساء الدول الثلاث لتحديد أولويات تقاســـم النفوذ فيما بينهم وكان آخرها قمة موســـكو الثلاثية وقمة أنقرة الثلاثية التى عقدت فـــى 4 أبريل 2018 بين رؤساء إيران «حسن روحاني» وروسيا «فلاديميـــر بوتين» والمضيـــف الرئيس التركى «رجب طيـــب أردوغان». وأكدت البيانـــات الختامية لتلك القمـــم الثلاثية على الالتزام بسيادة سوريا واستقرارها، ووحدة أراضيها، وعلى ضرورة مَنع الأكراد من إقامة كيانِهم السِّياسيّ المُستَقِل شمال ســـوريا، ورَفض أى وجودٍ أمريكيٍّ تحتَ سِـــتار مُكافَحة الإرهاب. والالتزام بِعودَة اللاجئين الســـوريين إلى مُدنِهم وقراهم، وكذلك أشـــادوا بمؤتمر الحـــوار الوطنى الســـورى الذى عقد فى مدينة سوتشـــى الروســـية في30 يناير 2018، لأنه يشكل معلماً مهماً، يمهد لحل سياسي فى سوريا، وتعهد الزعماء بدعم عملية تأسيس لجنة الدستور التى ستبدأ عملها فى أقرب وقت ممكن بمســـاعدة الأمم المتحـــدة. وأنهم سيقدمون الدعم للسوريين لإعادة تأسيس وحدة بلادهم.

وكذلـــك يعقد اجتماع شـــهرى بين وزراء خارجية الـــدول الثلاث وكان آخر اجتماع بينهم فى موســـكو يوم 28 أبريل 2018 حضره وزيـــر الخارجية التركى «تشاويش مولود أوغلو» ونظيره الإيرانى «جـــواد ظريف» والروســـى «ســـيرجى لافـــروف» وذلك فى إطار آلية الآســـتانة. واختتمت الجولة التاســـعة 12-15 مايو 2018 بحضـــور وزراء خارجيـــة الدول الثلاثة وممثلين عن الحكومة الســـورية والمعارضة، وجدد البيـــان الختامى لها الالتزام بوحدة وسيادة الأراضى السورية، ومواصلة الحرب ضد «داعش» و«النصرة» وغيرهما مـــن التنظيمـــات الإرهابية فى ســـوريا حتى دحرها نهائياً. وأشـــار إلى اتفاق الأطراف على عقـــد الجولة المقبلة من اللقاء الدولى حول سوريا فى سوتشى الروســـية فى يوليو العـــام الحالى. وأكد المبعوث الدولى لسوريا الذى حضر بدوره المحادثات «ســـتيفان دى ميستورا» أنه يرحب بسعى الدول الضامنة إلى التعامل بشـــكل فاعل ومنهجى مع الأمم المتحدة فى مســـألة تنفيذ الإعلان الذى تم التوصل إليه. ومن جانبها رحبت دمشـــق بنتائج محادثات «آستانة9»، بينما لم تتأثر فاعلية المحادثات بغياب ممثلى الولايات المتحدة التى قاطعت المحادثات للمرة الأولى منذ بدايتها فى 2017 دون إبداء أسباب.

وكشـــفت محادثات (الآستانة 9) عن اتفاق هدنة بين موسكو وأنقرة لأول منطقة «خفض للتوتر» فى إدلب (مساحتها 6 كم مربع وتقع فى شمال غرب البلاد، وأصبحت مركزاً لتجمع الفصائل المسلحة المعارضة للدولـــة الســـورية بمختلـــف انتماءاتها السياســـية والدينية والأيديولوجية، حيث يرحل إليها كافة عناصر الفصائل المسلحة بعد هزيمتهم من قبل الجيش الســـورى فى وسط وجنوب سوريا، وهنا تبرز عدة مشكلات ستتعرض لها إدلب فى المستقبل القريب مما دفع الأمـــم المتحدة للتحذير من تدهور الوضع الإنسانى بها)، على أن تتعهد أنقرة بتنفيذ الاتفاق ومنع الفصائل المسلحة من العودة للعنف ولذا سيتم رفع عدد نقاط المراقبة التركية حول إدلب إلى 12 نقطة بهدف إحلال الاســـتقرار ومنع الأعمال العدائية ضد الحكومة الســـورية. ومن نتائج آلية الآســـتانة بعد عام ونصف على انطلاقها تحريـــر 60٪ من الأراضى الســـورية وأصبحت تحت سيطرة الجيش السورى الوطنى مقابل 30٪ من الأراضى لاسيما شمال سوريا تحت سيطرة القوات العربية الكردية «قسد» مقابل 10٪ تحت ســـيطرة داعش والتنظيمـــات الإرهابية والفصائل المعارضة الأخرى، الحفاظ على مناطق خفض التوتر التى وقعت لأول مرة فى مايو 2017 وتتوزع هذه المناطق على ثمانى محافظات من أصل 14 محافظة.

كما أن استمرارية محادثات الآستانة ونجاحهـــا فـــى تحقيق تقدم سياســـى وعســـكرى أثبـــت أن صيغـــة محادثات الآســـتانة هى المبادرة الدوليـــة الفعالة الوحيدة التى ساعدت على خفض العنف فى سوريا وأسهمت فى السلام والاستقرار، مما يضعف محادثـــات جنيف كآلية لحل الملف الســـورى، ولذا تكثف الدول الثلاث من جهودها لدعم آلية محادثات «الآستانة» حتى يتم بلورة صيغة الحل النهائى للأزمة السورية.

مصالح مشتركة

تمكنت روسيا وإيران وتركيا من تحييد كافة خلافاتهـــم التاريخية والأيديولوجية والتقوا على مصالحهم فى ســـوريا، حيث اتفقت الـــدول الثلاثة منـــذ يناير 2017 على ضرورة أن يكـــون الحوار هو الآلية المعتمدة بينهم لتقاسم النفوذ، ولتضمن

كل دولة منهم مصالحها الاستراتيجية فى سوريا والشرق الأوسط ككل، والتعاون الثلاثى برز جلياً فى الموقف التركى الإيرانى الروسى الموحد الرافض للقصف الجوى الأمريكى البريطانى الفرنسى على سوريا لاتهام دمشق بتنفيذ هجوم كيماوى على مدينة دوما فى منتصف أبريل 2018.

وفيما يخص مصلحة روسيا، إيران، تركيا لرعاية محادثات الآستانة منذ انطلاقها نجد أن لكل دولة مصالحها الخاصة فضلاً عن مصلحة مشتركة بينهم تتمثل فى رغبتهم بإرساء الأمر الواقع فى سوريا والتأكيد على أن الدول الثلاث هى الممسكة بالملف والقادرة على إنهائه أو تعقيده، وهو ما يعزز مكانة الدول الثلاث إقليمياً ودولياً. فالمصلحة الروسية تتمثل فى إرساء التواجد العسكرى فى سوريا من خلال قاعدتين عسكريتين هما «حميميم، طرطوس» اللتين تطلان على البحر المتوسط وبهذا يصبح للقوات الروسية منفذ على البحر المتوسط لأول مرة فى تاريخها، مما يؤهل موسكو لتصبح لاعباً حاسماً فى قضايا الشرق الأوسط خاصة سوريا مما عزز مكانتها الإقليمية والدولية، كما أن «بوتين» يرى أن البيئة الإقليمية والدولية مناسبة لتنفيذ كافة مخططاته للعودة كقطب دولى منافس للولايات المتحدة الأمريكية. حيث استطاع «بوتين» ملء الفراغ الإستراتيجى فى منطقة الشرق الأوسط بعد تراجع النفوذ الأمريكى بالمنطقة. وبالنسبة لإيران، هناك المصلحة الأيديولوجية فى تمدد الثورة الإيرانية ونشرها، فضلاً عن الحفاظ على نظام الرّئيس السورى «بشار الأسد» على رأس السلطة بسوريا كحليف لها. مما يسمح بالتواصل مع مختلف الفصائل والميليشيات الشيعية التى تدعمه فى العراق ولبنان واليمن، مما يعزز نفوذها الإقليمى. وفيما يخص المصالح التركية.. فعلى رأسها منع إنشاء كيان انفصالى كردى فى شمال سوريا، وإنشاء مناطق فاصلة بين الحدود التركية ومدن الصراع والمعارك بسوريا، واستمرار العمليات العسكرية التركية فى سوريا والعراق مثل (درع الفرات، غصن الزيتون)، إعادة اللاجئين السوريين من تركيا لبلادهم وقراهم.

وجدير بالذكر، أن التعاون بين الدول الثلاثة حول سوريا عزز من العلاقات الثنائية فيما بينهم ولعل التطور البارز فى العلاقات التركية الروسية أكبر دليل على ذلك فقبل القمة الثلاثية بأنقرة، عقدت قمة ثنائية بين «أردوغان- بوتين» حول العلاقات التركية الروسية وقد اتفق الجانبان على تعزيز العلاقات بينهما والارتقاء بها لمستوى التحالف الإستراتيجى رغم العداوة التاريخية بينهما، وقد تم اتخاذ أولى الخطوات الفعلية فى ذلك من خلال تدشين الرئيسين لمحطة نووية تركية ستقوم موسكو ببنائها تبلغ تكلفتها 20 مليار دولار، وذلك رغم أن تركيا عضو بحلف «الناتو» وكان الأحرى بإحدى دوله أن تساهم معها فى تدشين محطة نووية، مما يؤكد أن تركيا تضاعف الفجوة بينها وبين الحلف والاتحاد الأوروبى وواشنطن، وتعزز تقاربها مع موسكو مما سينعكس بشكل إيجابى على الأزمة السورية. كما أن تُركيا تُواجه أزمة اقتصاديّة وتتطلّع إلى زيادة حَجم التَّبادُل التِّجارى مع روسيا مِن 30 مليارًا إلى ما قيمَتُه مِئة مِليار دولار سَنويًّا، ومع إيران من عَشرة مِليارات إلى ثلاثين مِليارًا سَنويًّا على الأقل فى غُضون أعوام مَحدودَة.

كما أن «بوتين» و«أردوغان» أظهرا دعمهما للنظام الإيرانى خلال الاحتجاجات التى شهدتها عدة مدن إيرانية فى يناير 2018، حيث أكد «أردوغان» أن استقرار إيران مهم لتركيا، نظراً لأهمية المصالح الاقتصادية بينهما فضلاً عن أن النفط الإيرانى أحد مصادر الطاقة فى تركيا. ومن جهة أخرى فإن اعتماد أنقرة وطهران على الحل الروسى للملف السورى يعزز مكانة موسكو التى أصبحت أهم لاعب دولى فى سوريا وتتحكم فى اللاعبين الإقليميين فى الأزمة.

خلافات مستترة

رغم التوافق الواضح بين روسيا، إيران، تركيا ورغبتهم المعلنة فى التوصل لحل الأزمة السورية ورفض تقسيم سوريا حتى لا تصل حمى التقسيم لدولهم ذات الطبيعة الديموغرافية والطائفية والعرقية المتنوعة مثل سوريا، فيما عدا ذلك فهم يختلفون فى العديد من القضايا المتعلقة بالقضية السورية، ومن الأمثلة على هذا:

- الخلاف على التواجد العسكرى. فإيران ترفض تكثيف الوجود العسكرى التركى فى شمال سوريا حيث أصبحت أنقرة محتلة لمدينتين هما (الباب، عفرين) وأعلن أردوغان عزمه لاستكمال عملياته العسكرية لتشمل (تل رفعت، منبج، إدلب، القامشلي)، وقد دعا الرئيس الايرانى «حسن روحاني» أنقرة لسحب قواتها من عفرين وتسليمها للحكومة السورية. ومن جهة أخرى طالب وزير الخارجية الروسى لافروف يوم 18 مايو 2018 طهران بخروج القوات الإيرانية والميليشيات المسلحة التابعة لها من سوريا بما فيها قوات «حزب الله»، كما دعا من قبل أنقرة بالخروج من عفرين وتسليمها للحكومة السورية وهو ما رفضه «أردوغان»، مما ينذر بتفاقم الخلاف بين الدول الثلاث حول تقاسم التواجد العسكرى بينهم فى سوريا.

- تواجد قوات أجنبية. من جهة أخرى ترفض الدول الثلاث تواجد أى قوات أجنبية بأرض سوريا غيرهم، حيث أعلنوا رفضهم لتواجد قوات عربية بشمال سوريا وهو المقترح الذى طرحه الرئيس الأمريكى «دونالد ترامب» ويقضى بوجود قوات عربية بشمال سوريا تحل محل نظيرتها الأمريكية حال انسحاب الأخيرة، وكذلك أعلنت أنقرة رفضها وإدانتها لوجود قوات فرنسية بمدينة الحسكة شمال شرقى سوريا، ويوجد ما يقرب من 70 عنصراً تابعين للقوات الفرنسية الخاصة فى 5 مناطق شمالى سوريا، تحت اسم التحالف الدولى لمكافحة تنظيم «داعش»، ينتشرون فى (تلة مشتى النور جنوب مدينة عين العرب، وفى ناحية صرين، وبلدة عين عيسى وقرية خراب العاشق)، وهو ما سعت موسكو لاحتوائه عبر دعوة «بوتين» لوجود تنسيق روسي- فرنسى لاستئناف محادثات السلام فى سوريا، حتى يضمن وجود تنسيق بين قواته ونظيرتها الفرنسية.

- المواجهة بين الفصائل المسلحة: نشبت العديد من المعارك بين الفصائل المعارضة المسلحة المدعومة من تركيا ونظيرتها الموالية لإيران، ومن المتوقع أن تتفاقم تلك المواجهات مع قرب سيطرة الحكومة السورية على كافة المدن السورية. فمازال هناك 40٪ من مساحة سوريا خارج السيطرة الرسمية لدمشق. ومما سبق نجد، أن مستقبل التسوية السياسية السورية أصبح فى يد الدول الثلاثة التى تسعى لتقاسم النفوذ فى سوريا فيما بينها وتجنب التناقضات والنزاع على حصص التواجد العسكرى والسياسى بسوريا. هذا فى ظل عزوف أمريكى عن الانخراط فى أزمات الشرق الأوسط عامة وسوريا خاصة للتوصل لتسوية نهائية لها، ولذا سيبقى التعاون الثلاثى بين «موسكو وطهران وأنقرة» هو مفتاح الحل للأزمة السورية.

إسقاط الدول والأنظمة

بمناسبة مرور خمس سنوات على نهاية حكم الإخوان واستعادة مصر لهويتها واستقرارها، عادت إلى ذهنى ذكريات تلك الفترة التى شهدت دولاً كبرى منحازة ضد الدول التى لا تسير فى ركابها وتحاول أن تستقل بمواقفها السياسية والوطنية. وكان أهم سلاحين لها فى منطقتنا هما إسرائيل بما لديها من مهارات علمية وتكنولوجية وعسكرية وقطر بما لديها من أموال لتمويل العمليات الإرهابية والتخريبية.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

ولمن ينكر المؤامرات المحيقة بدولنا ومنطقتنا متناسياً عامداً أو متعمداً حقيقة ما فعله الغرب فينا فعليه التمعن فى دورهم فى إسقاط الأنظمة وتشريد الشعوب وتقسيم الأوطان مستخدمين فى ذلك جمعيات حقوق الإنسان التى تكيل بعدة مكاييل فلم يحدث إطلاقاً أن أخذت موقفاً حاسماً ضد الممارسات الإسرائيلية الإجرامية ضد إخواننا فى فلسطين، بالإضافة إلى بعض المنظمات غير الحكومية التى يتم تدريبها فى الخارج كما فى المعهدين الجمهورى والديمقراطى. وقد بدأت الحقائق فى الظهور وأحياناً باعترافهم وأهم أمثلة لذلك أوكرانيا ومصر والعراق وسوريا وليبيا.

فبعد ظهور كذب أسطورة السلاح النووى والكيميائى العراقى، اعترف نائب الرئيس الأمريكى السابق جون بايدن فى كتابه «أعطنى وعداً يا أبي» بتدخله فى الشأن الأوكرانى الداخلى ودفع الرئيس السابق فيكتور يانوكوفيتش للهرب أسوة بما تم مع زين العابدين بن على فى تونس كما أوضحت بلمبرج وRT وغيرهما.

وأذاعت عدة شبكات تليفزيونية ووكالات أنباء وصحف منها رويترز وBBC فى 7-12-2014 تسجيلاً لحديث هاتفى تم فك شفرته بين فيكتوريا نولاند مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية وقتها مع السفير الأمريكى تشكره فيه على دوره ودور رجاله فى تحفيز «الميدان» وإسقاط يانوكوفيتش وتبحث معه تكليف عدة شخصيات لتشكيل الحكومة الجديدة. وقد اتهمت السفارة الأمريكية المخابرات الروسية بالتنصت على هواتفها لأنها الوحيدة التى يمكن لها فك هذه الشفرة.

كما ذكرت وسائل الإعلام ومنها الجارديان وCNN فى 15-12-2013 وأكد كسفير سابق فى كييف أن السيناتور العنصرى جون ماكين رئيس المعهد الجمهورى سيئ السمعة تردد على ميدان الاستقلال محرضاً الجماهير المحتشدة على الاستمرار فى الميدان ووعدهم بمساعدات أمريكية سخية وبالدعم الأمريكى لعضوية أوكرانيا فى الاتحاد الأوروبى وتم تجهيز الميدان بأجهزة عرض حديثة جداً لا تتوافر فى السوق الأوكرانى لعرض فيلم الميدان وهو فيلم أمريكى من إخراج المخرجة جيهان نجيم وهى مصرية أمريكية إنتاج 2013 وبطولة خالد عبدالله مصرى بريطانى (أى قبل أحداث الاستقلال بشهر واحد، وقد يكون قد أنتج خصيصاً لاستخدامه فى أوكرانيا) وهو فيلم يدور حول كيفية نجاح الشباب فى ميدان التحرير فى إسقاط الأمن وتولى زمام الأمور. وكان المحتشدون فى ميدان الاستقلال يتلقون مرتبات يومية ويتم توزيع الغذاء عليهم لاستبقائهم لأطول فترة ممكنة فى الميدان.

بالإضافة إلى افتتاح قطر الممول الرئيسى للعمليات لسفارتها فى كييف قبل فترة وجيزة جداً من تنفيذ خطة إسقاط الرئيس الأوكرانى السابق فيكتور يانوكوفيتش.

وأعاد ذلك إلى ذاكرة المراقبين المشاهد التى رأوها وكأنها قص ولزق من أحداث ميدان التحرير كقتل المتظاهرين وقوات الأمن من أسطح المبانى وسيارات الدهس وسيطرة عناصر غير معروفة على الميدان والتخبط وعدم تحديد الخطوة التالية بعد عزل الرئيس يانوكوفيتش فبدت تلك المشاهد لهم وكأنهم يرون إعادة للتاريخ حيث شاهدوا هذا السيناريو من قبل فى القاهرة.

وقد خسرت أوكرانيا نتيجة هذه المؤامرة شبه جزيرة القرم جنوباً ومساحتها أكبر قليلاً من مساحة بلجيكا وإقليم الدونباس الغنى جداً بالتعدين من حديد وفحم ومصانع ثقيلة وأدى الأمر بأوكرانيا بعد ذلك إلى البحث عن هذا النوع من الفحم فى فيتنام وجنوب أفريقيا ولكنه لم يطابق احتياجاتها لاختلاف نوعيته عن الفحم اللازم لتشغيل مصانعها واضطرت إلى استيراد فحمها عن طريق وسطاء من انفصالى الدونباس هذا بخلاف الأعباء الاقتصادية التى تحملتها أوكرانيا فى التسليح بعد أن كانت دولة مسالمة دمرت بإرادتها الحرة أسلحتها النووية فى بداية استقلالها.

والآن وبعد فترة طويلة وبعد ثبوت التورط الأمريكى فى إسقاط نظام يانوكوفيتش يمكن تصور ما حدث فى يناير 2011 على الوجه التالي:

- رئيس كهل ترك كل مقاليد الحكم لزوجته وابنيه الذين عهدوا إلى أصدقائهم وذويهم بإدارة مصر اقتصادياً وتجارياً وصناعياً وسياسياً وبلغ الأمر مداه بالتزوير الفاضح لانتخابات 2010.
- تربص الدول الغربية لتغيير النظام المصرى بنظام جديد يكون حليفاً لهم وتحت سيطرتهم ولذلك جمعوا بعض الغربان الذين على استعداد لبيع بلادهم مقابل الدولارات ودربوهم على إسقاط الدولة بالإضافة إلى تنظيم الإخوان الإرهابى الذى كان قد وطد قواعده فى كثير من المدن والقرى.
- غليان الشارع المصرى على مبارك المريض العاجز والحكومة ودور الإخوان فى نشر الشائعات والتهييج.
- تحرك بعض الشباب الذى توقع أن يكون تحركه سلمياً تعبيراً عن عدم رضائه وهو ما كان واضحاً يوم 25 من علاقة ودية بين المتظاهرين والشرطة حتى كان يوم 28 يناير حيث تم الدفع بالغربان العملاء وذئاب الإخوان لتوجيه المتظاهرين للاصطدام بالشرطة وحرق الأقسام وبعض المحاكم ووزارة الداخلية للتخلص من كل الملفات التى تخصهم وكانت أجهزة الدولة قد رصدت أنشطتهم. ثم قفز الإخوان على مقعد القيادة بالاتفاق مع الغرب للسيطرة على النظام وتولى الحكم لتنفيذ الخطة الأمريكية لحل قضية فلسطين على حساب سيناء.

وتم احتلال أسطح المنازل بالميدان وقتل المتظاهرين ورجال الأمن لتوسيع الهوة بينهما وإثارة المتظاهرين وكذلك استخدام سيارات السفارة الأمريكية لدهس المتظاهرين وهى سيارات مجهزة ضد السرقة ولا يمكن استخدامها بعيداً عن علم السفارة وقد تكون السفارة قد تركت استخدامها لبعض الإخوان بالإضافة إلى الاستعانة بحماس وحزب الله لاقتحام السجون لإخراج قادتهم وفى نفس الوقت لإثارة الفوضى.

ويجمع عدد كبير من المحللين السياسيين أن الهدف الرئيسى للدول الغربية هو السيطرة على دول المنطقة تحت شعارات براقة كالديمقراطية دون اكتراث بأرواح أهلها وكرامتهم.

ولا ننسى تدخلها فى العراق الذى أدى إلى مئات الآلاف من القتلى وتعذيب الأبرياء فى سجن أبو غريب وجوانتانامو كأبرز دليل - بالإضافة إلى أفغانستان وسوريا وليبيا وأوكرانيا.

حفظ الله مصرنا الحبيبة.

رؤية مصر لأفريقيا

عندما نفتح صحائف التاريخ، يتبين البعد التاريخى والجغرافى للقارة الأفريقية، وأهميته للبعد الإستراتيجى للأمن القومى المصرى. فمصر ترتبط بأفريقيا ارتباطاً وثيقاً، على مر السنين، ويزداد هذا الارتباط، يوماً بعد يوم، وأكدته الطفرة التى حدثت فى العلاقات بين الطرفين، خلال العامين الماضيين، والثقة التى عادت بينهما. فمن الناحية التاريخية والحضارية ترتبط مصر ارتباطاً وثيقاً ببعدها الأفريقى؛ إذ تظهر نقوش معبد الدير البحرى أن الملكة حتشبسوت أقامت علاقات اقتصادية مهمة مع بلاد بونت.

كما بدأت مصر فى استكشاف كل سواحل القارة بالأسطول التجارى للملك نخاو(من الأسرة الـ26) فى أول رحلة بحرية طافت حول أفريقيا لتتعرف على سواحلها وللكشف عن الطرق التجارية والبحث عن بلاد جديدة للاتجار معها. ولعل الانتماء المصرى لأفريقيا، وعبقرية موقع مصر على أرضها، يفرض علينا متابعة ما يجرى على أرض أفريقيا, والمشاركة فى صنع حاضرها, وبناء مستقبلها من منطلق الأمن القومى المصرى من ناحية, والالتزام بمبادئ وأهداف مواثيق الاتحاد الأفريقى وغيره من المنظمات الإقليمية الأخرى فى القارة حيث تمثل الحضارة والثقافة والتاريخ والجغرافيا أهم القواسم المشتركة بين مصر وأفريقيا، فقارتنا السمراء تعتبر إحدى الساحات الأساسية للسياسة الخارجية المصرية ولمصالحها فى الماضى والحاضر والمستقبل، وترجع العلاقات المصرية مع القارة الأفريقية إلى قدم التاريخ، ثم تطورت تلك العلاقات فى مساندة مصر لحركات التحرر الأفريقية، التى قادتها حتى نالت شعوب القارة السمراء استقلالها، من خلال دعمها لها فى المحافل الدولية وتقديم العون والمال واستضافة مقار بعض حركات التحرر لكثير من تلك الدول.

وحيث تعمق مصر، بعد ثورة 30 يونيو، علاقاتها التاريخية بالقارة الأفريقية، ودورها الريادى فى قارتها، تكون دائرتها الأفريقية فى صدارة الاهتمام بعلاقاتها الخارجية. ولا يعنى ذلك أن تنفصل عن قضاياها العربية والشرق أوسطية، ولكن فى ميزان الأولويات، لا ينازع مجال مصر الجغرافى الأولوية إلا مجالها القومى – الثقافى العريض، فهى لا تعيش بالمعنى المادى إلا بالنيل ولا تتنفس إلا بخبرتها الثقافية العربية بمعناها

سفير أشرف حربى

ashrafharbi52@yahoo.com

الريادى المعرفى الواسع. كيف لا، وأفريقيا تمثل من منظور الأمن القومى الخالص، المجال الحيوى للدولة المصرية؛ فإذا كانت العروبة بالنسبة لمصر هى اللسان، فإن أفريقيا هى البنيان. فمصر بحكم الموقع وحقائق الجغرافيا دولة أفريقية قبل أن تكون دولة عربية، وهى تقع على مفترق طرق بين القارات الثلاث: آسيا، وأفريقيا، وأوروبا.

وفى هذا الإطار، نستعرض المداخيل النسبية للدولة المصرية التى تمكنها من تعميق علاقاتها إستراتيجياً مع أفريقيا»، بما يعنى طرح رؤية إستراتيجية لتوظيف ما تتميز به الدولة المصرية من قدرات نسبية وما تمتلكه من أدوات ذاتية غير متاحة لغيرها من القوى الإقليمية والدولية، التى تتكالب فى الاستحواذ على خيرات ومقدرات القارة الأفريقية والتى تتعارض فى بعضها مع ثوابت تأمين وحماية الأمن القومى المصرى فى دوائره الأفريقية وغير الأفريقية. وهى المداخيل التى يمكن لمصر من خلال تنفيذها عبر انتهاج أسلوب الشراكات المنتجة؛ أن تفعل علاقاتها مع أفريقيا بصورة مستقبلية مميزة تنطلق فى ذلك من رؤية مصرية أفريقية خالصة، تراعى خصوصيات المصالح المصرية فى القارة كما تراعى مستجدات التغير فى الساحة الأفريقية التى لم تعد منغلقة على ذاتها بل سارت محط أنظار القوى الإقليمية والدولية المتنافسة.

وتتوقف قوة أية دولة على قدراتها البشرية من حيث الكيف لا الكم وعلى المستوى العقلى الرفيع لكوادرها ومدى إيمانها بالبحث العلمى كمنهج منطقى فى التطور والارتقاء وكذلك الأطر التنظيمية الفعالة التى تعمل فى ظلها تلك القدرات والعقول الخلاقة المبدعة. وفى سبيل تحقيق ذلك تتطلب الدولة الأفريقية وكنتيجة لتركيبتها الديموغرافية المتنوعة دفعة قوية لإنشاء العديد من المدارس والمعاهد والجامعات لتكون البنية التحتية العلمية المتينة للدولة التى يمكن من خلالها أن تعيد تعليم وتأهيل وتطوير ذاتها بصورة تمكنها من الدخول إلى عالم المعرفة والتصنيع والابتكار. وبالتالى فإن أكبر استثمار يمكن لمصر أن تقوم به هو الاستثمار فى شباب القارة وتعليمهم، وهو الواقع الذى يمكن لمصر أن تكرر من خلاله تجربتها التاريخية مع الدولة الخليجية إبان اكتشاف البترول فى القرن الماضى، حين خاضت هناك ملحمة لتعليم وتأهيل شعوب تلك الدول التى عاشت فى أمية فى ظل الاستعمار البريطانى. وهنا يمكن للخبرة المصرية فى هذا المجال أن تلعب دوراً مهماً فى تأهيل تلك الشعوب وتكون رأسمال التعاون مع مختلف البلدان الإفريقية، فتسعى مصر إلى استيعاب العديد من طلاب تلك الدول عبر برامج وبروتوكولات تعاون موسعة مع مختلف الجامعات والمعاهد المصرية ونظيرتها الأفريقية المتنوعة بصورة تجسد على أرض الواقع الثنائى للجانبين ملحمة تعليمية وتنويرية وتثقيفية وفنية متعددة المهام والمستويات.

حقائق جديدة حول مذابح رواندا

اختارت الأمم المتحدة كيجالى عاصمة رواندا المدينة الأجمل فى أفريقيا لعام 2015. رواندا، هذه الدولة التى تتطلع حالياً لمستقبل ملىء بالتنمية والازدهار لا تنسى المشهد الدموى الذى عصف بها فى تسعينات القرن العشـــرين. وبعد مرور ربع قرن على المذبحة التى راح ضحيتها مئات الآلاف من المدنيين خاصة من عرق التوتســـى، يقف الضمير العالمى الدولى أمام مسئولياته وتتكشف المزيد من الحقائق لتبرىء ساحة بعض من تم اتهامه وتصرخ فى وجه من ســـاعد أو تستر على أكبر مذبحة شهدها العالم فى النصف الثانى من القرن الماضى. وإليكم بعض هذه الحقائق التى تمت إزاحة الستار عنها.

منى الدالـى

monamdaly@yahoo.fr

ماذا أشعل الفتنة؟

عـــادة ما تبـــدأ جميـــع الإبادات الجماعيـــة، عندما يشـــتد العنف بين عرقيـــن أو دينين مختلفيـــن من أجل التخلص مـــن العرق الآخـــر أو الدين الآخر. انتشر العنف بين قبيلتى سكان رواندا الهوتو والتوتسى فى عام 1978 عندما انتخب زعيـــم الهوتو جوفينال هابياريمانا، رئيســـاً لرواندا. وبعد 12 عاماً من السلام، اغتيل هابياريمانا بينما كان عائداً إلـــى العاصمة كيجالى على متن طائرة عـــن طريق صاروخ أرض جو. ففـــى يوم 6 أبريل عـــام 1994، ومع إســـقاط الطائرة التى كانت تحمل الرئيس الرواندى هابياريمانا والرئيس البوروندى ســـيبريان نتارياميرا، أثناء هبوطها فى كيجالـــى وعلى الرغم من أنهم لم يحددوا من أطلق الصواريخ، إلا أنه بعد نحو ساعة من قتل الرئيس بدأت شرارة الحرب الأهلية .

دور الأمم المتحدة:

تولـــى د. بطرس بطـــرس غالى، الأمانة العامة للأمم المتحدة فى فترة من أصعب الأوقات التى كان يمر بها العالم ولاســـيما أفريقيا. فخلال الأعوام التى عمل فيها هناك منذ 1992 وحتى 1996 حـــاول إيقاف عدد كبير مـــن المذابح التـــى تحدث من حوله فى العالم، إلا أن محاولاته لم تكن تنتهى دائماً بالنجاح. وتعرض بطرس غالى لانتقادات خاصة من جانب الولايات المتحدة حول إدارته للأزمات. وهـــى اتهامات غير صحيحة وغير مبـــررة. فقد نشـــرت صحيفة «نيويـــورك تايمز» الأمريكيـــة تقريراً تناولت فيه محاولات بطرس غالى حل مشـــكلات أفريقيا التى كان على رأسها أزمة رواندا. وصفت الصحيفة الأمريكية د.غالى، بأنه دبلوماسى مستقل وقوى الإرادة، تولى منصبه فى الأمم المتحدة بعد سقوط الاتحاد السوفييتى، ومرور العالم بحالة من الفوضى السياسية التى كان يبحث فيها عن السلام، بعد اندلاع عدد من الحـــروب الأهلية فى الصومال ويوغوســـلافيا، بالإضافة لأزمة رواندا وهى الأسوأ بين عرقى الهوتو والتوتسى والتى انتهت نهاية مأساوية.

فـــى ذلـــك الوقـــت كان هناك ما يقرب من 60.000 فرد ينتمون لقوات حفظ الســـلام التابعة للأمم المتحدة، وأراد بطـــرس غالى من هذه القوات أن تتدخل لوقف أعمال العنف إلا أن كثيراً من الحكومات تراجعت وعلى رأســـها الولايات المتحدة، وامتنعت أن تشـــارك قواتها. وعندما تم الإعـــلان عن مذابح جماعية فى رواندا فـــى 1994 امتنع عدد كبير من الحكومات عن المشاركة مع قوات الأمم المتحدة فى حفظ السلام وهو الأمر الـــذى اعتذرت عنه إدارة بيل كلينتون فيما بعـــد. وأعلنت الحكومة الرواندية فى وقت لاحق عن مقتل 1.1 مليون شخص خلال 100 يوم.

والجدير بالذكر أن جهود د. بطرس غالـــى كانـــت اســـتباقية فيما يخص الوضع فى رواندا حتـــى تمت عرقلتها من قبل الدول الكبرى. ففى أغســـطس 1993، من خلال جهود منظمة الوحدة الأفريقية، والحكومـــات فى المنطقة، وبمساعٍ شـــخصية من د. بطرس غالى كان قد تم التوقيع على اتفاقيات للسلام فى أروشـــا بتنزانيا لوضع حد للصراع بين الأغلبيـــة الممثلة للهوتو والحكومة والمعارضة الرواندية أو الجبهة الوطنية الممثلة للتوتســـى. وفى أكتوبر 1993، أنشـــأ مجلس الأمن بعثة الأمم المتحدة لمســـاعدة رواندا مع ولاية تشمل حفظ السلام والمســـاعدات الإنسانية والدعم العام لعملية السلام.

لكن جهود حفظ الســـلام انهارت تماماً ولم تعد هنـــاك أية فرصة لتنفيذ اتفاق أروشا للسلام بعد اغتيال الرئيس الروانـــدى، وهو ينتمـــى للأغلبية من الهوتو، وما أعقبه من مذابح ضد أقلية التوتســـى على يد عناصر من الهوتو. ومع تقاعس المجتمع الدولى عن القيام بدوره فى وقف المذابح، تقدمت فرنسا بمبادرة لإرسال قوة للمساعدة الإنسانية باسم عملية «تركواز» اعتباراً من يونيو 1994، وتبين لاحقـــاً أن الغرض كان إنقاذ بعض الشخصيات الهوتو الموالية لفرنسا. ومع انسحاب عملية «تركواز» من جنوب غرب رواندا فى ٢١ أغسطس ١٩٩٤، تولـــت بعثة الأمـــم المتحدة للمساعدة فى رواندا المسئولية الكاملة عن منطقة الحماية الإنسانية قبل تولى إدارة مدنية رواندية جديدة زمام الأمور تدريجياً.

لم تسلم فرنسا أيضاً من الانتقادات بالتباطؤ فى التقدم داخل رواندا وإنقاذ الضحايا. هذه الاتهامـــات دفعت قائد العملية الجنرال جـــان كلود لافوركاد إلى نشـــر كتاب يؤرخ شـــهادته تحت عنوان «عملية تركواز». ليبرئ نفســـه وجنوده وبلاده مؤكداً أن المذابح التى تمت بالسلاح الأبيض كان من الصعب التصدى لهـــا أو توقيـــف مرتكبيها. والحقيقة أن الجنود والميليشيات الذين شـــاركوا فى جريمة الإبادة الجماعية كان قد فـــر معظمهم إلـــى جمهورية

الكونغو الديمقراطية، المعروفة آنذاك باسم زائير، آخذين معهم 1.4 مليون من المدنيين. واستخدمت مخيمات اللاجئين أيضاً من قبل جنود الحكومة الرواندية السابقة لإعادة تسليح وتنظيم الهجمات العسكرية فى رواندا. وكانت تلك الهجمات أحد العوامل التى أدت إلى نشوب الحرب بين رواندا وزائير فى عام 1996.

محاكمة المسئولين:

بدأت الحكومة الرواندية محاكمات الإبادة الجماعية التى طال انتظارها فى نهاية عام 1996. وبحلول عام 2000، كان هناك أكثر من 100.000 من المتهمين بجرائم الإبادة الجماعية في انتظار المحاكمة. فى عام 2001، بدأت الحكومة فى تنفيذ نظام العدالة التشاركية، المعروف باسم غاكاكا، من أجل تدارك التأخر الهائل في القضايا .

وعلى الصعيد الدولى، أنشأ مجلس الأمن فى 8 نوفمبر 1994 المحكمة الجنائية الدولية لرواندا فى أروشا بتنزانيا. بدأت التحقيقات فى مايو 1995. وتم جلب أول المشتبه بهم إلى المحكمة فى مايو عام 1996، وبدأت القضية الأولى فى يناير عام 1997. وكانت محكمة الأمم المتحدة لديها ولاية قضائية على جميع انتهاكات حقوق الإنسان الدولية التى وقعت فى رواندا بين يناير وديسمبر 1994. ولم يتم ملاحقة بعض الأعضاء رفيعى المستوى من الحكومة والقوات المسلحة الذين فروا من البلاد دون عقاب. وقد أدانت المحكمة رئيس الوزراء جان كامباندا خلال الإبادة الجماعية، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. وبحلول أبريل 2007، صدر سبعة وعشرون حكماً بحق ثلاثة وثلاثين متهماً .

المسكوت عنه فى مذابح رواندا:

بعد كل هذه السنوات وبعد اعتراف الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون بتقاعس القوى الدولية عن التدخل لمنع الإبادة الجماعية فى رواندا، وبعد أن أكدت معظم الأطراف أن الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك د. غالى حاول مراراً وتكراراً الضغط على أعضاء مجلس الأمن للتدخل حتى نجح فى إيفاد القوة الفرنسية بولاية أممية تظهر حقائق أخرى حول لاعبين قاموا بأدوار خفية فى هذه المأساة.

ففى 22 مايو 1994، نشرت الحكومة الإسرائيلية رسالة خاصة تقول: « حكومة إسرائيل منزعجة من المذابح التى تحدث فى رواندا، وقتل مئات الآلاف من الأبرياء، وهى التجربة التى مر بها اليهود من قبل». وكانت هذه الرسالة محاولة من الجانب الإسرائيلى لدحض الاتهامات التى وجهت إليها بالمشاركة فى المذبحة. وتتكشف لنا معلومات أخرى: «رواندا والسلاح الإسرائيلي»: تحت هذا العنوان نشر الكاتب والمحلل الإسرائيلى عيدان لنداو، فى مدونته الشخصية مقالاً صحفياً يرصد خلاله ما اقترفته إسرائيل فى الحرب الأهلية التى دارت فى رواندا مؤكداً أن الجانب الإسرائيلى كان له دور فى دعم هذه المذابح. ولم يتم الكشف عن حجم صفقات التسليح الإسرائيلى التى أرسلتها إسرائيل لدعم «الهوتو» إبان المذبحة، وذلك بدعوى حماية الدولة والحفاظ على علاقاتها الخارجية، وعدم الكشف عن أسماء بعض السياسيين وتجار السلاح المشتبه فيهم، بجانب الدعم العسكرى الإسرائيلى الرسمى وغير الرسمى. فلقد كشفت سلسلة التحقيقات والكتب التى تم نشرها عن تلك الفترة عن دور إسرائيل فى تصدير الأسلحة إلى رواندا وقت الحرب، بعد أن توقفت أكثر من عام ونصف قبل نشوب الحرب، وبالاطلاع على كتاب سارة ليفوفيتش، الكاتبة بصحيفة «معاريف»، يتبين أن إسرائيل كان لها دور كبير فى دعم الجيش الروانداى وقبائل «الهوتو» بالسلاح.

أما فى كتاب The Arms Fixer، للكاتبين براين فد وجون فلمان، والذى يتضمن بعض المعلومات المستقاة من وثائق وزارة الدفاع الرواندية، فيظهر أن الفترة من أبريل وحتى منتصف يوليو عام 1994 شهدت إرسال سبع صفقات أسلحة من إسرائيل، بتكلفة قيمتها 6.5 مليون دولار بمساعدة ألبانيا.

وكان تقرير «امنيستى انترناشونال» الحقوقى قد كشف عام 1995 أن إسرائيل أرسلت أسلحة رشاشة من طراز «عوزى» المتبقية من حرب أكتوبر إلى رواندا، بالإضافة إلى بعض الأسلحة الصينية التى تم شراؤها فى ألبانيا من خلال شركة شحن إسرائيلية، كما درب ضباط الجيش الإسرائيلى مقاتلى ميليشيات «الهوتو»، وبالأخص «كتائب الموت» قبل تنفيذ المذبحة. ومن ناحية أخرى، سعت إسرائيل لصد أية محاولة قانونية تهدف للتحقيق فى حقيقة هذه الاتهامات، فلقد رفضت المحكمة المحلية دعوة المحاميين ايتى ماك ويائير أوران، بدعوى أن الكشف عن معلومات كهذه من شأنه أن يضر بأمن الدولة وعلاقاتها الخارجية.

وإن كان تقرير هيومان رايتس واتش فى 1993 قد أشار لبعض الدول التى كانت قد وقعت مع حكومة كيجالى اتفاقيات لتوريد أسلحة خفيفة ومتوسطة بتواريخ سابقة على مرحلة المذابح رغم أنها عقود قانونية موثقة بين هذه الدول إلا أنه لم يذكر من قريب أو بعيد هذا الدور الإسرائيلى الخفى فى رواندا فى التسعينات.

ومازالت الحقائق الجديدة تتكشف حول تلك المأساة الإنسانية تدين البعض وتبرئ ساحة البعض الآخر.

المحيط الهندى والقرن الأفريقى فى التاريخ والاستراتيجية الدولية

أهمية موقع جزيرة سوقطرة:

تبلغ مساحتها 3796 كيلو متراً مربعاً، وتقع فى المحيط الهندى قبالة الشاطئ الأفريقى بمسافة 80 كيلو متراً من أقرب نقطة أمام القرن الأفريقى (رأس جورادفوى). وتبعد عن اليمن فى أقرب نقطة 380 كيلو متراً. وهى جزيرة يمنية، وقد احتلتها بريطانيا فى عام 1835، ثم احتلت عدن فى عام 1839، كما احتلت جزيرة بريم (ميون) فى عام 1847.

ويرى ضابط البحرية والخبير الجيواستراتيجى الأمريكى ألفريد ماهان A.Mahan والذى توفى عام 1914 بأن «كل من يحقق السيادة البحرية فى المحيط الهندى سيكون لاعباً بارزاً على الساحة الدولية» لافتاً إلى أن المحيط الهندى هو المفتاح للبحار السبعة فى القرن العشرين.

ومن يسيطر على جزيرة سوقطرة يملك مفاتيح السيطرة على البحار السبعة الرئيسية فى العالم. فجزيرة سوقطرة تعتبر بوابة دخول القرن الأفريقى، كما أنها نقطة انطلاق من المحيط الهندى إلى البحر الأحمر وأوروبا، فضلاً عن أنها تربط شرق وغرب آسيا بقارة أفريقيا.

ويمكن لأية قوة عسكرية تتمكن من بناء قاعدة عسكرية فى سوقطرة السيطرة على أهم المضايق المائية فى العالم وهما مضيق هرمز ومضيق

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

باب المندب، فضلاً عن الإطلالة على مضيق ملقا الذى يفصل بين أندونيسيا وماليزيا، ويتحكم فى حركة التجارة الدولية بين شرق آسيا والمحيط الهندى والخليج العربى والبحر الأحمر. وتسعى الولايات المتحدة (بالرغم من امتلاكها قاعدة ديجو جرسيا) وروسيا وإيران وبعض دول الخليج العربى لامتلاك قواعد عسكرية فى سوقطرة.

وهكذا ركزت نظريات ماكندر وماهان وراتزل وسبيكمان وهاوسهوفر من آباء الجغرافيا السياسية منذ الحرب العالمية الأولى عن قوة اليابسة والبحار والمحيطات.

وتمتاز جزيرة سوقطرة بموقعها الإستراتيجى كونها تقع فى نهاية خليج عدن، وكنقطة ارتكاز تشرف على القرن الأفريقى وغرب المحيط الهندى. وتقع الجزيرة على دائرة عرض 12 شمال خط الاستواء، وخطى طول 53 و54 شرق جرينتش. وقد أجمع المؤرخون على أن تسمية الجزيرة تتكون أساساً من كلمتين هما «سوق» و«قطرة»، وجاءت هذه التسمية لأن الجزيرة منذ القدم كانت سوقاً لمنتجات تجمع فى الأساس على شكل قطر اللبان، والصبر ودم الأخوين (شجرة دم الأخوين وهى شجرة التنين التى يستخرج منها الصمغ والصبر والتى جاءت نتيجة أسطورة

هندية مفادها اختلاط دم التنين بدم الفيل بعد صراعهما).

احتلال جزيرة سوقطرة:

وفى عام 1834 حصل الكابتن البريطانى هاينز على إذن من سلطان المهرة عمرو بن سعيد لزيارة الجزيرة فأبحر إلى حديبو عاصمة الجزيرة ومسح الساحل ثم عاد إلى بومباى، ورجع بعد ذلك ليفاوض السلطان فى شراء الجزيرة بمبلغ عشرة آلاف ريال فضى نمساوى، وسبقه عدد من الجنود البريطانيين الذين واجهوا رفضاً من السلطان، ولما رأى السلطان تهديداً من الإنجليز باحتلال الجزيرة قال لهم: «حقا إن بلادى فقيرة خالية وبإمكانكم أن تأخذوها منا قهراً، ومع ذلك فإننى أرفض أن أبيعها». وإزاء ذلك الرفض وصلت فرقة من الجنود البريطانيين والهنود احتلت الجزيرة بقوة السلاح، ثم أُجبر السلطان فى مطلع عام 1835 على توقيع معاهدة يسمح بموجبها للإنجليز باستخدام الجزيرة.

الصراع على المنافذ المائية فى المحيط الهندى:

وتحتل الجزيرة موقعاً جيواستراتيجياً فريداً بالنسبة إلى كتلتى اليابس (آسيا وأفريقيا) وإلى المسطحات المائية (المحيط الهندى– الخليج العربى– البحر الأحمر)، وقد أعطاها هذا الموقع أهمية جيوبوليتيكية بالعلاقة مع القضايا الإقليمية والدولية ذات الصلة بموقعها، وبالعلاقة مع التجارة الدولية ومصادر الثروة الاقتصادية فى المنطقة بحراً وبراً، فضلاً عن صلتها المباشرة بالتواجد العسكرى فى غرب المحيط الهندى ذى الصلة بالمشكلات السياسية والاقتصادية بظهير هذا المحيط فى القارتين المواجهتين له.

كما أن موقعها يشكل عتبة للقفز إلى البر الآسيوى فى جنوب الجزيرة العربية وبحر العرب وإلى البر الأفريقى حيث لا تزيد المسافة عن 80 كيلومتراً من رأس جورادفوى، فضلاً عن تحكمها فى الطرق التجارية البحرية التى تربط عالم المحيط الهندى والخليج العربى بالبحر الأحمر والمتوسط عبر مضايق ملقا وهرمز وباب المندب، بالإضافة إلى سيطرتها على الطريق الملاحى للأساطيل الحربية عبر البحر الأحمر ومضيق باب المندب إلى قواعدها الآسيوية المطلة على بحر العرب والمحيط الهندى والجزر الواقعة فيه ومنها جنوباً جزيرة وقاعدة ديجو جارسيا الأمريكية، فضلاً عن إطلالتها كنقطة وثوب فى مواجهة دول القرن الأفريقى وهضبة البحيرات العظمى.

مصر الفرعونية وجزيرة سوقطرة وبلاد بونت:

وقد اهتمت مصر الفرعونية بالجزيرة بسبب وجود أشجار البخور والطيب والمر واللبان بجبال ووديان الجزيرة. وقد أرسل أحد فراعنة مصر فى عهد الأسرة الخامسة فى منتصف القرن السادس والعشرين قبل الميلاد بعثة إلى بلاد بونت الأسطورية جلبت معها 80 ألف مكيال من المر والطيب وبعض الأشجار لزراعتها، فضلاً عن 2600 قطعة من خشب الأبانوس الثمين. ثم كانت البعثة الشهيرة للملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد والتى جلبت معها من بلاد بونت الطيوب النفيسة والأخشاب وسن الفيل وجلود الفهود والعبيد، حيث أجمع المؤرخون على أن بلاد بونت كانت تعنى الجنوب العربى وسوقطرة وساحل الصومال أى كل المناطق التى كانت تقع على جنبى مضيق باب المندب وبحر العرب وجزره حتى الساحل الشرقى لأفريقيا.

وقد روى هيرودوت المؤرخ اليونانى فى القرن الخامس قبل الميلاد أن فراعنة الأسرة الثامنة عشرة أخضعوا حكام القبائل التى كانت تعيش على الساحل الأفريقى والعربى للبحر الأحمر لحكمهم، بل اتجهت سفنهم الحربية إلى موانئ بحر العرب والمحيط الهندى حتى المهرة وحضرموت وسوقطرة والقرن الأفريقى.

تنافس القوى الدولية فى المحيط الهندى:

أفضت التحولات الجارية فى موازين القوى العالمية، والتحول التدريجى لمركز الثقل من الغرب إلى الشرق، إلى ارتفاع وتيرة التنافس والصراع بين القوى الدولية الكبرى فى المحيط الهندى بشكل متصاعد خلال السنوات العشر الأخيرة، باعتبار أن المحيط الهندى يشكل مفتاح السيطرة على آسيا والمخزن الأكبر لاحتياطيات النفط والغاز الطبيعى والطاقة والموارد المائية والمعادن النفيسة، فضلاً عن كونه حلقة الوصل بين قارات العالم وبحاره ومحيطاته.

فالمحيط الهندى شريان رئيسى من شرايين شبكة العولمة، فعبر مياهه ومضائقه الدولية (باب المندب، هرمز، ملقا) يمر نحو 80٪ من منتجات العالم من الطاقة والنفط، و50٪ من حركة النقل البحرى بالحاويات، وحوالى 70٪ من احتياطى النفط، و40٪ من احتياطى الذهب، ونحو 60٪ من اليورانيوم، و90٪ من الماس.

من الناحية العسكرية لا يمكن لأية دولة بحرية عملاقة الاستغناء عن المحيط الهندى عند نشر قواتها على المستوى العالمى. بحكم موقعه الجيوبوليتيكى فى خريطة العالم، وارتباطه بمضائق دولية بالغة الأهمية (ملقا– هرمز – باب المندب).

ومع زيادة وتيرة التنافس بين القوى الدولية التقليدية للسيطرة على المحيط الهندى والهيمنة عليه، ظهرت خلال السنوات العشر الأخيرة الصين والهند واليابان. فالصين تمثل أقوى وأبرز المرشحين لخلافة الولايات المتحدة ووراثة دورها ومكانتها العالمية، خصوصاً وأن الصين نجحت فى التحول إلى قوة عملاقة مرهوبة الجانب فى آسيا. إلا أن كبار مفكرى أمريكا الإستراتيجيين يرون أنه يتوجب على الولايات المتحدة العمل على تحقيق التوازن بين مثلث القوى الآسيوية الصاعدة الكبرى (الصين – الهند– اليابان)، مع أهمية تعزيز دور الولايات المتحدة العسكرى فى المحيط الهندى والسيطرة على الممرات والمضايق الخاصة به باعتباره مفتاح السيطرة

على آسيا والشرق الأوسط وشرق أفريقيا، ونقطة الوثوب لخنق منافسيها المحتملين مستقبلاً.

فالصين رغم أنها لا تطل على المحيط الهندى ولا تقع على ضفافه، إلا أن لديها تصميماً إستراتيجياً وإرادة متحفزة لتوسيع نطاق عمل قواتها البحرية داخل مياه المحيط وشواطئه لاعتبارات اقتصادية وجيواستراتيجية. فاقتصادياً هى تسعى لحماية المسارات البحرية التى تسلكها السفن الصينية المحملة بالنفط من الخليج واليمن والسودان، فضلاً عن تصدير نسبة كبيرة من منتجاتها الصناعية.

أما على المستوى الجيواستراتيجى، فالصين تسعى إلى إظهار نفسها كدولة عظمى، وكلاعب مؤثر وفعال فى السياسة الدولية. وتأكيد تطلعاتها لقيادة وزعامة العالم الأفريقى، ولتحقيق ذلك فإن الأمر يتطلب منها التواجد بكثافة فى المحيط الهندى، وذلك لكونه الساحة التى لاغنى عنها لأية دولة عظمى، بل لأنه يمثل أيضاً المنطقة التى تربط بين شعوب آسيا وأفريقيا معاً.

ومن واقع إدراكها لهذه المعطيات تبنت البحرية مبدأ «الدفاع الفعال بعيداً عن السواحل». وخصصت موارد مالية ضخمة لتطوير قدرات قواتها البحرية والجوية، فانخرطت منذ عشر سنوات فى تنفيذ مشروعها الإستراتيجى المسمى (عقد اللؤلؤ) والذى يرمى إلى نشر أسطولها العسكرى على سلسلة قواعد تمتد من جزيرة هينان فى بحر الصين الجنوبى حتى مضيق هرمز عبر إنشاء سلسلة من المرافىء البحرية والقواعد الجوية القادرة على استقبال طائراتها وسفنها الحربية فى كل من ميانمار وسريلانكا وباكستان. وفى عام 2009 عبرت صراحة عن عزمها إنشاء قواعد عسكرية فى سواحل بحر العرب وشواطئ شرق أفريقيا (افتتحت بالفعل فى عام 2017 قاعدة عسكرية فى جيبوتى يوجد بها عشرة آلاف جندى). كما أنها ترسل من فترة لأخرى مدمرات حربية إلى خليج عدن لحماية سفنها النفطية والتجارية.

فالصين التى جرى استبعادها لفترة طويلة عن المنطقة بسبب طغيان عامل الجغرافيا، فإنها تتحرك بشكل سريع لبناء دور عسكرى فى المحيط الهندى يشمل شبكة من القواعد العسكرية والبحرية حول ساحل المحيط بدءاً من قاعدة جيبوتى التى تم افتتاحها عام 2017، حتى ميناء جوادر الباكستانى على بحر العرب، حيث يعتبر بحر العرب من أهم أجزاء المحيط الهندى وشبه الجزيرة الهندية وشبه الجزيرة العربية وصولاً إلى القرن الأفريقى. كما تخطط الصين حالياً لشق قناة مائية عبر برزخ كرا kra فى تايلاند، ومن شأن إنجاز هذا المشروع ربط المحيط الهندى وموانىء الصين الواقعة فى بحر الصين الجنوبى والمحيط الهادى، وتجنب المرور من مضيق ملقا.

أما الهند، فإن تطلعات الصين المتزايدة فى المحيط الهندى قد ألهبها الحماس دون مواربة إلى تقديم نفسها لاعباً رئيسياً فى المحيط الهندى، والتأكيد على أنه منطقة نفوذ خاصة بها، كونها الدولة الكبرى الوحيدة بين الدول المطلة عليه، وتعزز رؤيتها بكتلتها البشرية الضخمة، وموقعها الجغرافى المفتوح على المحيط الهندى من ثلاث جهات. وحسب إستراتيجيتها البحرية التى وضعتها فى القرن العشرين، فإن مضيق ملقا يعتبر أكثر الممرات الإستراتيجية العالمية الذى يسهل السيطرة الهندية عليه، وهو ما يزيد من حدة المنافسة مع الصين، ويوسع من نطاق الاحتكاك بين الدولتين فى المحيط الهندى وعلى تخومه.

أما اليابان، فلا توجد دولة متطورة فى العالم أكثر اعتماداً منها على نقل البترول فى المحيط الهندى، فهناك ما يتجاوز قيمته 200 مليار دولار أمريكى سنوياً من البضائع والسلع اليابانية المصدرة لمنطقة الشرق الأوسط وأوروبا تمر عبر مياه المحيط الهندى الذى يعتبر شريان الحياة لها، وإذا كانت قواتها العسكرية قد ظلت لفترات بعيدة عن المحيط الهندى طوال فترة الحرب الباردة جراء القيود التى يفرضها الدستور اليابانى، إلا أن الحرب ضد الإرهاب والقرصنة مع مطلع الألفية الثالثة تجاوز تلك القيود، وأدى إلى إرسالها سفناً حربية إلى المحيط الهندى، بل تخطاها الأمر إلى إقامة قاعدة عسكرية فى جيبوتى فى عام 2009، ما يشكل خطوة أساسية فى طريقها نحو الدولة الكبرى سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

إن مشهد التنافس بين القوى الدولية فى المحيط الهندى يختلف اليوم عن التنافس الاستعمارى للقرنين التاسع عشر والعشرين من حيث الأطراف المنخرطة فيه، أو غايته وتأثيراته. فاليوم وعلى عكس الماضى لا يجرى التنافس بين قوى وافدة من خارج منطقة المحيط الهندى، بل بين دول القارة وبعضها تارة وبين دول المنطقة وقوى خارجية فى أطوار أخرى. ولم يعد هدف المتنافسين السيطرة والاستحواذ على الأراضى وثروات الدول الضعيفة بالإكراه والقوة العسكرية، وإنما تنصب الجهود على محاولة كسب مواقع للنفوذ والحصول على تسهيلات للسفن والأساطيل الحربية من خلال القوة الناعمة والمتمثلة فى تقديم الحوافز والإغراءات الاقتصادية والعسكرية. كما أن التنافس الحالى هو صراع بحرى أكثر منه برى طرفاه وأعمدته الرئيسية فى المرحلة القادمة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وجمهورية الصين الشعبية من جهة أخرى.

جزيرة موريشيوس وقاعدة ديجو جارسيا:

تتميز جزيرة موريشيوس بأنها « لؤلؤة» المحيط الهندى. فلم يكن هناك سكان أصليون فى الجزيرة عندما قدم إليها البرتغاليون فى القرن السادس عشر، وقد جاء بعد ذلك الهولنديون ثم الفرنسيون ثم البريطانيون. ويتكون حالياً نصف سكانها من أصول هندية، بينما النصف الآخر من أصول صينية

وأفريقية وأوروبية. ولأسباب تاريخية وثقافية وإثنية أصبحت الهند أقرب شريك اقتصادى وحليف سياسى لموريشيوس عندما نالت استقلالها عام 1968.

إلا أنه فى عام 1965 وقبل الاستقلال بثلاث سنوات، وكشرط من شروط منح موريشيوس الاستقلال، تم فصل أرخبيل جزر تشاغوز chagos عن الجزيرة ومنحها صفة اعتبارية خاصة، باسم منطقة المحيط الهندى البريطانية. وهى المستعمرة البريطانية الوحيدة التى تبقت تحت سيطرتها فى شرق قناة السويس. وفى الوقت ذاته تم نقل كامل سكانها البالغ عددهم حوالى 2000 شخص (ألفى شخص)، وهم خليط ينتمى لأصول أفريقية وهندية وماليزية بالقوة إلى موريشيوس، وتبلغ مساحة أرخبيل chagos حوالى 30 كيلو متراً مربعاً.

وفى عام 1971 قامت بريطانيا بتأجير الجزيرة الرئيسية لتلك المجموعة وهى جزيرة ديجو جارسيا Diego Garcia للولايات المتحدة لتشيد قاعدة عسكرية بها لمدة خمسين عاماً. وديجو جارسيا ذات الموقع الإستراتيجى تحولت إلى أهم قاعدة عسكرية فى المحيط الهندى، واستخدمت كقاعدة إسناد خلال حرب الخليج الأولى 1990-1991، وفى غزو أفغانستان عام 2001، ثم غزو العراق عام 2003، بل إن الأسرى فى حرب أفغانستان نقلوا إليها أواخر عام 2001 للتحقيق معهم فى ديجو جارسيا.

وتشغل الجزيرة موقعاً مهماً بالنسبة لشرق أفريقيا، والشرق الأوسط، وجنوب شرق آسيا، وتبعد عن تنزانيا بمسافة 3500 كيلو متر، وعن جنوب الهند مسافة 1800 كيلو متر، ومسافة 4800 كيلو متر عن غرب استراليا.

الأهمية الإستراتيجية لمنطقة القرن الأفريقى:

القرن الأفريقى هو المنطقة الواقعة على رأس مضيق باب المندب من الساحل الأفريقى وهى التى يحدها المحيط الهندى جنوباً والبحر الأحمر شمالاً، ويشمل إريتريا وجيبوتى والصومال وأثيوبيا. كما يدخل بعض الجغرافيين السودان وكينيا ضمن دول القرن الأفريقى. والقرن الأفريقى منطقة إستراتيجية بالنسبة لآسيا وأفريقيا فهو يحد مضيق باب المندب مخرج وباب البحر الأحمر إلى المحيط الهندى. ودول القرن الأفريقى تربطها روابط ثقافية وإثنية، كما تربطها روابط التاريخ والجغرافيا، ففى جيبوتى قبائل العفر والعيسى وبن شنقول وقماز والتيجراى، وفى الصومال قبائل الأوجادين والماجرتين.

كما تكتسب منطقة القرن الأفريقى أهمية قصوى للدول الكبرى نظراً لموقعها الإستراتيجى سواء الدول المعروفة تقليدياً: جيبوتى وأثيوبيا وأريتريا والصومال، أو بمعناها الواسع أو الجغرافى والإستراتيجى حيث يدخل فى هذا المعنى الدول ذات المصالح أو النزاعات مع دول القرن التقليدية وفى هذا الوضع يمتد ليشمل السودان وكينيا وأوغندة وهو المعنى الذى تروج له الولايات المتحدة مؤخراً بالقرن الأفريقى الكبير.

فالقرن الأفريقى يكتسب أهمية حيوية من الناحية الجغرافية نظراً لأن دوله تطل على المحيط الهندى من جهة، وتتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر حيث مضيق باب المندب من جهة أخرى، ومن ثم فإن دوله تتحكم فى طريق التجارة العالمى، خاصة تجارة النفط من دول الخليج العربى المتوجهة إلى أوروبا والولايات المتحدة والصين واليابان وكوريا الجنوبية. كما أنها تعتبر ممراً مهماً لأى تحركات عسكرية قادمة من أوروبا أو الولايات المتحدة فى اتجاه منطقة الخليج العربى.

ولا تقتصر أهمية القرن الأفريقى على الموقع فحسب بل تتعداه للموارد الطبيعية خاصة البترول الذى بدأ يظهر فى السودان، وهو ما دعا الولايات المتحدة للاهتمام بحل قضية السودان، وأيضاً الوضع فى الصومال بسبب ظهور النفط فى الأراضى الصومالية.

والقرن الأفريقى كمصطلح جغرافى سياسى حديث نسبياً، وقد اختلفت الآراء حول وضع تعريف دقيق للبقعة الجغرافية التى يمكن أن يطلق عليها القرن الأفريقى، فالجغرافيون ومعهم علماء الإنثروبولوجيا يقصدون بالقرن الأفريقى أساساً الأراضى التى يسكنها الصوماليون وإن تعددت أوطانهم فى الصومال أو أثيوبيا أو كينيا ووفقاً لهذا التعريف فإن مصطلح القرن الأفريقى ينطبق فقط على ذلك البروز الواضح على خريطة القارة، وهو على شكل قرن على المحيط الهندى.

دقوا الطبول واطردوا المخاوف واطلبوا السلام

يعود تاريخ الطبل إلى أزمان بعيدة، إلى الآلاف من السنين، حيث تداخلت قيمته في أشكال شتى من حياة الإنسان، دخل في الفرح، والحزن والحرب، وفي طقوس العبادة فشكّل قيمة ضرورية لا غنى عنها، استعان به الإنسان الأول في الفرح كالتزاوج والصيد والرقص، واستخدم في الإبلاغ أو الإعلان عن حدث في عصور مختلفة للبشرية، للإعلان عن بيان أو قرار ملكي أو كهني وما شابه، أو للحرب، إذ يقال دائماً عند بدء إرهاصات الحرب إن طبول الحرب تقرع أو قرعت، حيث تشب النار ولا تخمد بعد قرع الطبول.

السفيرة د.عبير بسيونى

abassiouny@hotmail.com

الطبول وحدها هي التي تستخدم في الأخبار المهمة وليس آلة أخرى، فالطبل من أقوى الآلات، وبالتأكيد فإن الهدف من استخدام الطبول هو إيصال النبأ إلى أقصى أذن يمكنها السمع، أي أن هناك رغبة عظمى لدى مستخدمي الطبول كي يمدوا مناسباتهم فرحاً كانت أو حزناً أو حرباً، إلى كل الناس. وبالرغم من أن البوق قد استخدم في الكثير من المناسبات وخاصة الحروب، إلا أنه لم ينافس الطبل قامة وحضوراً.

وبقدر ما يعنيه استخدام الطبل في إعلان النبأ من رغبة في إظهار ذات الجماعة، هو في الوقت نفسه تعبير عن الحاجة، حيث يكون في مناسبة دعوة إلى المشاركة في حدث ما، مثل الفرح، أي أنه يؤكد أن الكائن البشري اجتماعي بذاته تتملكه الرغبة في مشاركة الآخرين فرحه، نشيده والرقص.

وفي مناسبة أخرى، تكون الطبول استنجاداً وطلباً للعون حين تكون السيوف قد سلت وقدر الموت قد بدأ ينهض، ومُلكاً صار عرضة للزوال؛ تقرع الطبول للاستنجاد عند قوم وللترهيب عند آخرين، وتقرع الطبول لشد أزر المحاربين بإيقاعات تختلف من حضارة إلى أخرى.

وعلى مر التاريخ كان ومازال الطبل هو إيقاع الموسيقى ووزنها، وبمثابة القلب في جسد الكثير من الأعمال الموسيقية؛ وهو دليل القدم للرقص والريح التي تمايل الجسد حين تنتشي المفاصل على ساحة الرقص.

وفي فنون كل الحضارات يوجد الطبل، له طقوس خاصة في قرعه وفي شكله، حيث يتفنن الحرفيون في صناعته التي تراعي كثيراً ثقافة وتقاليد المكان الذي تصنع فيه، وكذلك قوة ومدى صوت الطبل.

صناعة الطبول أيضاً حكاية تحكى، فقط لأنها مشوقة يسبقها الفضول. فللطبلة جسم يشبه الأسطوانة المفتوحة الطرفين ولكن لبعضها جسم يشبه الغلاية، وتغطي الفتحة بغطاء رهيف يمتد ويشد على الفتحة بإحكام ويسمى جلد الطبل، ويصنع عادة من جلد العجل أو اللدائن، وللطبلة الأسطوانية جلدان على الجانبين، بينما تغطي الطبلة شبيهة الغلاية بجلدة واحدة وفي الحضارات القديمة كان يستخدم جلد الثور والماعز.

أما خشب الطبل فيصنع أساساً من خشب أشجار السدر الذي يتم تشذيبه من الشوائب والزوائد، ثم يجوف بالمنقر ويشذب من الداخل بالسنفرة ليأخذ شكلاً أسطوانياً أو مستديراً ملائماً؛ ويترك في الشمس حتى يقوى ويشد ثم يُسنفر من الخارج وتتم زخرفته حسب ذوق الشعوب والحضارات المختلفة التي لها صلة وثيقة بالطبول. والدق على الطبول منذ فجر الحضارات القديمة وحتى الآن يدل على الصلة الوثيقة بين الفن الموسيقي وتحريك الشعور الإنساني.

الطبول الأفريقية:

والقبائل الأفريقية القديمة لها أيضاً مع الطبول حكايات وتاريخ، فالطبول وأكواخ الخيزران الأفريقي القديم يعكسان عادات وتقاليد شعوب القارة السوداء والتي كتب عنها بحرفية وإسهاب الكاتب الكبير إحسان عبد القدوس في كتابه «ثقوب في الثوب الأسود» وهي رواية تتطرق للحروب في أفريقيا قديماً وحديثاً، واتخذ الكاتب الكبير من الطبول إيقاعاً لروايته الشهيرة.

ففي الأفراح يرتدي الأفارقة من الرجال تنورات قماشية مزركشة وعمامات بيضاء كبيرة، ويعلقون على صدورهم عاجاً مصنعاً على أشكال مختلفة كقرن الخرتيت أو خرطوم الفيل «زلومة» أو رمزاً صغيراً لشجرة السندان الأفريقية الصلبة، أو رأس أسد شرس، وجميع هذه الرموز لها دلالات تتداخل معانيها مع قرع الطبول في الصحاري والغابات الأفريقية، أما النساء فكن ترتدين القش الملون وعقوداً من الخرز الملون ذات الحبات الكبيرة.

وعلى رؤوسهن سلال ممتلئة بالفواكه الاستوائية، نصفها أمامهن أثناء قرع الطبول وإشعال النار، فهذه المشاهد الأفريقية التي تطل من قلب القارة العريقة لها كثير من المدلولات في السلم والحرب، والأفارقة يعرفون تماماً لغة قرع الطبول، وكأنها لغة كلامية أخرى موازية للغتهم الأفريقية متعددة اللهجات.

ويرتبط الرقص الأفريقي ارتباطاً وثيقاً بالإيقاع الموسيقي، وتعد الطبلة هي أساس الموسيقى الأفريقية، وهي اختراع أفريقي، وتتعدد أنواع الطبول عند الأفريقيين، تبعاً لاختلاف أصحابها وأشكالها، ولكنها تعطي لغة حركية يفهمها الأفريقيون، فالإيقاع الأفريقي يتغير داخل الرقصة الواحدة، ولذلك تتعدد أنواع الطبول لتقوم بهذه الوظيفة الإيقاعية المعقدة حيث يتميز

(الإيقاع الأفريقي بتغير مناطق الضغط العادية داخل المازورة، التي تكون الوحدة الزمنية للحن، وهذا الإيقاع في الاصطلاح الموسيقي يطلق عليه الستكوب، وهذا الإيقاع الموسيقي هو الذي يعطي للرقصة الأفريقية حيوية دافقة، وكل نوع من هذا الإيقاع إنما هو تعبير عن عاطفة معينة تتحرك بها أجسام الأفريقيين الراقصة المرنة) والغريب في هذا المقام أن بعض الطبول الأفريقية من الضخامة، بحيث لا يقدر على حملها شخص واحد، والكثير من هذه الطبول مصنوع من أشجار البوص الضخمة الحجم، والبعض الآخر مصنوع من جذوع الأشجار الجافة بعد إجراء التجويف اللازم بها. كذلك اتخذت بعض المجتمعات الأفريقية من ثمار نبات القرع نوعين من الطبول كروية الشكل، ويعتمد في الدق عليها بعيدان من الخيزران، أو شرائح طويلة منها، وتغطى غالبية الطبول الأفريقية بأنواع رقيقة من جلود الحيوانات، وتشد شداً محكماً مما يساعد على تباين الأصوات الصادرة منها.

الطبل البوروندي تميز ليس له مثيل:

الطبل البوروندي (أو الـ «أوموفوجانجوما» بلغة «كيروندي» المحلية) له تميز خاص عالمياً ويصنع من جذع شجرة مصقول على شكل الطبل ومن جلد ثور، ويتشكل من 4 أجزاء، الساق والبطن والكاحل والجلد.

وبحسب المؤرخ إيميل موروها فهو آلة ترمز للسلطة، فكان يدق عليه بعيدان خشبية في باحة الديوان الملكي ولدى كبار القادة ممن تسري في عروقهم دماء ملكية. وفي عام 2014 تم إدراج الطبل البوروندي والرقصات المصاحبة للعزف عليها على قائمة التراث العالمي غير المادي فأصبح ضمن لائحة «التراث العالمي للإنسانية» من قبل منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «يونسكو» وقد تلقى البوروندیون هذا الخبر بكثير من البهجة والفخر. وأدرجت المنظمة الأممية التي تعنى بقضايا التراث والثقافة الطبل البوروندي ضمن لائحة التراث العالمي للإنسانية، خلال انعقاد الدورة التاسعة للجنة الحكومات الدولية لصون التراث الثقافي غير المادي لـ«اليونسكو»، في مقر المنظمة في العاصمة الفرنسية باريس.

ويرجع ذلك إلى أنه في بوروندي بالذات تراث فني في قرع الطبول يمتد إلى قرون، إذ يعود إلى تأسيس مملكة بوروندي في القرن 16، حيث اقترن ضرب الطبل بتقاليد المحافل الملكية. بهذا المعنى، تكون الفرقة حافظاً أميناً لتاريخ غير مكتوب مغرق في القدم، ووثيقة حية لنظام اجتماعي وثقافي عتيق.

ويفسر هذا الارتباط بعض الجوانب الاستعراضية الحركية في عروض الفرقة، فحين يقوم العضو بحركة يدوية حول الرأس، بعد ضربة على الطبل وأخرى، إنما يوثق قصة ذلك القسم الذي كانت تؤديه فرق الطبول عبر القرون، بالوفاء الدائم للملك، والاستعداد لتقديم رؤوسهم فداء له. أما باقي الحركات الاستعراضية، فهي، على غرار بعض الأنماط التراثية في الثقافة البوروندية، تجسد مشاهد نمطية في الحياة التقليدية لشعب بوروندي، في الزراعة والقنص والاحتفالات الطقوسية.

فالضرب على الطبلة في تفسير البعض هو مواجهة لصعاب الحياة وضرب على أوتار مشاكلها. ويتواصل هذا التقليد اليوم على سبيل الترفيه، بعدما كان طقساً مقدساً فيما مضى. حيث كان الطبل في الماضي رمزاً للسلطة الملكية، ولا يتم قرعه إلا للملوك، وكان الاعتقاد السائد أن القدرة الإلهية تمر عبر الطبل لحماية الملوك والمملكة. فكلمة «انجوما» تعني الطبل والمملكة على حد سواء. وأهم مواسم قرع الطبول في بوروندي هو في عيد الحصاد والذي تبدأ الاستعدادات له من شهر أغسطس مع صنع الطبول من خشب الشجر ومن جلد الحيوانات، ثم يتم نقلها العاصمة الملكية، وكان قارعو الطبول يقيمون احتفالاً في كل قرية يمرون بها. ومع وصول المبشرين في زمن الاستعمار البلجيكي الذي استمر حتى عام 1962، جرى «تحديث» الطبل واستخدامه لغايات متعددة، مثل الإعلان عن موعد القداس أو موعد بدء الدراسة. واستمر هذا التوجه بعد تنصيب الملك نتار الخامس، آخر ملوك بوروندي.

وحالياً توسع الأمر إلى أن صار لهذا التقليد أبعاد تجارية، ففي كل عيد يدفع الناس مبالغ كبيرة لشراء طبل. ومع أن عهد الملكية انقضى منذ عقود، إلا أن الراقصين مازالوا يؤدون في رقصاتهم حركات وانحناءات كانت تؤدى تحية واحتراماً في حضرة الملوك. وباتت فرق الطبول تقوم بقرع الطبل والرقص أمام الرئيس أو كبار الشخصيات.

الطبل كان رمزاً للمملكة البوروندية التي تنعم بالسلام، وتعبيراً عن ذلك درج السكان على ترديد مثل شعبي «حيث تقرع الطبول يكون السلام»، وأيضاً رمزاً لوحدة البلاد التي مزقها بعد انتهاء عهد الملكية نزاع الهوتو والتوتسي. وظهور الطبل تزامن مع ظهور الملكية جنوب شرق البلاد، وتقول الأسطورة أن «نتار الأول» تقدم غازياً من الجنوب إلى الشمال بين القرنين السادس عشر والسابع عشر- وتوقف يوماً ما في مرتفعات نكوما حيث قتل ثوره وبسط جلده على الأرض، فخرج ثعبان مقدس وقرع برأسه الجلد وصدر منه صوت الطبل. وطوال يومي زيارة السيد سامح شكري وزير خارجية مصر لدولة بوروندي يومي 17 و18 أبريل 2018 صدحت الطبول البوروندية وفرق الرقص الوطنية تحيي هذه الزيارة وتظهر الحفاوة اللائقة بزيارة من دولة مصب النيل لدولة منبع النيل ومصدره الأقصى جنوباً.

دوافع ديمقراطية شكلية لخدمة أهداف سلطوية

تشهد الساحة السياسية الداخلية التركية حالة غير مسبوقة من الزخم السياسى مع إعلان الرئيس التركى رجب طيب أردوغان تبكير الانتخابات الرئاسية والبرلمانية فى الرابع والعشرين من يونيو 2018، ومع تقديم الأحزاب السياسية التركية أسماء 6 مرشحين لخوض الانتخابات الرئاسية التركية المقررة الشهر المقبل فى مواجهة أردوغان. وتقدم أحزاب المعارضة التركية بمرشحيها فى مواجهته وهى حزب «الشعب الجمهوري»، أكبر أحزاب المعارضة التركية، الذى رشح النائب محرم إينجة رسمياً لخوض الانتخابات.

أ.د. هدى ميتكيس
أستاذة العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة
hoda.mitkees@yahoo.com

حيث أعلن الحزب التركى المعارض محرم إينجة، الذى يعد أقوى المرشحين فى مواجهة الرئيس التركى أردوغان وهو علمانى التوجهات. ويخطط حزب الشعب الجمهورى للتحالف مع الأحزاب اليمينية للمرة الأولى فى تاريخه فى مسعى للفوز على الرئيس الحالى الذى ينتقد إينجة سياساته بشدة منذ سنوات.

ومع ازدياد مستوى الاهتمام العربى بالانتخابات وكثرة التحليلات والتوقعات. فيما يلى بعض المقدمات والسياقات التى أراها مهمة لكل من يتابع الانتخابات التركية ويحاول فهم مسارها وديناميكياتها، وبالتالى توقع نتائجها:

أولاً: انتخابات مختلفة وحساسة. تختلف هذه الانتخابات عن كل سابقاتها، على الأقل منذ تسلم «العدالة والتنمية» السلطة بتركيا فى 2002، من حيث إنها أول انتخابات تجرى بعد إقرار النظام الرئاسى، ومن حيث إنها رئاسية وبرلمانية متزامنة، بما يجعل إمكانية التعديل أو الاستدراك بينهما مستحيلة.

إقرار النظام الرئاسى وبدء تطبيقه بعد هذه الانتخابات يعنى أن الانتخابات الرئاسية اليوم تختلف عن سابقاتها بعد ازدياد أهمية مؤسسة الرئاسة فى المعادلة الداخلية، وتراجع أهمية الانتخابات البرلمانية نسبياً فى المقابل، وهو ما يعنى بشكل مباشر أن أية مقارنة مع المنافسات السابقة لن يكون دقيقاً.

ثانياً: فوضى الأحزاب التركية. مع استمرار تطبيق نظام «العتبة الانتخابية» التى تشترط حصول أى حزب على نسبة 10٪ لدخول البرلمان، استقرت الحالة الحزبية بتركيا فى السنوات الأخيرة على 4 أحزاب رئيسية ممثلة فى البرلمان. «العدالة والتنمية» ممثلاً لمعظم المحافظين، «الشعب الجمهوري» ممثلاً لمعظم العلمانيين، «الحركة القومية «ممثلاً لمعظم القوميين الأتراك، و«الشعوب الديمقراطي» ممثلاً لمعظم القوميين الأكراد.

لكنَّ تغيرات كبيرة طرأت على هذه الأحزاب فى الشهور الأخيرة، ستترك فى الغالب بصمتها وتأثيرها على نتائج الانتخابات. فـ«الحركة القومية» واجه أزمات داخلية متعاقبة وانشق عنه عدد من قيادات الصف الأول بقيادة أكشنار مؤسسين «الحزب الجيد». وحزب «الشعوب الديمقراطي» خسر الكثير من حاضنته الشعبية بعد فشله فى ترك مسافة واضحة بينه وبين حزب العمال الكردستانى ثم التحقيقات مع بعض قياداته التى أدت إلى سجن عدد منهم، فى مقدمتهم رئيس الحزب صلاح الدين دميرطاش. فى المقابل، فإنه من الممكن للأحزاب الصغيرة اليوم أن تشكل تحالفاً انتخابياً وفق قانون سُنَّ مؤخراً لتشارك فى الانتخابات معاً وتدخل البرلمان إن حصل التحالف على أكثر من 10٪، وفى مقدمة المرشحين لذلك حزبا «السعادة» و«الجيد».

تعنى هذه التطورات أن إمكانية الجزم بشكل البرلمان القادم وخريطته الحزبية، والذى كان دائماً ممكناً مع هامش معين من الخطأ، لم يعد سهلاً أو دقيقاً إن افترضنا أنه ممكن، على الأقل ليس قبل اتضاح المشهد الانتخابى وتحالفاته وقوائمه.

ثالثاً: الناخب سيد نفسه. رغم كل ما يقال عن الحالة السياسية والديمقراطية فى تركيا، ما زال الناخب التركى سيد نفسه وهو من يحدد نتيجة الانتخابات، ويغير المعادلة أحياناً بطريقة مفاجئة. حدث ذلك مثلاً فى انتخابات يونيو 2015 البرلمانية التى أفقدت «العدالة والتنمية» أغلبيته البرلمانية وإمكانية تشكيل الحكومة بمفرده، والتى لم يكسبها الحزب فى انتخابات الإعادة إلا بعد أن قدم خطاباً واضحاً بتسلمه رسالة الناخب والعمل على أساسها فى البرنامج والخطاب والمرشحين، وهو ما كان.

ثمة أربعة عوامل تُضاعف من أهمية ذلك: صعوبة الجزم بكيفية تقييم الناخب لتبكير الانتخابات، اختلاف هذه الانتخابات عن سابقاتها وكيفية انعكاس ذلك على قرار الناخب، مئات آلاف (أحياناً ملايين) الشباب الذين يقترعون لأول مرة فى كل استحقاق انتخابى، ونسبة المترددين الذين يتخذون قرارهم النهائى فى الساعات والأيام الأخيرة

للانتخابات والذين نسبتهم عادة 10-15٪ فى كل انتخابات.

رابعاً: شركات استطلاع الرأى حيث أثبتت شركات استطلاع الرأى التركية مرة إثر أخرى أنها بعيدة عن القدرة على توقع النتائج الدقيقة للانتخابات. فبعض هذه الشركات مسيَّس، وكثير منها حديث ومفتقد للخبرة الكافية، وأغلبها غير مهنى أو مفتقد للأدوات اللازمة لهذا العمل، وبالتالى من الصعب القول إنها مهنية وقادرة على التوقع.

خامساً وأخيراً: الانتخابات ليست عملية حسابية. الانتخابات عملية معقدة جداً فى كل البلاد، وهى فى تركيا أكثر تعقيداً، حيث تؤثر عوامل عدة فى قرار الناخب، منها السياسى والاقتصادى والاجتماعى والجغرافى والعرقى والمذهبى والحزبى والشخصى، إضافة طبعاً لبرامج الأحزاب وأسماء المرشحين ووسائل الإعلام.

ولذلك، فالأمر أبعد ما يكون عن النتائج الحسابية المباشرة. بمعنى، كون «العدالة والتنمية» يملك 49.5٪ و«الحركة القومية» 11.9٪ من البرلمان الحالى وفق انتخابات 2015 لا يعنى أن «تحالف الشعب» بينهما سيحصل تلقائياً على نحو 60٪. فجزء من كتلة الحزب الحاكم التصويتية صوتت مثلاً ضد استفتاء النظام الرئاسى، بينما حصلت انشقاقات فى «الحركة القومية» ولم تؤيد غالبية قواعده الشعبية الاستفتاء عكس رغبة وقرار قيادتها.

وفى المقابل، فإن تجمع أحزاب السعادة الإسلامى والشعب الجمهورى (العلمانى) والجيد (القومى)، فضلاً عن إمكانية ضم «الشعوب الديمقراطى» (القومى الكردي) على مرشح توافقى - كما يحاولون فعله- لا يعنى أن هذا المرشح المفترض سيحصل بالضرورة على مجموع ناخبى هذه الأحزاب الثلاثة. إن الخريطة الأيديولوجية والفكرية والمجتمعية والسياسية فى تركيا تفرض حقائقها على الجميع، وتقول بأن نسبة معتبرة من الكتلات التصويتية لهذه الأحزاب غير مقتنعة بهذا التحالف المفترض - إن حصل- وأنها بالتالى لن تصوت لذلك المرشح المفترض إن كان من غير تيارها الأيديولوجى أو السياسى.

حصل ذلك سابقاً مع المرشح التوافقى لحزبى الشعب الجمهورى والحركة القومية أكمل الدين إحسان أوغلو، فى انتخابات 2014 الرئاسية، كما أن تصريحات بعض قيادات «الشعب الجمهوري» بخصوص فكرة ترشيح الرئيس السابق عبد الله جول مثال جيد على ذلك، ولعل هذه الفكرة هى أهم العقبات التى تمنع جول حتى اللحظة من إعلان ترشيحه.

أولاً- أسباب ودوافع أردوغان فى تبكير موعد الانتخابات:

تتعدد الدوافع التى تكمن خلف تبكير أردوغان لموعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية فى تركيا، ويكمن ذكر أهم الدوافع كما يلي:

* مواجهة المعارضة المتزايدة فى تركيا

نجح أردوغان إلى حد كبير فى تكريس حُكمه الممتد منذ عام 2003، إلا أن هذا النجاح لم يأت دونما أكثر من محطة تهديد لاستمراره فى السلطة، ويعيد أغلب الدارسين صعود تيارات المعارضة فى تركيا إلى وصول تجربة أردوغان إلى قمة المنحنى الذى لا يمكن معه استمرار نفس السياسات، وتزايدت وتيرة الاحتجاجات فى تركيا خلال الأعوام الأخيرة بشكل ملحوظ، ولعل من أبرزها الاحتجاجات الجماهيرية الواسعة فى عام 2013 فى مدن رئيسية فى تركيا كأنقرة واسطنبول، وهى الأحداث التى عُرفت بأحداث « تقسيم.»

وبعد ذلك بثلاث سنوات كان أردوغان يواجه أهم تهديد داخلى لنظامه، ما تمثل فى محاولة بعض ضباط الجيش تنفيذ انقلاب عسكرى للإطاحة بأردوغان، وهى المحاولة التى باءت بالفشل، إلا إنها كانت بمثابة جرس إنذار واضح للرئيس التركى عن مستقبل استقراره على قمة النظام السياسى التركى، ويمكن القول أن هذه الحادثة قد مثلت مرحلة تحول واضحة فى إدارة أردوغان لعلاقاته داخل تركيا، وفى رؤيته للنظام السياسى التركى ككل.

* تراجع المؤشرات الانتخابية لحزب العدالة والتنمية

أخذت نتائج حزب العدالة والتنمية فى التصاعد منذ عام 2002 حيث حصل وقتذاك على 35٪ من إجمالى مقاعد البرلمان التركى ثم 47٪ فى 2007 و50٪ فى 2011، إلا أن هناك ثمة تراجع فى نتائج الحزب قد ظهرت فى انتخابات عام 2015 ولم يفلح فى الفوز بنسبة 50٪ من إجمالى المقاعد ووصلت نسبته وقتها إلى 41٪ فقط، واضطر إلى التحالف مع حزب الحركة القومية الحاصل على 16٪ حتى يتسنى للحزب تشكيل الحكومة، وظهر هذا التراجع بشكل واضح فى نتائج الاستفتاء الأخير على تعديل الدستور فى أبريل 2017، حيث حققت نسبة المؤيدين حوالى 52٪ من إجمالى المصوتين، وتبنى التعديلات حزبا «العدالة والتنمية» و «الحركة القومية»، ومثلت هذه النسبة تراجعاً لهما بعد أن حصدا معاً على 57٪ فى الانتخابات التشريعية، ليبدو واضحاً أن شعبية الحزب الحاكم فى تركيا تواجه هبوطاً مرشحاً للازدياد خلال الفترة المقبلة.

* صعود نتائج أحزاب المعارضة

فى مقابل تراجع حزب العدالة والتنمية كانت هناك أحزاب تحقق ارتفاعاً فى نتائجها الانتخابية، وأول هذه الأحزاب هو حزب الشعب الجمهورى الخصم التقليدى لأردوغان، ونجح الحزب فى الفوز بـ 25٪ من إجمالى المقاعد البرلمانية فى انتخابات 2015، وكان الحزب قد حقق نسبة 20٪ فى انتخابات عام 2007.

وإلى جوار الشعب الجمهورى، حقق حزب الحركة القومية صعوداً ملحوظاً إلى الحد الذى اضطر حزب العدالة والتنمية إلى التحالف معه، وكان الصعود الأبرز خلال نفس الفترة لصالح حزب الشعوب الديمقراطى الكردى ونجح الحزب فى انتخابات 2015 فى تحقيق نسبة 12٪ من إجمالى المقاعد ليشارك فى البرلمان بعد تخطيه حاجز الـ 10 ٪ من المقاعد للمرة الأولى فى التاريخ، وانعكس تزايد التيارات المعارضة لأردوغان بصفة عامة فى استفتاء 2017 بعد أن حققت معارضة التعديلات الدستورية نسبة تتجاوز الـ 48٪ من إجمالى المصوتين، وكانت

المعارضة قد حققت 42٪ فى استفتاء 2010.

* الوضع الاقتصادى الحالى فى تركيا

بسبب تحولات التوجه الخارجى لتركيا بعد التصدى لمحاولة الانقلاب العسكرى فى 2016، ووصول الاقتصاد التركى إلى نقطة بداية الانهيار بحسب العديد من الخبراء الاقتصاديين، سجل الاقتصاد التركى خلال الفترة الماضية بعض المؤشرات السلبية، وكان أبرز هذه المؤشرات هو تضاعف نسبة العجز فى الميزان التجارى بمقدار الضعف خلال يناير الماضى مقابل يناير 2017، وسجلت الليرة التركية أكبر انخفاض لها خلال فترة حُكم حزب العدالة والتنمية، إذ خسرت الليرة التركية حوالى 6.5٪ من قيمتها أمام الدولار خلال عام واحد وسجل سعر صرف الدولار حوالى 4.08 ليرة تركية وهو رقم تاريخى.

وتزامن هذا مع ارتفاع معدلات البطالة والتضخم ووصلت نسبة الأخير فى نوفمبر الماضى إلى 13٪ ، وهو أعلى مستوى منذ 14 عاماً.

ويخشى أردوغان من تصاعد المشكلة الاقتصادية، لاسيما مع انخفاض حجم التدفقات الأجنبية للداخل التركى، وانخفضت الاستثمارات الأمريكية على سبيل المثال إلى 171 مليون دولار فى عام 2017 مقارنة بـ 338 مليون دولار فى 2016، وكانت تتخطى الـ 4 مليارات دولار فى عام 2007، كما انخفضت الاستثمارات القطرية من 20 مليون دولار فى عام 2016 إلى 100 مليون فقط فى عام 2017، ومن المستبعد أن يستطيع الاقتصاد التركى الانتعاش قريباً، خصوصاً مع عجز روسيا عن تمويل هذه الفجوة، كما من المتوقع أن تتعمق أزمة الاقتصاد التركى خلال العام الحالى فى حال لجوء الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى إلى تخفيض استثماراتهم فى الأسواق الناشئة وهو إجراء متوقع أن يترك آثاراً سلبية على الاقتصاد التركي؛ وتعبر كل هذه العوامل عن خطورة انتظار أردوغان حتى عام 2019 قبيل إجراء الانتخابات التركية.

ويمكن القول أن حاصل تفاعلات هذه العوامل المتمثل فى تزايد قدرة معارضى أردوغان على حشد الأصوات الانتخابية نتيجة للتراجع الاقتصادى قد دفع الرئيس التركى إلى اللجوء لتبكير موعد الانتخابات التركية، لتفادى المفاجآت غير السارة، ويبدو أن هذه الخطوة لم تكن مفاجئة لأردوغان نفسه، ما نستدل عليه ببعض الخطوات التى قام بها أردوغان خلال الفترة السابقة استعداداً للانتخابات المقبلة.

ثانياً- خطوات أردوغان لتعزيز موقفه الانتخابى:

لم يكن لجوء أردوغان لتبكير الانتخابات إجراء خالياً من عمليات تهيئة البيئة السياسية الملائمة لحصد نتائج الانتخابات، ونتناول فى هذه النقطة أبرز الخطوات التى سبقت الدعوة للانتخابات التركية:

* عملية عفرين فى سوريا

عزفاً على أوتار الحس القومى التركى المتنامى، نفذت قوات الجيش التركى عملية عسكرية فى مدينة عفرين السورية خلال الشهرين الماضيين، ونجحت العملية العسكرية فى تحقيق انتصار على القوات الكردية، ووضعت قدماً لتركيا فى إحدى المناطق السورية التى سيطر عليها الأكراد فيما سبق، وجاءت التغطية الإعلامية للحملة العسكرية لتعكس صورة أردوغان كقائد قادر على استعادة المجد التركى المفقود، كما أدت هذه العملية إلى اكتساب أردوغان لولاءات القيادات العسكرية التركية بعد المكاسب التى جنتها القوات التركية فى عفرين، وهو ما راهن عليه أردوغان فى زيادة شعبيته بين الأتراك، ومن المنتظر أن تكون هذه العملية من أهم الأدوات الدعائية لحملة أردوغان الانتخابية.

* ترتيب الأوضاع من الداخل

كانت إعادة ترتيب موازين القوى داخل حزب «العدالة والتنمية» على أجندة الرئيس التركى، ونفذ الحزب خلال الشهور الماضية برنامجاً لإعادة الكوادر الانتخابية للحزب وإعادة توزيعها على أمانات الحزب فى المناطق المختلفة، وروعى خلال هذا البرنامج تصعيد القيادات الموالية لتوجهات الرئيس التركى، بينما تم إبعاد المشكوك فى ولائهم من الهيكل القيادى للحزب، وكان من بينهم معارضو التعديلات الدستورية الأخيرة، ومؤيدو رئيس الوزراء السابق داوود أوغلو والذى تمتع بثقل ملحوظ داخل أروقة العدالة والتنمية، فضلاً عن استبعاد المشتبه فى ولائهم لحركة «الخدمة» التابعة لكولن، والأخير هو الخصم الذى يلقى أردوغان على كاهله أغلب الفعاليات المعارضة، وكان آخرها محاولة الانقلاب العسكرى فى عام 2016.

*الهيمنة على وسائل الإعلام التركية

لم يغفل أردوغان فرض سيطرته على أغلب وسائل الإعلام التركية، نظراً لما لها من تأثير جم على توجهات الرأى العام التركى، وتمتد حالياً الشركات الإعلامية الموالية لأردوغان للسيطرة على حوالى 90٪ من وسائل الإعلام التركية، وكان آخر صفقات الاستحواذ قد نفذتها شركة «دميرين أوران» القابضة وهى قريبة من توجهات أردوغان، واستهدفت الصفقة الاستحواذ على مجموعة دوغان ميديا الإعلامية، والأخيرة عُرفت بتوجهاتها المعارضة لسياسات أردوغان وتعد من أكبر المؤسسات الإعلامية المعارضة.

والجدير بالذكر أن منهج الاستحواذ الأردوغانى على الإعلام قد ظهر بشكل جلى فى الاستفتاء الأخير، إذ لم يحظ حزب الشعب الكردى بأية تغطية إعلامية فى مقابل استحواذ حزب العدالة والتنمية لما يقارب 470 ساعة من البث التليفزيونى بحسب إحدى الدراسات الإعلامية التى نشرت نتائجها على موقع دويتشه فيليه الألمانى فى أبريل 2017.

* تعديل قانون الانتخابات

عمدت كتلة الأغلبية فى البرلمان التركى إلى إجراء تعديلات على قانون الانتخابات خلال شهر مارس الماضى، أى قبيل شهر واحد على إعلان تبكير موعد الانتخابات، وتم إقرار القانون فى جلسة برلمانية شهدت اشتباكات بالأيدى بين أعضاء الموالاة والمعارضة،

واعتبرت المعارضة هذه التعديلات تكريساً لسلطوية انتخابية جديدة، إذ أقر القانون الجديد قبول أوراق التصويت دون التقيد بالختم الرسمي على هذه الأوراق، كما عدل من آلية اختيار رئيس مجلس مراقبة الانتخابات فى المناطق، فبعد أن كان يتم اختياره بالانتخاب من قبل مجلس يمثل كافة الأحزاب السياسية، اشترط القانون الجديد أن يكون لرئيس المجلس عمل حكومى سواء فى السابق أو الحاضر، وهو التعديل الذى تعتبره المعارضة يفتح باباً واسعاً أمام التحكم فى نتائج الانتخابات ونزاهة العملية الانتخابية برمتها.

* حصار المعارضة

منحت محاولة الانقلاب العسكرى فى عام 2016 والحرب التركية فى سوريا لأردوغان الذراع اللازمة لتنفيذ بعض إجراءات التضييق على الأحزاب المعارضة له، ويتم تطبيق قانون الطوارئ فى تركيا منذ محاولة الانقلاب، وهو القانون الذى يحذف الكثير من القيود القانونية على التعامل الأمنى مع المواطنين، وهو ما استثمره أردوغان بشكل يصب فى صالحه، وجرى اعتقال زعيم حزب الشعوب الكردى فى نوفمبر 2016، واتهامه بالاتصال مع حزب العمال الكردستاني، وكان حزب الشعوب قد حقق صعوداً ملحوظاً كما سبق الإشارة.

ومن ناحية أخرى استطاع أردوغان توجيه ضربة قاصمة لحزب آخر وهو حزب «الحركة القومية» وذلك من خلال نجاحه فى استمالة جزء من قيادات الحزب فى التعديلات الدستورية، ما دفع الحزب نحو انشقاق كبير تم تنظيمه من قبل مناوئى التعديلات الدستورية، وعلى رأسهم السيدة ميرال إكسينر، وهى حالياً المنافسة اليمينية الأبرز لأردوغان بحسب تقديرات الخبراء.

وبعد أن تناولنا الدوافع والخطوات المُحيطة بتبكير موعد الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التركية؛ يمكن القول أن هذه الانتخابات قد جاءت لتترك تحدياً واضحاً أمام مستقبل النظام السياسى التركى، وعلى الأخص قدرته على تمثيل التوجهات والتيارات المختلفة فى تركيا، ويبدو أن مستقبل هذا النظام لم يضع اعتبارات كبيرة لمسألة الديمقراطية، خاصة مع التخلى التركى عن هدف الانضمام للاتحاد الأوروبى، وتقاربه مع التوجهات الروسية فى الإقليم، بالتزامن مع تراجع مرتبة الديمقراطية على الأجندة الغربية، وأصبح أردوغان قاب قوسين أو أدنى من إطالة أمد حُكمه لتركيا حتى عام 2028 من الناحية النظرية، واستخدم أردوغان الإجراءات الديمقراطية فى خدمة تقويض التداول السلمى للسلطة، ما يسجل تراجعاً جديداً فى حالة الديمقراطية بين دول الشرق الأوسط.

ثالثاً: السيناريوهات المحتملة للانتخابات التركية:

وفى هذا الحراك السياسى الذى تشهده أنقرة فى أعقاب إجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المبكرة، من المتوقع أن يكون له تأثير بشكل كبير على السياسة الداخلية والخارجية حتى فى ظل فوز «أردوغان» أو أحد منافسيه. يرجع ذلك إلى تحول النظام إلى رئاسى، بالإضافة إلى الصلاحيات التى مُنحت للرئيس عبر التعديلات الدستورية الأخيرة، حيث مكنته من التحرك بدون قيود على كافة الأصعدة وإن كانت هناك رقابة من قبل البرلمان، إلا أنها منحت الرئيس الحق فى إلغاء منصب رئيس الوزراء، وتعيين نائب أو أكثر للرئيس، علاوة على التدخل المباشر فى عمل القضاء، كما سيكون للرئيس حق فرض حالة الطوارئ قبل عرضه على البرلمان فى أعقاب «انتفاضة ضد الوطن».

فعلى المستوى الداخلي؛ من المتوقع أن تستمر حالة الخناق والتضييق على العسكريين، والأكاديميين، وبعض التابعين لحركة «فتح غولن» بحجة تورطهم فى محاولة الانقلاب لتكون بمثابة سياسة ردع صامتة فى وجه المناهضين للسياسات الداخلية. من المتوقع عدم التوافق الداخلى بين الأتراك حول السياسات المقبلة من قبل «أردوغان» أو أحد زعماء المعارضة نتيجة الاختلاف حول المصالح العامة للدولة، وتنامى حالة السخط العام نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية من قبل الحكومة الحالية. ومن المحتمل استمرار الوضع الاقتصادى الحالى نتيجة عدم الاستقرار، مع هروب الاستثمارات الأجنبية بالرغم من وضع الحكومة الحالية حزماً من المساعدات لتحفيز الاستثمار، وإن كانت فى باطنها ما هى إلا مهدئات لحالة الخناق الاقتصادى الحالى.

أما خارجيًا؛ من المتوقع استمرار العمليات العسكرية الخارجية، لتحقيق الأطماع التركية فى المحيط العربى، عبر إقامة قواعد عسكرية على غرار الصومال وقطر. فضلاً عن دعم الجماعات والتنظيمات المسلحة فى الدول العربية لتكون أذرعها الخارجية لتحقيق وتنفيذ مصالحها خارجيًا مثل «الجيش السورى الحر». وذلك لأن الحرب الدائرة الآن هى حرب بالوكالة كونها غير متماثلة، كما إنها تمثل استنزافاً للجيوش الوطنية. من المتوقع التصدى بجرأة وحزم للمشروع الكردى المتنامى على الحدود مع سوريا للحفاظ على سيادة الدولة التركية عبر الحسم العسكرى على غرار العملية العسكرية فى «عفرين». وذلك فى سياق؛ علاقات استمرار علاقات التنافس مع القوى الإقليمية والدولية على تقسيم النفوذ بما يتوافق مع المصلحة الوطنية التركية التى تجلت فى سوريا.

ختامًا؛ يعد إعلان «أردوغان» بإجراء انتخابات رئاسية وبرلمانية مبكرة، مؤشرًا على تراجع شعبيته داخليًا، وخوفًا من انفلات زمام الأمور. علاوة على الرغبة فى التوسع خارجيًا بدون تطويق من الداخل، وردع من المعارضة الحزبية.

وفى هذا السياق فإن الانتخابات الرئاسية والبرلمانية التركية المقبلة مختلفة تماماً عن سابقاتها ومعقدة جداً؛ ولذا فمن الصعوبة بمكان الجزم بنتائجها ومآلاتها. صحيح أن أسماء المرشحين وشكل التحالفات سيجلّى الصورة نسبياً، وصحيح أن الرئيس أردوغان مرشح قوى، وفرصه فى الفوز مرتفعة جداً حتى فى ظل مرشح قوى مثل غل - فى حال ترشحه- إلا أن ذلك لا يعنى أن نتيجة الانتخابات واضحة أو مقطوع بها قبل إعلان اللجنة العليا للانتخابات عنها يوم24 يونيو / 2018 .

السياسة والاقتصاد بين واشنطن وبكين

منذ أواخر الحرب العالمية الثانية ظهر على الساحتين السياسية والاقتصادية ما عرف بتوافق واشنطن من ناحية ومدرسة شيكاغو فى الاقتصاد ومن ناحية أخرى سياسة الأحلاف العسكرية فى الناتو وانتشارها فى عدة مناطق فى العالم. لم تكن الصين فى تلك الفترة قوة كبرى عالمية فى القرن العشرين وإن كان لديها كافة الإمكانيات لتحقيق ذلك.

سفير د. محمد نعمان جلال

galal_m@hotmail.com

ويرجع الفضل فى حدوث تغير جوهرى فى الصين سياسة واقتصاداً ومنهجاً فى العلاقات الدولية للزعيم الصينى رائد الانفتاح الاقتصادى دنج سياو بنج ثم خليفته الصاعد الرئيس الصينى الحالى شى جينبينج. وإذا كان دنج قد دعا إلى الانفتاح الاقتصادى تحت شعار الاشتراكية بخصائص صينية معتمداً على التراث الثقافى الصينى فى تحديد وبلورة السلوكيات فإن الرئيس الصينى الحالى شى جينبينج اعتمد على التراث الصينى العظيم ومدارسه الفكرية المتعددة وهو فكر لديه السبق فى مجالات فلسفية وعملية عديدة واستدعاء ذلك الفكر أو بعض مدارسه المتخصصة والمعتمدة على الحضارة الصينية مع صبغها بصبغة القرن الحادى والعشرين ومن هنا قدم فلسفة رئيسية فى الاقتصاد والسياسة تعتمد على عدة ركائز منها: الكسب للجميع، والتعاون والتنمية وليس المساعدات والمنح والهبات، وإنشاء مجموعة من البنوك والمؤسسات المالية التى تقدم قروضاً للبنية الأساسية، واعتماد شعار «الحزام والطريق» كوسيلة للإنعاش والتعاون الاقتصادى.

فى عام 2008 واجه العالم أزمة مالية تحولت لأزمة اقتصادية ومالية عالمية ولها تداعيات سياسية فأعاد الغرب اقتراح نفس التفكير التقشفى من خلال مؤسسات بريتون وودز بينما الصين بادرت من خلال مدارسها الاقتصادية فى جامعات بكين وشنغهاى بوجه خاص إلى إطلاق مبادرة الحزام والطريق ثم التمويل بعدة مصارف وصناديق للمشروعات فى آسيا وأفريقيا. وقد شعرت الولايات المتحدة أن طريق الحرير يهدد سياستها فى آسيا الوسطى وفى أفريقيا وأن المؤسسات المالية التى أطلقتها الصين ودعمتها بمعظم رؤوس الأموال تهدد احتكارها لمؤسسات بريتون وودز وانتهجت عكس سياسات مدرسة شيكاغو التى تسببت ولا تزال تتسبب فى رفع الدعم عن الطبقات الفقيرة والعمل لمصلحة الأغنياء. ومن هنا أطلقت عدة مؤسسات مالية جديدة مثل البنك الآسيوى لتمويل البنية الأساسية وأيضاً صندوق لتمويل مشروعات طريق الحرير البرى. ولم تطلب الصين من الدول النامية تنازلات سياسية كما يفعل الغرب وإنما طلبت شروطاً اقتصادية مثل دراسات الجدوى والبنية القانونية ونحو ذلك من شروط تؤدى لنجاح المشروعات لمصلحة الشعوب والدول. ولم تطلب تطبيق مبادئ مدرسة شيكاغو الاقتصادية الأمريكية فى التقشف بل عمد الفكر الصينى لسياسة التوسع فى الإنفاق وتعزيز البنية الأساسية ونشر مفهوم الإدارة والتدريب المهنى ونقل الخبرات والتكنولوجيا للدول النامية.

وهنا نقول إن ثمة فارق كبير بين المدرستين وما أصبح يطلق عليه توافق واشنطن وتوافق بكين وهو توجه اقتصادى وسياسى مختلف فى المضمون والفلسفة والإجراءات التنفيذية بل إن توافق بكين يحرص على مساعدة الدول الغنية أيضاً فالصين من أكبر المساهمين فى تمويل السندات الأمريكية لبنك الاحتياطى الأمريكى بلا قيود أو شروط. أى أنها تساعد منافسيها لإيمانها بأن التقدم الاقتصادى لكافة الدول هو ركيزة للتقدم والاستقرار السياسى ونستذكر هنا الشعار الصينى المشهور والذى تم الترويج له عبر مجموعة من المؤتمرات الدولية التى تم عقدها بمبادرة صينية وعلى أرض صينية وهو شعار «العمل معاً والتنمية معاً والازدهار معاً» ولقد شاركت كخبير فى عدد من تلك المؤتمرات والندوات وفى البداية كنت أعتقد أنها شعارات من قوى من المثقفين والأكاديميين ولكن سرعان ما تحولت إلى حقائق على أرض الواقع وانطلقت المؤسسات التمويلية فى تقديم القروض والمنح للمشروعات التنموية فى الدول المختلفة وتعزيز البنية الأساسية على طريق الحرير.

ما هو الهدف من هذا التحليل الذى نقدمه؟ إن هو التمنى بأن تفكر الدول العربية ودول الشرق الأوسط بوجه خاص فى المنهج الصينى وتوافق بكين بدلاً من أن تعيش فى دورة الغزو والتوسع والسيطرة وإنشاء مناطق نفوذ وتكوين أحزاب تتبعها أو تنتهج سياسة إثارة الفتن والأحقاد والدمار. فى الدول الأخرى وبخاصة دول الجوار وهذه واضح لمن يتابع الأوضاع فى الشرق الأوسط وبخاصة الدول العربية التى تتعرض لفكر متخلف من دول الجوار يعيش فى عالم التوسع والسيطرة المذهبية والاقتصادية والسياسية وينفق الكثير على العملاء بدلاً من رفع مستوى شعوبها. فهل يمكن أن يفكر قادة دول الجوار العربى وبعض الدول التابعة لهم والأحزاب النائمة أو النشطة بمنهج العمل لمصلحة الجميع والتوسع والغزو والعدوان على الأخرى بشتى الطرق أن هذه سياسة بائدة ولا تعكس فكر وفلسفة القرن الحادى والعشرين وأخيراً نتساءل هل يمكن لإسرائيل أن تتخلى عن الاعتماد على الولايات المتحدة فى سياساتها المتشددة والتوسع وبناء المستعمرات فى الأراضى الفلسطينية؟ وهل يمكن أن تتخلى تركيا وإيران عن مفهوم السيطرة على دول الجوار؟ وهل يمكن لبعض الأحزاب التابعة لغير دولها أن تعيد النظر فى فكرها وفلسفتها. إن على الجميع أن يفكر إستراتيجياً فى المستقبل ولا يعيش فى عالم مضى حيث بناء الإمبراطوريات والتوسع والاستعمار وتكوين العملاء والتابعين فى الدول الأخرى.

هل تستمر الإنفراجة ؟

القمة الكورية الثالثة

إذا كانت ظروف الحرب الكورية (1950-1953) وأحداث الحرب الباردة قد فرضت على قرية بان مونجوم أن تظل على مدى 65 عاماً معلماً شاهداً على مأساة تقسيم شبه الجزيرة الكورية، فقد ادخرتها الأقـــدار لتصبح رمزاً لبداية مفاوضات – قد تطول أو تقصر- لإعادة التوحيد السلمى بين الكوريتين وإخلاء شـــبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية، وذلك باختيارها لتكون مسرحاً لثالث قمة كورية بعد قطيعة طالت 11 عاماً منذ آخر قمة عقدت بين قادة الجانبين كما احتضنت أرضها شـــجرة الســـنوبر «سونامو- حامية السلام» التى غرســـها الرئيسان الكورى الجنوبى مون جى إن والكورى الشمالى كيم جونج أون، ورُويت بمياه نهر الهان فى كوريا الجنوبية ونهر دايدونج فى كوريا الشـــمالية، لتظل شاهدة على هذا الحدث ذى الدلالة الرمزية فى التاريخ الكورى الحديث.

سفير رضا الطايفي

taifyreda@yahoo.com

أولاً: نجحت كوريا الجنوبية بامتياز فى اســـتضافة وتنظيم دورة أولمبياد بيونج تشانج الشـــتوية، وبالتوازى مع هذا النجاح التنظيمـــى والرياضى فقد نجحت دبلوماسية الأولمبياد فى تمهيد الأجواء لعقد ثالث قمة كورية بين زعيمى الكوريتين بعد القمة الأولى التى عقدت فى بيونج يانج فى يونيو 2000 والقمة الثانية التى عقـــدت أيضاً فى العاصمة الكورية الشـــمالية فى أكتوبر 2007، وقد اتفق الجانبان بعد عدة جولات من اللقاءات والمشـــاورات علـــى أن تعقد القمة الثالثة فى المنطقة الحدودية فى بان مونجوم، وتجدر الإشـــارة فى هذا الصدد إلى أن القمـــة الأولى كانت قد عقدت فى بيونج يانـــج بناء على رغبة كوريا الشمالية مع الاتفاق فى أعقابها على أن تعقد القمة الثانية فى العاصمة الكورية الجنوبية «ســـول» إلا أن كوريا الشمالية تراجعت فى اللحظات الأخيرة عن ذلك وأصرت على عقـــد القمة فى بيونج يانـــج على غـــرار القمة الأولى خشية تعرض حياة رئيسها كيم كونج إيل للخطر فى حالة ســـفره إلى كوريا الجنوبية وكان لها ما أرادت حيث وافق الرئيس الراحـــل «روه مو هيون» على السفر إلى كوريا الشـــمالية بشرط أن يخترق الحدود بين البلدين مباشـــرة بالســـيارة ليكون بذلك أرفع مســـئول كورى يعبر حدود الكوريتين مباشـــرة دون الحاجـــة إلى الدخـــول عبر دولة ثالثة فى مشهد أظنه مازال محفوراً فى قلوب ملايين الكوريين الحالمين بإعادة التوحيد السلمى لشبه الجزيرة الكورية.

كما نجحت دبلوماســـية الأولمبياد وما أحدثته من زخم سياســـى للتقارب بين الكوريتين، فـــى التمهيد لعقد قمة غير مســـبوقة وربما غير متوقعة عن أكثر المتابعين تفـــاؤلاً لملف العلاقات الكورية-الأمريكيـــة، بيـــن الرئيـــس الأمريكـــى ترامب والكورى الشـــمالى كيم جونج أون بعد حملة ماراثونية من الاتهامات والتهديدات المتبادلة بينهما وبعد أن حبس العالم أنفاســـه أكثر من مرة حينما وصلت الأمـــور بينهما إلى حافة الهاوية خشية وقوع حرب نووية جديدة مدمرة، وهـــى القمة التى تقرر عقدها يوم 12 يونيو فى سنغافورة.

ثانياً: وإدراكاً من الرئيس الكورى الشمالى على أهمية مباحثاته المرتقبة سواء فى القمة الكورية–الكورية والقمة الكورية- الأمريكيـــة وحرصاً منه على التشاور والتنســـيق المسبق مع حلفاء الماضى حول السياســـات والخطوات التى يعتـــزم الإقدام عليهـــا والتى قد تؤسس لوضع إقليمى جديد فى شمال شـــرق آسيا ســـيكون له تداعيات على الصين، فقد قام الرئيس كيم جونج أون بزيارة سرية إلى بكين خلال الفترة من 25/28 مـــارس 2018 التقى خلالها بنظيـــره الصينى، وهـــى الزيارة التى أعلن عنها بعد انتهائها بساعات والتى تســـربت بعدها تقديرات تفيد بموافقة كيم جونج أون على استئناف المباحثات السداســـية الخاصة بتســـوية الأزمة النووية فى شبه الجزيرة الكورية وهى الصيغة المتعـــددة الأطراف التى كانت ترأسها وتستضيفها الصين وتضم إلى جانب الأخيرة كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية- روســـيا- اليابان- كوريا الجنوبية وكوريا الشمالية، والتى كانت قـــد بدأت أولى جولاتهـــا فى بكين فى 2003 فى أعقاب الأزمة النووية الثانية التى حدثـــت نتيجة الشـــكوك الدولية حول اكتشـــاف برنامج كورى شمالى لتخصيـــب اليورانيوم، والتى شـــهدت خـــلال جولاتها اللاحقـــة وخاصة عام 2005 ما يشبه الاختراق نتيجة موافقة أطراف المباحثات علـــى تقديم حزمة من المساعدات الاقتصادية والضمانات الأمنية لكوريا الشـــمالية مقابل تخليها عن برنامجها النووى، إلا أن المفاوضات

القمة الكورية الثالثة

تعثرت وتوقفت لاحقاً ثم أعلنت كوريا الشمالية انسحابها من المباحثات فى 15 أبريل 2009 بعد صدور قرار رئاسى من مجلس الأمن يدين المحاولة الفاشلة لكوريا الشمالية لإطلاق قمر صناعى فى الفضاء الخارجى، وتشير بعض التقديرات أن استئناف صيغة المباحثات السداسية يمكن أن تنجح هذه المرة إذا ما سبقها اتفاق إطارى عام لتسوية الأزمة النووية فى شبه الجزيرة الكورية بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الشمالية، وأن المفاوضات قد تأخذ لاحقاً شكلاً رباعياً بحيث تقتصر على الكوريتين وكل من الصين والولايات المتحدة الأمريكية، حيث تقدر كوريا الشمالية أن تسوية مشكلاتها مع الولايات المتحدة أولاً سوف يخلق أجواء من الثقة للمساهمة فى التوصل إلى التسوية الشاملة للأزمة «غير أن الصيغة الرباعية المقترحة تعنى تهميشاً للدور الروسى واليابانى فى التسوية».

وإلى جانب التشاور مع الصين، فقد أوفدت كوريا الشمالية وزير خارجيتها رى يونج هو إلى موسكو للقاء نظيره الروسى سيرجى لافروف يوم 10 أبريل 2018 لإجراء مباحثات موسعة حول التطورات المنتظرة فى شبه الجزيرة الكورية.

ثالثاً: عقدت القمة يوم 27 أبريل فى جو وصف بأنه ودى لما تخللها من إيماءات مجاملة متبادلة، وقد صدر عنها «إعلان بان مونجوم» تضمنت ديباجته إعلان الزعيمين أنه لن تكون هناك حرب فى شبه الجزيرة الكورية وأن عهداً جديداً للسلام قد بدأ عاقدين العزم على إنهاء عهد الانقسام والمواجهة الناتج عن الحرب الباردة إيذاناً ببدء عصر جديد للمصالحة والسلام وتطوير العلاقات بين الكوريتين، وقد تضمن الإعلان أربعة بنود رئيسية كالتالي:

الأول: حول تحسين العلاقات الثنائية متضمناً ستة بنود فرعية:

- تطوير العلاقات فى إطار مبدأ الاستقلال والالتزام بما جاء فى الإعلانات المتفق عليها بين الجنوب والشمال.
- الإسراع فى عقد مباحثات فى كافة المجالات لوضع التدابير اللازمة لتنفيذ اتفاقات القمة.
- إنشاء مكتب اتصال مشترك فى منطقة كايسونج الحدودية الصناعية.
- تنشيط التعاون والتبادل والاتصالات بين الجانبين على المستويات البرلمانية والحزبية والمنظمات المدنية لتنشيط أجواء المصالحة وتحقيق التأهل المشترك فى المنافسات الدولية مثل دورة الألعاب الشتوية 2018.
- العمل على تسوية القضايا الإنسانية الناجمة عن التقسيم وعلى رأسها لم شمل الأسر المشتتة والأقارب بمناسبة عيد الاستقلال الموافق 15 أغسطس 2018 من خلال استئناف مباحثات الصليب الأحمر.
- تنفيذ المشاريع السابق الاتفاق عليها فى إعلان 4 أكتوبر 2007 لتحقيق التنمية المتوازنة والازدهار المشترك بما فى ذلك التدابير الفعلية لربط السكك الحديدية بين خط دونج هيه، وخط كيونج وى وتحديثها.

الثانى: حول إجراءات تخفيف حدة التوتر العسكرى فى شبه الجزيرة الكورية والقضاء على مخاطر الحرب بشكل عملى، متضمناً ثلاثة بنود فرعية هي:

- وقف جميع الأعمال العدائية التى تعتبر مصدراً للتوترات العسكرية والصراعات براً وبحراً وجواً مع وقف بث الدعاية العدائية المتبادلة اعتباراً من الأول من مايو 2018 وتحويل المنطقة المنزوعة السلاح إلى منطقة سلام حقيقى.
- اتخاذ ما يلزم من تدابير عملية لمنع النزاعات العسكرية العرضية وضمان أنشطة الصيد الآمنة عند الحدود الشمالية فى البحر الغربى.
- اتخاذ ما يلزم من تدابير لتعزيز التعاون والتبادل والتواصل العسكرى، بما فى ذلك عقد اجتماع بين وزيرى الدفاع يسبقه محادثات عسكرية فنية فى غضون شهر مايو 2018.

الثالث: حول تعاون الكوريتين من أجل بناء نظام سلام مستدام ومتين فى شبه الجزيرة الكورية وإنهاء حالة الهدنة القائمة بما فى ذلك:

- تأكيد الكوريتين على عدم الاعتداء والتوقف عن أية أعمال عسكرية بينهما.
- الاتفاق على تقليص الأسلحة بصورة تدريجية.
- الاتفاق على عقد محادثات ثلاثية بين الكوريتين والولايات المتحدة ومحادثات رباعية تضم إلى جانب الكوريتين كلاً من الولايات المتحدة والصين للإعلان عن إنهاء الحرب خلال عام 2018 الذى يصادف مرور 65 عاماً على عقد اتفاقية الهدنة، ووضع أساس بناء نظام السلام المستدام فى شبه الجزيرة الكورية.

الرابع: حول تأكيد الكوريتين على هدفهما المشترك لإخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية عبر النزع النووى الكامل.

حيث اتفق الجانبان على أن ما يتخذانه من إجراءات ذات مغزى سيكون

أساســـاً لتحقيق الإخـــلاء النووى مع سعيهما فى نفس الوقت للحصول على دعم وتعـــاون المجتمع الدولى من أجل تحقيق إخلاء شبه الجزيرة الكورية.

كما تضمن «إعـــلان بان مونجوم» اتفاق الرئيسين على زيارة الرئيس مون جيه-إن لبيونج يانـــج فى خريف عام 2018.

رابعـــاً: 1. جاء إعـــلان المصالحة متضمناً إطاراً عاماً لتســـوية المشكلة الكوريـــة يحتـــوى علـــى الكثير من الطموحات والنوايا الحســـنة شأنه فى ذلك شـــأن تلك الإعلانـــات التى أعقبت القمم الكورية الســـابقة وكما سبق وأن حصل الرئيس الكـــورى الجنوبى كيم داى جونج- صاحـــب اقتراح عقد أول قمة بين الكوريتين وما أعقبها من إعلانه سياسة الشمس المشرقة لتحقيق السلام والاستقرار فى شبه الجزيرة الكورية- على جائزة نوبل للســـلام، فإن أصواتاً إعلامية بدأت تتعالى مطالبة بترشـــيح الرئيس الكورى الشـــمالى كيم جونج أون لنيـــل جائزة نوبل للســـلام، فهل يدفعه بريق جائـــزة نوبل إلى المضى قدماً نحو وقف البرنامج النووى لكوريا الشمالية خاصة وأنه بدأ بإعلان تعليق التجارب النووية لبلاده؟ أم أن جينات الشك والريبة وربما الخوف على كرسى الســـلطة التى ورثها عن جده المؤسس كيم ايل سونج يمكن أن يجعله يتوقف فى منتصف الطريق كما سبق أن فعل والده كيم جونج ايل بإعلان انســـحابه من المفاوضات السداســـية التى كانت قد قطعت شـــوطاً كبيـــراً نحو تفكيك البرنامج النووى لكوريا الشمالية؟

فى تقديرى أن القمـــة الأمريكية- الكورية الشمالية المرتقبة سوف تكون كاشفة وقد تساهم فى فك شفرة التشدد الكورى الشمالى إذا ما اقتنع الرئيس كيم جونج أون واطمأن لما يمكن أن يقدمه الرئيس الأمريكى من تنازلات وضمانات تسمح بتوقيع اتفاق سلام دائم بدلاً من اتفاق الهدنة الحالى وعدم تهديد نظام وأيديولوجية الحكم فى الشمال وتقديم حزمة مغرية من المعونات الاقتصادية لكوريا الشمالية تمكنها من الخروج من أزمتها الاقتصادية القائمة مع عدم عرقلة عملية المصالحـــة والتقارب الكورى- الكورى أو الكـــورى- اليابانى، على أن تكون الصين طرفـــاً فاعلاً وضامناً لما يمكن التوصل إليه من اتفاقيات، خاصة وأن الصين قد لا تسمح بتمرير أى اتفاق يمكن أن يعرض مصالحها فى المنطقة لأية مخاطر.

2. أحدثت القمـــة الكورية الثالثة حراكاً سياســـياً وزخماً ملحوظاً حيث أعقبهـــا قمة صينية- كورية شـــمالية ثانية يومـــى 7،8 مايو 2018 فى ثانى لقاء يعقد بين الزعيم الصينى ونظيره الكورى الشـــمالى خلال أربعين يوماً، فضلاً عن قمة ثلاثية بين الصين واليابان وكوريا الجنوبية، مع توقعات باحتمال عقد قمـــة يابانية- كورية شـــمالية، فضلاً عن القمة الثلاثية المقترحة بين الولايات المتحدة- والكوريتين تمهيداً لانعقاد المباحثـــات الرباعية المقترحة بين الولايـــات المتحدة والصين وكوريا الجنوبية وكوريا الشـــمالية، هذا فضلاً عن زيارة وزير الخارجية الأمريكى مايك بومبيو لبيونج يانج يوم 9 مايو، ولقائه بالرئيس كيم جونـــج أون ونجاحه فى إطلاق ســـراح الأمريكيين الثلاثة الذين كانوا محتجزين فى كوريا الشمالية.

3. ختاماً، يمكن القول أنه إذا كانت قمة بان مونجوم قد رســـمت الخطوط العريضة لتســـوية المشـــكلة الكورية وإخلاء شبه الجزيرة الكورية من الأسلحة النووية، فإن القمة الأمريكية- الكورية الشمالية المحتملة سوف تضع النقاط فوق الحروف، علماً بأنها ســـتكون قمة شـــاقة لتناولها مسائل معقدة وخلافية حيث يدخل الرئيس ترامب القمة بقائمة من الطلبات المتشـــددة منها ما بلوره مستشار الأمن القومى الأمريكى بولتون بأن على بيونـــج يانج تنفيذ إعلان نزع السلاح النووى المشـــترك بين الشمال والجنوب الكورى عـــام 1992 والذى يتضمن إزالة الوقـــود النووى بصورة كاملة، ووقف تخصيب اليورانيوم ووقف إعادة معالجـــة البلوتونيوم، وذلك دون الإعلان عما يمكن أن تقدمه واشنطن فى المقابل.

هذا فضلاً عن التأكيدات الأمريكية- الكورية الجنوبية علـــى أن الترتيبات الأمنية والعســـكرية القائمة فى إطار التحالف القائم بين الجانبين- بما فى ذلك تمركز القوات الأمريكية فى كوريا الجنوبيـــة لا علاقة لها بمســـألة عقد اتفاقية سلام بين الكوريتين، وهى أمور قد تثير مخاوف كوريا الشمالية والتى بدأت تلوح فى الأفق بعد إعلان الرئيس ترامب عن انســـحاب بلاده من الاتفاق النووى مع إيران يـــوم 2018/5/8، ويبقى التســـاؤل هل يمكن أن تحقق الولايـــات المتحدة اختراقـــاً مع كوريا الشمالية خلال القمة المرتقبة وتتوصل معها إلى «تســـوية القرن» فى الوقت الذى أعلنت انســـحابها مـــن الاتفاق النووى مع إيـــران إحدى الدول القلائل التى مازالت تحتفظ بعلاقات قوية مع كوريا الشـــمالية وتعاون عسكرى يثير ريبة الولايات المتحدة الأمريكية؟!

بوادر تقارب بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة

لقد شهد النصف الثانى من عام 2017 تصعيداً كبيراً على كافة المستويات السياسية والدبلوماسية والعسكرية والإعلامية بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية. وقد بلغت أقصى درجاتها بالتهديد باستخدام الأسلحة والصواريخ الباليستية إذا تعرضت كوريا الشمالية لأى اعتداء أمريكى. وكان رد الرئيس الأمريكى ترامب غير عادى وأثار دهشة وتوتراً ليس فقط على مستوى منطقة الشرق الأقصى وإنما العالم كله عندما قال أنه يمكن ضرب كوريا الشمالية ومحوها من على الخريطة.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وأرجع المتابعون لشئون شبه الجزيرة الكورية هذا التوتر إلى عدة عوامل منها: رفض واشنطن فتح حوار مباشر مع بيونج يانج مرجعه إخلالها بما سبق أن توصلت إليه مباحثات جماعية سابقة معها، وتكثيف الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الجنوبية مناوراتهما العسكرية المشتركة على مقربة من شواطئ وحدود كوريا الشمالية، هذا إلى جانب إصرار واشنطن على الاستمرار فى فرض عقوبات اقتصادية وتجارية ومالية على كوريا الشمالية وانتقاد أوضاع حقوق الإنسان فيها. وكانت ردود فعل بيونج يانج إجراء المزيد من التجارب النووية العسكرية، وتجارب الصواريخ الباليستية خاصة متوسطة المدى وطويلة المدى، مع تصعيد الحملات الدعائية العدائية ضد سيول واليابان وواشنطن بصورة مبالغ فيها وتفوق كل إمكاناتها بمراحل كبيرة ولكنها تعتمد فى ذلك على وجودها فى منطقة توازن قوى بين الكبار وهم الصين وروسيا من جانب وهما ظهيرها منذ الحرب الكورية إلى الآن، والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وهما سند وحليف كوريا الجنوبية.

وقد رأت الصين وروسيا أن الزعيم الكورى الشمالى قد تجاوز كثيراً الحدود المقبولة فى تحديه للولايات المتحدة الأمريكية وما قد يجلبه ذلك من أزمات متفجرة تأخذ العلاقات بين هذه القوى الكبيرة إلى مسارات لا تريدها وتلحق أضراراً كبيرة بمصالحها المشتركة. ومن ثم اتخذت كل من روسيا والصين موقفاً متشدداً من بيونج يانج، وتمثل ذلك فى الموافقة على قرارات لمجلس الأمن الدولى بتوقيع عقوبات على كوريا الشمالية، بل أكثر من ذلك التزام كل من بكين وموسكو بتطبيق هذه العقوبات. وقد خفضت الصين وارداتها من كوريا الشمالية بدرجة كبيرة خلال الأشهر الأولى من عام 2018 حيث بلغ التخفيض نحو 78.5 ٪ فى يناير وفبراير 2018 وكان التراجع قد بدأ منذ أواخر عام 2017 حيث انخفضت صادرات الصين إلى كوريا الشمالية بنسبة 33٪ فى يناير و34٪ فى فبراير 2018 وهذا مؤشر عملى على التزام الصين بتطبيق العقوبات. ومارست روسيا بدورها ضغوطاً على بيونج يانج عن طريق تخفيض التأشيرات التى تمنحها سنوياً للعمال الكوريين الذين يعملون فى روسيا فى مجالات البناء والزراعة، وفى مجال صناعة وصيد الأسماك، والتى كان يتراوح عددها نحو 12 ــ 15 ألفاً للعمال الكوريين سنوياً، ويقدر عددهم على مدار السنة فى روسيا بنحو 35 ألف عامل. وكانت روسيا قد بدأت تعيد أعداداً من هؤلاء العمال إلى بلدهم.

وبالتوازى مع تطبيق العقوبات على بيونج يانج بذلت مساعى حميدة لتخفيف حدة التوتر فى شبه الجزيرة الكورية، وبين كوريا الشمالية وواشنطن وطوكيو والسعى لفتح حوار يحتوى الموقف ويعيد الهدوء النسبى إلى شبه الجزيرة الكورية.

وقد أسفرت جهود التهدئة خاصة من جانب الصين وما لديها من أدوات ضغط وإقناع للزعيم الكورى الشمالى، عن إعلان كل من الرئيس الأمريكى دونالد ترامب والزعيم الكورى الشمالى كيم يونج أون، استعدادهما لعقد اجتماع قمة بينهما للتفاوض حول الملف النووى والصواريخ الباليستية متوسطة وطويلة المدى لكوريا الشمالية، وإنهاء التوتر المستمر فى شبه الجزيرة الكورية منذ انتهاء الحرب الكورية عام 1953.

أدى الإعلان عن القمة الأمريكية ــ الكورية الشمالية إلى حركة سريعة على مستويات عدة وعقدت قمتان فى خلال شهرين بين الزعيم الكورى الشمالى والرئيس الصينى، وقمة بين زعيمى الكوريتين فى 27 أبريل 2018، وعدة زيارات لوزراء الخارجية، حيث زار وزير خارجية كوريا الشمالية روسيا، وزار وزير خارجية الصين كوريا الجنوبية، وزار مدير المخابرات الأمريكية مايك لومبينو، بيونج يانج مرتين، الأولى وهو مدير المخابرات، والثانية فى 9 مايو 2018 بعد أن تولى منصب وزير الخارجية الأمريكية وهدف الزيارتين كان الإعداد للقمة المشار إليها والاتفاق على جدول أعمالها ومكان انعقادها.

وتؤكد كل هذه الجولات الدبلوماسية أن الأوضاع فى شبه الجزيرة الكورية لا تخص الكوريتين فقط وإنما كل القوى الكبرى المحيطة بها، الصين وروسيا من جهة وأمريكا واليابان من جهة أخرى، وأن أى اتفاق بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية يتعين أن يتضمن بنوداً والتزامات متبادلة تضمن مصالح كل هذه الأطراف دون أى إخلال بها ودون إخلال بالتوازنات القائمة فى المنطقة سواء كانت فى ظل التوتر والتراشق بالاتهامات أو فى ظل مرحلة جديدة تتسم بالسلام وروح التعاون من أجل المصالح المشتركة لجميع الأطراف.

وإن وراء كل هذا الحرص والاتصالات الموسعة بين كل الأطراف هو أن هذه ليست المرة الأولى للتفاوض مع كوريا الشمالية بشأن ملفها النووى على النحو السالف بيانه، كما أنها ليست المرة الأولى من قيام اتصالات مباشرة بين بيونج يانج وواشنطن، رغم أنها المرة الأولى لعقد قمة أمريكية - كورية شمالية. فقد سبق إجراء الزيارات والاتصالات التالية بينهما:

زارت مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية الأمريكية كوريا الشمالية عام 2000.

زيارة بيل ريتشاردسون، مندوب الولايات المتحدة السابق فى الأمم المتحدة لبيونج يانج عدة مرات فى بداية التسعينات من القرن العشرين.

زيارات الرئيسان الأمريكيان السابقان جيمى كارتر وبيل كلينتون، لكوريا الشمالية بعد تقاعدهما.

زيارة ريتشارد كلاير - المدير السابق للمخابرات الأمريكية، السرية لبيونج يانج عام 2014 للإفراج عن بعض المحتجزين الأمريكيين فى كوريا الشمالية.

زيارة الواعظ فرانكلين جراهام - كوريا الشمالية نحو خمس مرات.

زيارة لاعب كرة السلة الأمريكى المشهور دينيس رودمان، وهو على علاقة ودية مع الزعيم كيم يونج أون.

وإن كل هذه الزيارات على امتداد زمنى غير قصير إلى جانب ما قد يكون هناك من اتصالات دبلوماسية سرية بين بيونج يانج وواشنطن سواء فى المنظمات والمؤتمرات الدولية، أو فى بعض العواصم الأوروبية وموسكو وبكين تدل على أن الخيط بينهما لم ينقطع تماماً حتى فى أشد أوقات التوتر بينهما.

وقد حرص الزعيم الكورى الشمالى كيم يونج أون على عقد اجتماع مع قيادات حزب العمال الحاكم فى 10/ 4/ 2018 لمناقشة الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية، والعلاقات بين الكوريتين، واستراتيجية كوريا الشمالية فى المرحلة القادمة والتى سيكون التركيز خلالها على أولوية التنمية الاقتصادية والارتقاء بمستوى حياة الناس إلى جانب الاهتمام بشئون الدفاع والأمن، وكان فى ذلك رسالة لكل من واشنطن وسيول عن أن بيونج يانج تنوى إعطاء أولوية خاصة للتنمية الاقتصادية وهو ما يتطلب التعاون المشترك بدلاً من المواجهة.

وثمة تصريحات قد تفصح عن حقيقة النوايا:

تصريح لجون بولتون - مستشار الأمن القومى الأمريكى، أشار فيه إلى أنه قد يتبع النمط الليبى فى التخلص من الأسلحة النووية لكوريا الشمالية حيث قام العقيد القذافى وقتئذ بتسليم كل ما لديه من أجهزة ومعدات نووية. ولكن بولتون فاته أن ليبيا لم تكن قد بدأت بعد وكانت فى بداية سلم الاستعداد لإقامة مفاعلات نووية، بينما كوريا الشمالية قطعت شوطاً متقدماً فى المجال النووى من تخصيب لليورانيوم وإنتاج أسلحة نووية، وإنتاج صواريخ باليستية يمكن تطويرها لحمل رؤوس نووية. كما أن ما حدث للرئيس القذافى وتدمير ليبيا اختيار سيىء لنموذج أسوأ لا يمكن اتباعه مع كوريا الشمالية المحاطة بحليفين قويين روسيا والصين.

أكدت بيونج يانج على لسان وزير خارجيتها أن قبولها التفاوض لا يرجع إلى العقوبات والضغوط عليها كما تدعى واشنطن، وحذرت من الاستمرار فى الاستفزاز بإمداد كوريا الجنوبية بأسلحة حديثة والعودة للحديث عن حقوق الإنسان فى كوريا الشمالية حيث أن الاستمرار فى ذلك قد يعيد الموقف كله إلى نقطة الصفر، وأن محاولة تضليل الرأى العام تؤدى إلى تخريب أجواء الحوار التى تم التوصل إليها.

وكان الرئيس الأمريكى ترامب ومسئولون أمريكيون آخرون قد أكدوا أن العقوبات التى فرضت على كوريا الشمالية هى التى أرغمتها على قبول التفاوض على التخلص من برنامجها النووى والصواريخ الباليستية، وأن واشنطن ستستمر فى تشديد هذه العقوبات وتطبيقها حتى يتم التخلص من البرنامج النووى والصاروخى لكوريا الشمالية.

أكد مستشار الأمن القومى الأمريكى بولتون لنظيره الكورى الجنوبى على عدم وجود خطط لتغيير الوضع الدفاعى الثنائى للبلدين فى كوريا الجنوبية وهو يشير إلى وجود القوات الأمريكية فى كوريا الجنوبية منذ الحرب الكورية حتى الآن والتى يقدر عددها حالياً بنحو 27 ألف جندى وضابط بأحدث الأسلحة والمعدات والتجهيزات العسكرية. وقد أشار مسئولون كوريون جنوبيون أن هذا الموضوع لن يكون ضمن موضوعات البحث فى القمة الأمريكية الكورية الشمالية. وقال الرئيس ترامب إن القوات الأمريكية ستبقى فى كوريا الجنوبية، وقد يمكن بحث تخفيضها مستقبلاً.

حرص جميع الأطراف وخاصة الكورية الجنوبية والأمريكية على التأكيد فى كل مناسبة على إلزام كوريا الشمالية بالتخلى عن أسلحتها النووية والصواريخ الباليستية بصورة مؤكدة ولا عودة فيها. والسبب وراء ذلك هو ما حدث لنتائج المفاوضات السداسية المشار إليها.

وقال وزير خارجية روسيا إن محادثات كوريا الشمالية مع كوريا الجنوبية وواشنطن تستهدف نزع السلاح النووى من شبه الجزيرة الكورية، مشترطاً حصول بيونج يانج على ضمانات محكمة لأمنها.

أثناء زيارة الزعيم الكورى الشمالى للصين فى 7/5/2018 أكد للرئيس الصينى أن بيونج يانج ملزمة بنزع سلاحها النووى، ولا تحتاج لامتلاكه إذا أسقطت واشنطن سياستها العدوانية وتهديداتها الأمنية ضد كوريا الشمالية، وأنه يتمنى بناء ثقة متبادلة مع الولايات المتحدة الأمريكية من خلال الحوار، وأن الحل السياسى للتوتر فى شبه الجزيرة الكورية، ونزع السلاح النووى، يتعين إنجازهما على مراحل مع اتخاذ الأطراف المعنية خطوات تدريجية متزامنة.

إن خلاصة كل ما سبق وقبل انعقاد القمة المرتقبة بين الزعيم الكورى الشمالى والرئيس الأمريكى دونالد ترامب تتلخص فيما يلي:

1 - أنه من غير المتوقع أن يؤدى اجتماع واحد بينهما إلى إزالة رواسب عميقة من الشكوك وحالة العداء بين بيونج يانج وواشنطن وإنما يحتاج الأمر إلى خطوات وإجراءات ممتدة وعلى مراحل.

2 - أن الأمر ليس كما يصوره الرئيس ترامب بأن تكون كل التنازلات من جانب كوريا الشمالية والتخلى عن برنامجها النووى والصاروخى دون أن تحصل على تنازلات من الجانب الآخر سواء كانت كوريا الجنوبية أو الولايات المتحدة الأمريكية وقاعدتها العسكرية فى كوريا الجنوبية وتقديم ضمانات مؤكدة وموثقة وبضمان القوى الكبرى الأخرى لضمان أمن وسلامة واستقرار كوريا الشمالية.

3 - أن الوضع فى شبه الجزيرة الكورية يمثل واحدة من أهم نقاط توازن القوى فى العالم ومن ثم فإنه ليس مجرد علاقات بين الكوريتين أو بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة الأمريكية فقط وإنما لابد من أن يؤخذ فى الاعتبار مواقف كل من الصين وروسيا من ناحية واليابان من ناحية أخرى.

4 - لا شك أن موقف واشنطن من الاتفاق النووى مع إيران يثير الكثير من الشكوك لدى بيونج يانج حول مدى التزام الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فى ظل رئاسة ترامب بما تعقده من اتفاقات وما تقدمه من وعود وضمانات.

5 - أن تركيز إدارة ترامب على تحقيق أكبر مكاسب مالية واقتصادية وعسكرية فى الشرق الأوسط قد يجعلها أكثر تجاوباً مع تخفيف حدة التوتر فى شبه الجزيرة الكورية ولكن يحد من ذلك توتر العلاقات مع روسيا بصفة عامة ولأسباب عديدة، تؤثر فى العلاقات التجارية مع الصين.

على أية حال قد أيدت دول العالم كلها خطوة التقارب بين كوريا الشمالية والولايات المتحدة والأمل فى أن تحقق إنجازات عملية سيتوقف على المرحلة القادمة ومدى ما يمكن أن تحرزه من تقدم على ضوء القمة بينهما.

أين العرب من منتدى بوآو/ دافوس آسيا؟

لن يجد من طالع وسائل الإعلام المصرية والعربية خبراً متعلقاً بمنتدى بوآو Boao Forum الشـــهير بمنتدى دافوس آسيا، والذى يعقد فى أبريل من كل عام. لن تقرأ أو تسمع عن حضور عربى سواء رسمى حالياً أو سابقاً أو أكاديمى أو رجال أعمال فى هذا المنتدى المهم لنا كعرب، فى لحظة فارقة من تاريخنا، فكيف نستفيد من الخبرات الصينية، والفرص الاستثمارية التى تتيحها؟ وكيف نطالب بدور صينى أكبر فى منطقة الشرق الأوسط؟ فى حين أننا نغفل اللحظة الصينية، وخطواتها الواثقة.

د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

عقـــد المنتدى العام تحت شـــعار «آســـيا منفتحة ومبتكرة من أجل عالم أكثر ازدهاراً»، فى بلـــدة بوآو القريبة من مدينة تشيونجهاى التابعة لمقاطعة هاينان أقصى جنوبى الصين.

ويعد أول منتدى غير حكومى يهتم بالشئون الآســـيوية، ويضم حوالى 32 دولة آســـيوية، أبرزها: الصين والهند وسنغافورة وكوريا الجنوبية والفلبين وأســـتراليا. وكان بمبـــادرة من رئيس الفلبين الأسبق فيديل راموس، ورئيس وزراء أســـتراليا الأســـبق بوب هوك، وغيرهم من الزعماء فى آسيا والمحيط الهادىء. ويقع مقر الأمانة العامة له فى بكين، رغم انطلاقه فى بوآو فى فبراير 2001، وعقد أول اجتماع له فى أبريل 2002.

ويمثل المنتدى فرصة للشخصيات الحكومية والأكاديميـــة ورجال أعمال آســـيويين ومن مختلـــف دول العالم بقاراته؛ لمناقشـــة القضايا الاقتصادية العالمية برؤية آسيوية، وبهدف تعميق التعاون الاقتصادى الإقليمى، فى كافة المجالات.

وقد شهد انعقاد المنتدى هذا العام انتخاب الأميـــن العام الســـابق للأمم المتحدة بان كى مون رئيســـاً للمنتدى، ليحل محل رئيس وزراء اليابان الأسبق ياســـو فوكودا. وانتخاب اثنى عشـــر عضواً جديداً فى مجلس إدارة المنتدى من أصل تسعة عشـــر عضواً، يمثلون مسئولين حكوميين كباراً سابقين ورواد أعمال صينيين وآســـيا والعالم. وتعيين نائب وزير خارجية الصين لى باو دونج أميناً عاماً للمنتدى.

وحضـــر المنتدى هذا العام، رئيس الصين شى جين بينج، ورئيس النمسا ألكسندر فان دير بيلن، ورئيس الفلبين روديجيـــو دوتيرتى ورئيـــس وزراء منغوليـــا أوخانا خورلســـوخ ورئيس وزراء هولندا مارك روتى ورئيس وزراء باكستان شاهد خاقان عباسى ورئيس وزراء سنغافورة لى هيسن لونج والأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش والمديرة العامة لصندوق النقد الدولى كريســـتين لاجارد، ووزيـــرة خارجية النمسا كارين كنســـيل، ورئيس وزراء إيطاليا السابق ورئيس مفوضية الاتحاد الأوروبى السابق رومانو برودى، ووزير خارجية أســـتراليا الســـابق بوب كار، ورئيس وزراء فرنسا السابق جان بيير، وبان كى مون الرئيس الجديد لمجلس إدارة منتدى بوآو الآســـيوى، إلى جانب خبراء اقتصاديـــين عالميين من أمثال روبرت كويمـــان كبير الاقتصاديين فى منظمة التجارة العالميـــة، وإيمانويل باستيد الرئيس التنفيذى لمنطقة آسيا فى مجموعة جى ســـى ديكو، وجيرى جريمستون رئيس شركة ستاندرد لايف البريطانية، وأكثر من 3000 مشـــارك من كافة أنحـــاء العالم، المهتم بالصين ونجاحها، والاستفادة منها.

وجذبت كلمة الرئيس الصينى شى جين بينج فى مراســـم افتتاح المنتدى، تحت عنوان «الانفتـــاح يخلق الازدهار المشـــترك والابتكار يقود المستقبل»، اهتمام العالم، والتـــى أثنى فيها على «مقترحات بوآو القيمة» التى ســـاعدت على بناء توافق فى آســـيا وتشـــجيع التعاون وتعزيـــز العولمة الاقتصادية ودفع بناء مجتمع ذى مصير مشـــترك للبشـــرية. فضلاً عـــن إعلانه مجموعة من التدابير الجديدة لتوســـيع الإصلاح والانفتـــاح، وأوضح موقـــف الصين بخصوص تأســـيس مجتمـــع المصير المشترك لآسيا والبشرية، وخلق مستقبل أفضل لآسيا والعالم بشكل مشترك.

وأكد الرئيـــس بينج فى كلمته على تمسك الصين بالإصلاح والانفتاح ودفع العولمـــة الاقتصاديـــة، ودفع إصلاح حوكمة العالم، وطـــرح الحل الصينى لقضية سلام وتنمية العالم، متمثلاً فى رابطة المصير المشترك للبشرية.

وذكر الرئيس بينج أن أربعين سنة من الإصلاح والانفتاح الصينى هى ثورة ثانية للصين، لا تغير العالم فحســـب وإنما تؤثر علـــى العالم أيضاً. ولخص

حكمة التطبيق فى ديالكتيكية الإصلاح والانفتاح الصينى، أى الاستكشاف الذاتى ونضج نظام طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، فى ما يلي: أولاً، المبدأ العام للإصلاح والانفتاح على أساس الظروف الوطنية، يكون النظر إلى العالم، مع التمسك بالنمو المتناغم والتحسين داخلياً وخارجياً. ثانياً، الاهتمام بالاستقلالية والاعتماد على الذات، وفى نفس الوقت الاهتمام بالانفتاح على الخارج، وتعاون المنفعة المتبادلة. ثالثاً، التمسك بالنظام الاشتراكى، وباتجاه الإصلاح لاقتصاد السوق الاشتراكى. رابعاً، الاهتمام بتلمس الأحجار عند عبور النهر، وتعزيز التصميم على المستوى الأعلى. وأعتقد أن هذه المبادىء مهمة للغاية لدول الجنوب بشكل عام، والدول العربية على وجه الخصوص.

وحدد الرئيس بينج الهدف من مواصلة تعميق الإصلاح والانفتاح، هو تحقيق المصالح العامة للشعب الصينى، والسعى إلى مستقبل مشترك متمثل فى سلام وتنمية العالم، بما يحقق نهضة الأمة الصينية، وبناء رابطة المصير المشترك للبشرية.

وذكر الرئيس بينج أيضاً، الإجراءات التى أعلنت عنها وستتخذها الصين لتعزيز الانفتاح والمتعلقة بدخول السوق الصينى، وتحسين بيئة الاستثمار الأجنبى فى صناعات السفن والطائرات، والسيارات على وجه الخصوص، وتعزيز حماية حقوق الملكية وتوسيع نطاق الواردات. فضلاً عن تدابير رفع سقف الأسهم الأجنبية فى قطاعات البنوك والأوراق المالية والتأمين، إذ قال أن الصين «سوف تسرع فى انفتاح صناعة التأمين، وتخفف القيود المفروضة على إنشاء المؤسسات المالية الأجنبية فى الصين، وتوسيع نطاق أعمالها، وفتح المزيد من مجالات التعاون بين الأسواق المالية الصينية والأجنبية».

وقد وجد شبه إجماع من جانب من حضروا المنتدى على تشجيع كلمة الرئيس الصينى لأعضاء منظمة التجارة العالمية، فإمانويل باستيد الرئيس التنفيذى لمنطقة آسيا فى مجموعة جى سى ديكوه الفرنسية، كواحدة من كبرى الشركات العالمية المصنعة لتجهيزات الشوارع والمساحات الإعلانية، أكد على تشجيع كلمة الرئيس الصينى للاستثمار فى الصين، فى مجالات غير التى تعمل فيها شركته. وذكرت وزيرة خارجية النمسا كارين كنسيل، أنها تأثرت كثيراً بإعلان الرئيس الصينى تخفيف القيود على الملكية الأجنبية، وخاصة شركات السيارات الأجنبية، لكونها صناعة مهمة فى أوروبا، يعمل بها أكثر من ثمانية ملايين شخص، وأن النمسا ترغب فى الانخراط فى تطوير قطاع المركبات التى تعمل بالطاقة الجديدة فى الصين، من خلال التعاون فى أعمال البحوث والتطوير R&D والتنافس مع الشركات الصينية والأجنبية للعمل فى الصين.

ورئيس وزراء إيطاليا السابق رومانو برودى ثمّن اهتمام الشركات الصينية بحماية حقوق الملكية الفكرية، والتطور الكبير الذى تشهده قدرة الابتكار للشركات الصينية. وأشار إلى أن النفاذ إلى السوق الصينى يمثل فرصة جديدة للشركات الأجنبية لضخامة السوق الصينية، ورخص التكلفة.

وأضاف بان كى مون السكرتير العام الجديد للمنتدى، أن «مسيرة تطور الصين تقدم خبرات مفيدة للعالم، ومنها دعم الصين للكثير من الدول النامية، وروح الكفاح للشعب الصينى، وإنجازات الصين فى تطوير الاقتصاد والقضاء على الفقر، وجهودها الإيجابية فى مواجهة تغير المناخ». ومن الجدير بالذكر أن الصين قضت على فقر حوالى سبعمائة مليون صينى، وفقاً لمعايير الأمم المتحدة، أى أكثر من 70% من إجمالى من تخلصوا من الفقر فى العالم، خلال الأربعين سنة المنصرمة.

ومن المستغرب أن من بين الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية لم أقرأ عن حضور دولة منها المنتدى، وكأن الأمر لا يهمنا، ولا نسعى للاستفادة من الخبرات الصينية، وفتح فرص استثمار جديدة فى الصين. لقد حاولت استعراض بعض ما جاء فى المنتدى، لعل صناع القرار العرب يدركون اللحظة الصينية.

أمريكا تغلق باب التجارة، بينما الصين تفتح النافذة لها

فى الشـــهرين الماضيين، ظلّ المجتمـــع الدولى يُركز اهتمامه على الاحتـــكاكات التجارية الأمريكية- الصينية. حيث أجريت مناقشـــات حول القضايا ذات الاهتمام المشـــترك فى مجال التجارة الصينية الأمريكية بين كل من عضو المكتب السياســـى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى ونائب رئيس مجلس الدولة الســـيد ليوخه، والمبعـــوث الخاص للرئيس الأمريكى ووزير المالية السيد موتوكين، ذلك فى الفترة من اليوم الثالث إلى الرابع من شهر مايو 2018.

وهى المرة الأولى التى تتبادل فيها كل من الصين والولايات المتحدة مخاوفهما مع بعضهمـــا البعض بعـــد أن خاضا مواجهة شرسة فى الفترة السابقة وحل القضايا الاقتصادية والتجارية ذات الصلة من خلال الحوار والتشاور.

ويشـــعر المجتمع الدولى بالانزعاج والاضطراب تجاه «الشـــجار» بين أكبر اقتصادين فى العالم، قلقاً على أنّ الرئيس ترامب قد لا يفـــرق بين الدول فى مجال التجارة ويضرّ بهم بالسياساتُ الحمائية الأمريكية. وفـــى نفس الوقت، تقلق عديد من الدول على الصيـــن فى هذه الحرب التجاريـــة بينما أصبحـــت الصين أكبر شريك تجارى بالنسبة إلى أكثر من مائة دولـــة فى العالم وقد تمّ تشـــكيل رابطة التجارة المشتركة التى فيها «إذا ازدهرت الصين، ازدهر العالم».

ما هى الإشـــارات التى أدت إليها المشاورات الاقتصادية التجارية بين بكين وواشنطن؟

فقد أنهـــى الوفد الأمريكى «زيارة خاطفة للصين» استمرت لمدة يومين. ومن خلال المشـــاورات، فقد وصفت وكالة أنباء شينخوا ما حدث فيها بـ» المناقشـــة الصريحة الفعالـــة البنّاءة حـــول القضايا الصينيـــة- الأمريكية ذات الاهتمام المشـــترك فـــى مجالى الاقتصـــاد والتجارة بيـــن الجانبين». وأضافـــت أن الجانبين قد توصلا إلى التوافق فى بعـــض المجالات ولا تزال هناك خلافات كبيرة نسبيًا حول بعض القضايا .علاوة علـــى ذلك، لم يصدر الجانبان بيانـــاً مشـــتركاً، فما الذى يعنيه هذا التشـــاور بالنسبة للعلاقات الاقتصاديـــة والتجاريـــة بين كل من الصين والولايـــات المتحدة؟ ما نحتاج إلى فهمه هو أن «التشاور» هى الكلمة المفتاحيـــة للقاء بيـــن وفدى التجارة الصينى الأمريكى. وهى تشاورات بين

تشن شياو تشن

zhaoyu-rdcy@ruc.edu.cn

جوان تشاو يو

chenxiaochen2013@ruc.edu.cn

الطرفين وليست مفاوضات، وهذا أمر مهم للغاية. حيـــث تركز المفاوضات على النتيجة، أما الغرض الرئيسى من التشـــاورات هو تبادل وجهات النظر والآراء بيـــن كلا الطرفين والبحث عن أســـاس لجولة قادمة من المفاوضات. هذا وقـــد توصلت الصيـــن والولايات المتحدة بالفعـــل إلى توافق فى الآراء بشـــأن المزيد من الانفتـــاح للصين، بما فى ذلك من ســـرعة الوصول إلى الأســـواق، وإعادة النظر فى القائمة السلبية للاســـتثمارات الأجنبية، وخلق بيئة اســـتثمارية أكثر جاذبية، وتعزيز حمايـــة حقـــوق الملكيـــة الفكرية، والتوســـع الفعال فى حجم الواردات، كل هذا ســـيكوّن سلســـلة جديدة من إجـــراءات الانفتاح علـــى نحو كثيف. وسواء تم إجراء المزيد من المشاورات بين الصين والولايـــات المتحدة أم لا، أو ما سيصل إليه مدى تطور الاحتكاك بينهما، فلن يعيـــق ذلك جهود الصين للتوسع بشكل كبير.

أمريكا تشيّد الجدار والقلاع بينما تبنى الصين الجسر والطريق

أصبحـــت الإجـــراءات «المغلقـــة» الأمريكية فى العلاقـــات الخارجية أكثر نشاطًا ووضوحًا منذ تولى ترامب السلطة. وفى مجال السياسة، انسحبت أمريكا من المجموعة المختلفة عدة مرات ومن بينها TPP واتفاق باريس للمناخ واليونســـكو واتفاقية الهجرة العالمية للأمم المتّحدة. وفى مجال الإجراءات، مازالت الاحتكاكات التجاريـــة تؤثر باســـتمرار. كانت تعلن أمريكا أنها ســـتقوم بفـــرض تعريفات جمركية على الســـيارات الأوروبية عقب إعلان فرض تعريفـــات جمركية مرتفعة بنسبة 25 فى المئة على واردات الصلب، و10 فى المئة علـــى واردات الألومنيوم. وجلبت المشـــكلة على الصين بعد ترقية التناقـــض بين الأمم المتحـــدة وأوروبا. إنّ سياســـة التجـــارة الحمائية الأحادية الأمريكية هـــى المؤثّر الرئيســـى الذى يسبّب الاحتكاكات التجارية الأمريكية – الصينية، وشرح جديد للسياسة الأمريكية التى تقوم بتشييد الجسر والقلعة.

وعلـــى النقيض، تتمســـك الصين ببناء الجسور والطرق إلى العالم. خلال السنوات الأربعين الماضية تحت سياسة الإصلاح والانفتاح الصينية، قامت الصين بتعزيز العولمة الاقتصادية ودفع تشكيل آلية التجارة الحرة وتحســـينها بالأعمال الحقيقية. إنّ اســـتيراد عـــدد كبير من السيارات وتأسيس شـــركات المحاصة الكثيرة هى بمثابة ثروة عظيمة لسياسة

الانفتاح، وإنّ «ممـــر الصداقة الجبلي» الجميل الذى يقع فـــى الحدود الصينية الفيتنامية هو شهادة مهمة لتبادل وتنافع التجارة الثنائيـــة بين دولتين. وبالإضافة إلى ذلـــك، تعمل الصين وروســـيا على تعميق التعاون فـــى المجالات المختلفة، مثل مجـــال الطاقة، وتتمتع تجارة النفط الخام بالأثر المتزايد فى العلاقة التجارية بين الدولتيـــن. ويدخل النفـــط الخام الروسى إلى الســـوق الصينية باستمرار عن طريق السكك الحديدية.

الصين ترد على سياسة الحماية الأمريكية من جانب، وتفتح الباب أمام العالم من جانب آخر

فقد أشعل الرئيس ترامب الأزمة مع الصين، ويرغب فى انتشـــارها إلى العالم كله زعماً بضرورة حماية الملكية الفكرية. إنّ البندين 232 و301 الأمريكية نموذج للسياســـة التجارية الحمائية الأحادية، وإنها لا تتمشى مع نظام التجارة الحرة العالمية وهى عملية ضد العولمة العالمية تضرّ بالمجتمع العالمى وأمريكا. فشلت أمريكا فى أن تحـــوّل الاتحاد الأوروبى حليفاً لها بل أدى بها انخفاض الأســـهم الأمريكية إلى عاقبة سيئة.

ما تضـــرّب بأمريكا من سياســـتها سيتيح الفرص الجيدة للتطور الاقتصادى بالنســـبة إلى الدول الأخرى. وعلى سبيل المثال، فول الصويا هـــو أكبر نوع فى المنتجات الزراعية فـــى البرازيل، الذى ازدادت نسبة الصادرات من المنتجات له عاماً بعد عام، فمن 40٪ فى عام 2000 لتصل إلـــى 60٪ فى عام 2017، بل هذا المؤشّـــر انخفض بالنسبة إلى الأرجنتين خلال السنوات الأخيرة. لأن الأرجنتين أكثر ميلاً لســـحق فول الصويا إلى وجبة فول الصويا والزيـــت وتصدير المنتجات إلى العالم. ففى الحقيقة، اســـتوردت الصين 95.54 مليون طن من فول الصويا فى عام 2017، بزيادة قدرها 13.9٪ على أساس سنوى وذلك وفقاً للإحصاءات. لذلك، إذا فرضت الصين الضرائب على فول الصويا للولايات المتحدة، فإن الزيادة فى أسعار الواردات سوف تدفع الصين، التى لديها حجم استيراد كبير، إلى التحول إلى سوق أكثر ربحاً بل وتحقق المنافع للجانبين.

ســـتقوم الصين هذا العـــام أيضاً بخفض التعريفات الجمركية على واردات السيارات إلى حد كبير، لذلك إذا تم تنفيذ «خطة الهجوم المضاد» للولايات المتحدة رســـمياً، فمن المرجح أن تجلب واردات الســـيارات الصينية لبلدان أخرى المزيد من الفرص الجديرة بالتطلع إليها.

لقد أصبـــح بناء وتنفيـــذ «مبادرة الحزام والطريق» منصة كبيرة للتواصل مع الـــدول الواقعة على طـــول «الحزام والطريق» وتعزيـــز تنميتها الاقتصادية على طريق بناء البنية التحتية والاستثمار الاقتصادى والتعـــاون. تباع إلى الصين 102 منتج من ماركات العناية بالبشـــرة والماركات الغذائية المتعددة من المجر، مثـــل «Omorovicza » و«Eminence » و«Beres» و«Quick Milk»، وتبلـــغ المبيعات الســـنوية لتلك المنتجات 1.24 مليون يوان، وشكلت منها منتجات العناية بالبشـــرة أكثر من 95 ٪ . فإن الاعتراف بالمنتجات المجرية للعناية بالبشرة من قبل مجموعات المستهلكين عبر الإنترنت الذين ولدوا خلال التسعينيات فى الصين يُظهر الفرص الجديدة والســـوق الكبيرة التى توفرها «مبادرة الحزام والطريق».

وفى الوقت نفســـه، ستنظم الصين معرض الصين الدولى للاســـتيراد ابتداءً من عام 2018 فصاعدًا. وعلى المستوى الكلى، سيشكل معرض الاستيراد تأثيرًا نموذجيًا من خلال فتح الســـوق الصينية والمشاركة فيها، ويعزّز المعرض العولمة الاقتصادية وبناء هيكل اقتصادى مفتوح عالمى. وعلى المستوى الجزئى، استضافة معرض اســـتيراد دولى يتماشى مع نمو الاستهلاك المحلى. ففى الوقت الحاضر، يساهم الاستهلاك الصينى بنسبة 60٪ فى الناتج المحلى الإجمالى، ويساهم الطلب المحلى بنســـبة 90٪ فى الناتج المحلى الإجمالـــى. فالطلب المحلى هو قوة قوية لتعزيز الاقتصاد وذلك يظهر أن معرض الواردات ليـــس خطوة فعالة للتعامل مع الاحتكاكات التجارية الحالية فحســـب، بل يخلق أيضاً منصـــة جديدة للتعاون والمنفعة المتبادلة بين دول العالم.

إنّ الصين تبنى بقوة مناطق ابتكار نموذجية لتجارة الـــواردات، وقد حققت المناطق الأربعة الحالية للمشروع نتائج إيجابية. ومن بينها مركز التجارة لعرض آلات التشـــغيل من منطقة التجارة الحرة فـــى «وايجاوكياو» بمدينة شـــنغهاى، قد جمعت فيه العشـــرات من شـــركات آلات التشـــغيل ذات الشـــهرة العالمية. ولم يرفع مستوى الســـهولة واليسر فى تجارة الواردات فحسب، بل حققت أيضاً الابتكار فى مجال الإدارة ونماذج الأعمال التجارية، كما تم تعزيز المناطق المحيطة لزيادة تجارة الواردات بشكل فعال.

الأزمة الحالية التى أشعلتها الولايات المتحـــدة لم تعق إنشـــاء أو تحســـين المنصات الثلاثة المذكورة أعلاه، بل على النقيض، فإن الولايات المتحدة قد أحاطت نفسها بأزمة ووفرت فرصًا لبلدان أخرى للاســـتفادة من هذه المنصـــات الثلاثة بشكل أكبر.

قد دخلـــت العلاقـــات الاقتصادية والتجارية بين الصيـــن والدول العربية مرحلة جديدة من التطور بفضل مبادرة « الحـــزام والطريق» والتقـــدم بخطى ثابتة فى مجـــال التعـــاون الاقتصادى والتجارى بينها. فـــى الوقت الراهن، قد أصبحت الصين ثانى أكبر شريك تجارى للبلدان العربية، والدول العربية هى أكبر مورد للنفط الخـــام للصين، وثامن أكبر شـــريك تجارى لها، وهى أيضاً السوق المهمة لتعهّد المشروعات والاستثمارات الخارجية. وقد بلـــغ حجم تجارة الصين مع الدول العربيـــة 191.34 مليار دولار أمريكى من يناير إلى ديسمبر عام 2017، بزيادة 11.9٪ على أســـاس سنوى، من ذلك العدد استوردت 92.81 مليار دولار من الدول العربية وصدرت 98.53 مليار دولار إليها.

ومع تسريع الصين للتوسع فى حجم الواردات وزيادة قدرتهـــا على الابتكار وتأسيس المشـــروعات على نطاق كبير، ســـتزداد قدرة الصين على دفع التنمية الاقتصادية العالمية، ممـــا يتيح للبلدان العربية، بمـــا فيها مصـــر، العديد من الفرص التى سيجلبها الانفتاح الصينى.

لقد قال النبى محمد صلى الله عليه وســـلّم: «اطلبوا العلم ولو فى الصين». وتفتح اليـــوم الصين نافذة للمعرفة على الجانب الغربى من المحيط الهادئ، بينما يغلق ترامب البوابة التجارية على ساحله الشرقى. وكما ذكر رئيس الصين شى جين بينغ فى كلمته خلال افتتاح منتدى بواو الآســـيوى فى 10 أبريل 2018، «للتقدّم فى منطق التقدم التاريخى وللتطور فى موجة تطور الدهـــر، يجب على المجتمع الدولى أن يتخذ خياراً صحيحاً أمام موج التاريخ». فإننا نناشـــد أصدقاءنا العرب لنعمل معـــاً لفتح باب التجـــارة ونافذة المعرفة!.

*** ***

مدير وباحث: تشـــن شياو تشـــن بقسم الدراسات الدولية بمعهد شـــونج يانج للدراســـات المالية بجامعة الشعب الصينية

باحث مساعد: جوان تشـــاو يو بمعهد شونج يانج للدراسات المالية بجامعة الشعب الصينية

مترجم: تشـــاو يونغ شنغ، من كلية دراسات الشرق الأوسط بجامعة اللغات والثقافة ببكين

ساحة للتنافس السياسى الروسى الغربى

لم يكن غريباً أن تنادى بريطانيا وغيرهـــا من دول الغرب بمقاطعة بطولة كأس العالم لكرة القدم التى تنظمها روسيا من 14 يونيو إلى 15 يوليو 2018، بعد اتهام لندن للمخابرات الروسية بمحاولة تسميم العميل الروسى البريطانى المزدوج السابق أندريه سكريبال وابنته يوليا بغاز الأعصاب على الأراضى البريطانية فى 4 مارس الماضى، وهو ما نفته موسكو. فهذه ليست المرة الأولى ولن تكون الأخيرة التى تتدخل فيها السياسة فى الرياضة.

أ. د. هشام مراد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة

mouradh890@gmail.com

فقد ســـبق على ســـبيل المثال أن قاطعت الولايـــات المتحدة والعديد من دول المعسكر الغربى والدول الإسلامية دورة الألعـــاب الأولمبيـــة التى نظمها الاتحاد الســـوفييتى فى موســـكو عام 1980 احتجاجاً على غزوه لأفغانستان فى العام الســـابق. كما قاطع الاتحاد السوفييتى وبعض دول الكتلة الشرقية دورة الألعاب الأولمبيـــة التى نظمتها الولايـــات المتحدة فى لـــوس أنجلوس عـــام 1984 رداً على مقاطعة أولمبياد موسكو.

وقد انتهجت بريطانيا فى نهاية الأمر مسلكاً براجماتياً حينما أعلنت مقاطعة أفراد العائلة المالكة وأعضاء الحكومة لأحـــداث كأس العالم بينما ســـمحت لمنتخبها الوطنى بالمشـــاركة. وحذا حذوها بعض الدول الأوروبية الحليفة مثل بولندا التى أعلن رئيســـها أندريه دودا مقاطعته حفل افتتاح كأس العالم، والدنمارك وأيسلندا اللتان أعلنتا مقاطعة سياسية ودبلوماســـية للحدث تضامناً مع بريطانيا. كما أعلنت بريطانيا طرد ثلاثة وعشرين دبلوماسياً روسياً كإجراء عقابى. وحـــذت حذوها 27 دولة غربية حليفة، خاصة الولايات المتحدة، حيث تم طرد نحو 160 دبلوماســـياً روسياً. وردت موسكو باستبعاد أعداد مقاربة من الدبلوماســـيين الغربيين، فى أكبر عملية طرد متبادلة للدبلوماســـيين منذ عهد الحرب الباردة.

وإذا كانت حادثة تسميم الجاسوس المـــزدوج هـــى التى بـــررت طلبات المقاطعة ومعاقبة موســـكو، فإنها فى الواقع ليست ســـوى قمة الجبل الذى يخفى أســـفله سلســـلة من التطورات الســـلبية التى طرأت على العلاقات بين روسيا والمعسكر الغربى منذ أن فازت موسكو بتنظيم بطولة كأس العالم فى ديسمبر 2010. وتلك التطورات السلبية هى التـــى أضفت علـــى العلاقات بين الطرفين خلال السنوات القليلة الماضية ما أصبح يطلق عليـــه «الحرب الباردة الجديدة»، نسبة إلى الحرب الباردة التى ميزت علاقات المعسكر الغربى والكتلة الشـــرقية فى عهد الاتحاد السوفييتى وحتى سقوطه فى ديسمبر 1991. وقد بدأ التدهور فى العلاقات بين الطرفين بالتدخل الروســـى فى الأزمة الأوكرانية والذى انتهى بضم موسكو لشبه جزيرة القرم فى مـــارس 2014 - وهو الأمر الـــذى لم تعترف به الـــدول الغربية-، ثم ما تلاه من اتهامات غربية لروســـيا بالدعم العســـكرى للحركة الانفصالية فى شـــرق أوكرانيا. وقد فرضت الدول الأوروبية والولايات المتحدة فى أعقاب ذلك مجموعة من العقوبات على روسيا احتجاجـــاً على ما اعتبرته سياســـتها «العدوانية» و«التوسعية» تجاه أوكرانيا .وقد كشـــف دبلوماســـيون أوروبيون فى أغســـطس 2014 إن رئيس الوزراء البريطانـــى فـــى ذلك الوقـــت ديفيد كاميرون كان يســـعى لسحب تنظيم كأس العالم لكرة القدم من روسيا كجزء مـــن العقوبات التى ســـتفرض عليها. وجدير بالذكـــر أن بريطانيا كانت هى المنافس الرئيســـى لروسيا فى تنظيم البطولة الدولية الأكبر والأكثر شـــعبية فى العالم.

وشكّل التدخل العسكرى الروسى فى النزاع الســـورى منذ 30 ســـبتمبر 2015 قضية الخـــلاف الكبيرة الثانية بين موســـكو ودول الغرب، إذ هرعت موســـكو لنجدة نظام الرئيس بشـــار الأسد بينما كان المعسكر الغربى يساند المعارضة المســـلحة ويطالب برحيل الأســـد عن الســـلطة. وقد أدى التدخل الروســـى إلى قلب الموازيـــن تدريجياً لصالح القوات الحكومية وتمخض عن ذلك وجود مسارين متنافسين للتسوية السياســـية أحدهما فى جنيف برعاية الأمم المتحدة ومساندة القوى الغربية والآخر فى أســـتانا عاصمة كازاخستان (إحدى جمهوريات الاتحاد السوفييتى سابقاً) برعاية موسكو.

ويضاف إلى ما سبق الاتهامات التى

وجهت لروسيا بالتدخل فى الانتخابات الرئاسية فى الولايات المتحدة عام 2016 ضد مرشحة الحزب الديمقراطى هيلارى كلينتون ولصالح الرئيس دونالد ترامب. وهى الاتهامات التى يفسرها السياسيون والمحللون فى الغرب بأنها محاولات روسية للتدخل فى الشئون الداخلية لدولهم خدمة لمصالح موسكو - بمنع انتخاب كلينتون التى كانت تعادى موسكو- ولإضعاف أنظمتها الديمقراطية عن طريق إظهار عيوبها، من خلال التلاعب بالرأى العام وترويج أخبار كاذبة باستخدام تكنولوجيا الاتصال.

والواقع أن اتهامات الغرب لروسيا والتدهور الناتج عن ذلك فى علاقات الطرفين يندرج فى إطار جهود العواصم الغربية لمواجهة محاولات روسيا للعودة لممارسة دور مؤثر فى السياسة الدولية من جديد. ولا يخفى الرئيس فلاديمير بوتين تطلعه لاستعادة مجد بلاده ودورها العالمى السابق. فمنذ انهيار الاتحاد السوفييتى وتفكك أوصاله، انكفأت روسيا على ذاتها طوال سنوات التسعينات من القرن الماضى خلال سنوات حكم الرئيس بوريس يلتسين، منشغلة بإعادة هيكلة البلاد ونظاميها الاقتصادى والسياسى. ومنذ تولى الرئيس بوتين مقاليد السلطة فى عام 2000، بدأت روسيا تسعى تدريجياً لممارسة دور عالمى يليق بقدرات الدولة من النواحى التاريخية والاقتصادية والسياسية والثقافية. وكانت روسيا قد بدأت فى ذلك الوقت تسترد عافيتها الاقتصادية بعد سنوات التراجع التى أعقبت تفكك الاتحاد السوفييتى. وكان منطقياً وفقاً لهذا التصور الجديد للقيادة الروسية أن تسعى موسكو لحماية مصالحها فى الخارج ولمد نفوذها خارج حدودها حفاظاً على تلك المصالح. وكان منطقياً أيضاً نتيجة لذلك أن تبدأ فى الاصطدام بمصالح القوى المسيطرة والمهيمنة فى العالم وهى القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة.

وليست قرارات المقاطعة ومحاولات التشويش على تنظيم روسيا لكأس العالم سوى حلقة من مسلسل التنافس والصراع بين موسكو والعواصم الغربية. ولاشك أن إعلان فريق المحققين الدولى الذى ترأسه هولندا فى 24 مايو، أى قبل أقل من شهر من بداية البطولة، أن روسيا هى المسئولة عن إسقاط طائرة ركاب ماليزية فى 17 يوليو 2014، يندرج فى نفس هذا السياق. وكانت تلك الطائرة المدنية تحلق فوق منطقة النزاع فى شرق أوكرانيا فى طريقها من أمستردام إلى كوالالمبور عاصمة ماليزيا، حينما أسقطها صاروخ أدى لمصرع كافة ركابها البالغين 298 شخصاً، بينهم 196 هولندياً و42 ماليزياً و27 أسترالياً. ويؤكد المحققون أن الصاروخ الذى أسقط الطائرة روسى الصنع من طراز بوك المضاد للطائرات وأن وحدة عسكرية روسية مساندة للحركة الانفصالية بشرق أوكرانيا هى التى أطلقت الصاروخ ثم انسحبت مسرعة بعد ذلك داخل الأراضى الروسية، بينما نفى الرئيس بوتين تماماً الاتهام الموجه لبلاده. وبرغم أن فريق المحققين لم يستبعد أن يكون الانفصاليون هم من أطلقوا الصاروخ، إلا أنهم ألقوا بالمسئولية على الحكومة الروسية لأن الصاروخ روسى الصنع. وقد انضمت الولايات المتحدة وبريطانيا للحملة الهولندية الأسترالية التى تطالب موسكو بتحمل مسئوليتها تجاه الاتهامات الموجهة إليها والتعاون مع فريق التحقيق، حيث طالبت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية هيزر ناورت روسيا «بالاعتراف بدورها فى إسقاط الطائرة الماليزية» و«بالكف عن حملة التضليل» .

أهداف روسية داخلية وخارجية

إن حملة التشويه التى تمارسها الدول الغربية ضد روسيا قبل أسابيع قليلة من انطلاق مسابقة كأس العالم لكرة القدم تهدف بوضوح للحد من التأثير الإيجابى المتوقع لتنظيم تلك البطولة على صورة روسيا داخلياً وخارجياً. فروسيا لديها عدة أهداف من تنظيم كأس العالم أهمها دعم صورتها كقوة كبرى فى عالم اليوم لديها القدرة على تنظيم الحدث الأهم فى عالم الرياضة. وهى تعلم أن بطولة كأس العالم لكرة القدم يتابعها الملايين حول العالم، فضلاً عن آلاف المشجعين من مختلف الدول المشاركة، وعددهم 32، المتوقع حضورهم المباريات. ولذلك فإن أول أهدافها هو تجاوز

ساحة للتنافس السياسى الروسى الغربى

الصورة الدولية السلبية التى يسعى الغرب لترويجها بعد تدهور العلاقات بين الطرفين للأسباب السالف ذكرها. ونذكر هنا على سبيل المثال ما ذكره وزير الخارجية البريطانى بوريس جونسون فى 21 مارس الماضى من أن روسيا سوف تستغل كأس العالم من أجل الدعاية لنظامها السياسى، مقارناً إياها بالنظام النازى إبان تنظيمه لدورة الألعاب الأولمبية فى برلين عام 1936. والمعنى المقصود بهذا التصريح واضح تماماً والغرض منه هو تشويه سمعة النظام الروسى وإظهاره بشكل النظام المارق الذى يضرب عرض الحائط بالقانون الدولى وقواعد السلوك بين الدول وينتهج سياسات عدوانية.

وفى المقابل، تسعى موسكو من خلال الصورة الإيجابية المتوقع إنتاجها بفضل تنظيمها الجيد لكأس العالم، لتجاوز آثار تلك المرحلة من الخلافات مع الغرب. وكثيراً ما عبر الدبلوماسيون الروس، وعلى رأسهم وزير الخارجية سيرجى لافروف، خلال لقاءاتهم بنظرائهم الغربيين عن رغبتهم فى «المضى قدماً» و«إعادة بناء العلاقات» و«التركيز على الإيجابيات» و«تجاوز الخلافات» و«نسيان الماضى». وهكذا تسعى روسيا من خلال تنظيم الحدث الرياضى الأهم والأكثر متابعة فى العالم للتأثير إيجابياً على الرأى العام العالمى، وخاصة الغربى، وعلى ملايين المشاهدين عبر التليفزيون وآلاف المشجعين القادمين من الاتحاد الأوروبى، أكبر شريك تجارى للبلاد، وللتأكيد على الصورة التى ترغب فى بثها للعالم الخارجى بوصفها قوة عالمية كبرى صاعدة، بعد سنوات التراجع، نجحت فى التنظيم الجيد للبطولة برغم العقوبات الغربية المفروضة عليها منذ 2014.

وعلى الصعيد الداخلى، تأمل موسكو فى تحقيق مجموعة من الأهداف، فى مقدمتها جذب الاستثمارات وتشجيع السياحة. فالمدن الإحدى عشرة التى تستضيف مباريات كأس العالم تم اختيارها بعناية وتقع كلها فى الجزء الأوروبى من روسيا حيث يتركز النشاط الاقتصادى والسياحى للبلاد. وباستثناء موسكو وسان بطرسبرج، تقع المدن الأخرى فيما يطلق عليه «محور الفولجا»، وهى المنطقة الأهم لصناعة السياحة فى روسيا. وهكذا ترى روسيا أن استضافة بطولة بحجم كأس العالم من شأنها تحفيز النمو الاقتصادى فى البلاد وإعطاء زخم للاستثمار. كما ترى الحكومات المحلية الروسية أن هذا الحدث هو فرصة لتحفيز النشاط الاقتصادى من خلال الحصول على تمويل الحكومة المركزية (الفيدرالية) لمشاريع التنمية التى ليست لديها القدرة على تمويلها بنفسها. وبالإضافة لتلك المشروعات، فإن استضافة فعاليات كأس العالم ستمكن المدن المضيفة من توليد الإيرادات وتحفيز خلق فرص العمل من خلال زيادة متوقعة فى السياحة والإنفاق الاستهلاكى خلال البطولة.

ولا يقل أهمية عما سبق، بل ربما يزيد، ما ينتظر أن يؤدى إليه التنظيم الناجح للبطولة من تعزيز المشاعر الوطنية بين المواطنين الروس وترسيخ قناعتهم بدولتهم كقوة عالمية صاعدة، خاصة بعد حظر مشاركة روسيا فى دورة الألعاب الأولمبية الشتوية هذا العام التى نظمتها كوريا الجنوبية فى بيونجتشانج من 9 إلى 25 فبراير. وكانت اللجنة الأولمبية الدولية قد قررت منع مشاركة روسيا فى دورة ألعاب 2018 وسمحت فقط لعدد من رياضييها بالمشاركة تحت علم اللجنة الأولمبية الدولية وليس العلم الروسى، وذلك على خلفية اتهام نحو ألف من الرياضيين الروس باستخدام منشطات محظورة، بدعم من السلطات الرياضية فى بلادهم، خلال دورة الألعاب الشتوية التى نظمتها روسيا فى سوتشى فى 2014 وفازت فيها بالمركز الأول. ومن شأن نجاح موسكو فى تنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم، فى ظل هذه الأجواء المعادية من الغرب والعقوبات المفروضة منه على روسيا، أن تدعم من سلطة الرئيس بوتين ومن صورته أمام مواطنيه خاصة الشباب منهم، إذ تظهر قدرة السلطة الحاكمة على مواجهة الضغوط والعقوبات الدولية وكفاءتها فى تنظيم حدث رياضى هو الأهم والأكثر شعبية على مستوى العالم.

القطارات المجرية وبوشكاش

علاقات ثرية بين مصر والمجر منذ 90 سنة

سعدت كثيراً بالدعوة الكريمة للكتابة فى مجلة «الدبلوماسي» بمناسبة مرور 90 سنة على إقامة العلاقات الدبلوماسية بين بلدى المجر ومصر. فالمجر تعتبر أن مصر، سياسياً وإستراتيجياً، عامل استقرار رئيسى فى منطقتها، وهى قوة ناعمة محترمة يمكنها أن تقدم إسهاماً كبيراً لنزع فتيل التوترات فى جوارها الجغرافى وتعزيز التعاون الإقليمى. وإلى جانب ذلك، كانت مصر دائماً شريكاً سياسياً واقتصادياً رئيسياً للمجر.

بيتر كويك

سفير المجر لدى مصر

pkveck@mfa.gov.hu

إثر انهيار الشيوعية فى وسط وشرق أوروبا فى أوائل التسعينيات، ركزت السياسة الخارجية المجرية بشكل حصرى على الشركاء الغربيين، لتحقيق الهدف الإستراتيجى للبلاد فى ذلك الوقت، وبالتحديد، الاندماج فى المؤسسة الأوروبية والشمالية الأطلسية بدلاً من كونها جزءاً من الكتلة السوفييتية. وأثناء تنفيذ هذه السياسة، ارتكبت الحكومات المجرية فى ذلك الوقت، مثل معظم بلدان المنطقة، خطأً كبيراً بإهمال الشركاء السابقين خارج أوروبا، وبشكل رئيسى فى العالم العربى وآسيا وأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وقد أغلقت العديد من السفارات المجرية فى تلك المناطق أو خُفّضت أعداد موظفيها إلى الحد الأدنى، وأضعفت العلاقات التجارية التى كانت جيدة الأداء، والمواقف الإستراتيجية الراسخة تم التخلى عنها ليملؤها آخرون. العلاقات مع مصر، القوة السياسية الرائدة فى المنطقة كانت ضحية لتلك السياسات الخاطئة كذلك.

ثم جاء التصحيح فى عام 2010، عندما أعلنت الحكومة برئاسة رئيس الوزراء فيكتور أوربان سياسة الانفتاح نحو الشرق، ثم فيما بعد الانفتاح نحو الجنوب. وهذا يعنى فى الأساس إعادة إحياء التعاون مع تلك البلدان فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية التى اعتادت المجر أن تربطها علاقات قوية فى الأوقات السابقة. وتم اختيار مصر لتكون واحدة من أبرز نجوم هذه السياسة. ولكن لسوء الحظ، تم القضاء على النجاحات الأولية لتلك السياسات بسرعة بسبب الاضطرابات الناجمة عن ظاهرة الربيع العربى.

فأصبحت السياسة الخارجية المجرية قلقة على نحو متزايد من التطورات فى مصر، خاصة ابتداءً من صيف 2012. فلقد شعرنا بالأسف لأمة صديقة كانت تدفع بالقوة إلى زاوية لم تكن تنتمى إليها أبداً ولم تكن تريد أن تكون جزءاً منها. وإلى جانب ذلك، شهدنا استقرار أكبر دولة عربية من حيث عدد السكان عرضة لتهديدات خطيرة. ولقد حاولنا بشدة إقناع الآخرين، وليس إطعام وتدليل وحش متنامٍ يمكن أن يشكل تهديدًا مميتًا لأوروبا والعالم الغربى بأسره فى وقت قصير جدًا. فقد كانت مصر على وشك الوصول لعدم الاستقرار وانعدام الأمن فى المنطقة، أى سيناريو مثل ما شهدناه فى ليبيا وسوريا لا يمكن استبعاده.

تأييد المجر لثورة 30 يونيو 2013

فى ضوء كل هذه الحقائق والهموم، شاركت المجر بإخلاص فى دعم وإغاثة المصريين الذين انتفضوا فى يونيو 2013. وأنا شخصياً لن أنسى أبداً الحشود الهائلة من الجماهير المسالمة الذين غمروا الشوارع بكل كرامة فى 30 يونيو 2013 لاستعادة سرقة هويتهم وحريتهم والقول لا للاستبداد. فبصفتى مجريًا، شعرت بقوة فى تلك الأيام بالثورة المجيدة لعام 1956 لأمتنا، عندما استجاب جيشنا إلى صوت الشعب لإنقاذ المجر. وبعد ثورة 30 يونيو 2013، بدأنا سريعاً فى تنفيذ جميع السياسات الداعمة لمصر فكان رئيس الوزراء أوربان أول زعيم أوروبى يهنئ الرئيس السيسى على فوزه الساحق فى الانتخابات فى عام 2014 ويدعوه إلى زيارة المجر.

لقد جرت الزيارة التاريخية للرئيس السيسى إلى بودابست فى يونيو 2015 وفتحت فصلاً جديداً طال انتظاره فى تعاون المجر مع مصر. ونتيجة لذلك، فإن العلاقات المجرية - المصرية ليس لها اليوم ماض ثرى فحسب، بل مستقبل واعد. لم يكن أساس هذا الفصل الجديد هو المصالح المشتركة فحسب،

الرئيس السيسي مع رئيس وزراء المجر ڤيكتور أوربان

علاقات ثرية بين مصر والمجر منذ 90 سنة

بل كذلك الكيمياء الشخصية الممتازة بين رئيس الوزراء أوربان والرئيس السيسى. التقى رجلان فى بودابست فى ذلك الوقت يشتركان فى رؤية لبناء علاقات قوية بين الدولتين وتوصل الزعيمان إلى اتفاق سريع بشأن الدعم السياسى المتبادل، عند بدء مشاريع اقتصادية كبرى وكذلك زيادة الاتصالات بين الشعبين. ونحن نعمل الآن على إعادة القطارات «المجرية» إلى مصر والعديد من المشاريع الاقتصادية الأخرى؛ منذ عام 2015، نقدم 100 منحة دراسية سنويًا للطلاب المصريين فى الجامعات المجرية؛ ونعمل باستمرار على زيادة عدد السياح المجريين الذين يعشقون مصر، لأننا ندرك تمامًا الأهمية الحاسمة لهذا القطاع من الاقتصاد. وكان هذا الاعتبار هو السبب الرئيسى وراء عدم قيام المجر، على عكس العديد من الأوروبيين الآخرين، بفرض أى حظر على السفر أو تقييده على مصر بعد تحطم الطائرة الروسية فى شبه جزيرة سيناء فى أكتوبر 2015.

وعلاوة على ذلك، نود زيادة عدد السياح المصريين الذين يزورون بلادنا أيضًا. وفى هذا الصدد، نولى اهتماماً خاصاً للسياحة الطبية، والسبب أن بلدنا مشهور عالمياً بالمياه الحرارية عالية الجودة، والخدمات الممتازة وكرم الضيافة. ويستضيف فندق ترمال فى مارجريت ساجيد فى بودابست أو مدينة «هيفيز» الشهيرة المزيد من المصريين المهتمين بالاستجمام والترفيه فى نفس الوقت فى بيئة عالية الجودة توفر أسعارًا تنافسية أيضًا. وقد بدأنا شراكات جديدة كذلك وهناك تعاون متطور جداً بين شرم الشيخ وهيفيز.

ولمواصلة توسيع الاتصالات التجارية والعلاقات بين الشعبين، لا بد من إقامة روابط جوية أقوى بين الجانبين. وبما أن المجر لا تملك خطوط طيران وطنية أخرى، فإن شركة مصر للطيران تظل المزود الوحيد لهذه الخدمة الحيوية. لقد أظهرت خبرتنا منذ فترة أن الحجم الصغير للطراز الذى تعمل به مصر للطيران بين القاهرة وبودابست يشكل عقبة أمام تطوير السياحة بين مصر والمجر.

زيارات متبادلة لدعم العلاقات

وقد رد رئيس الوزراء أوربان الزيارة الرسمية التى قام بها الرئيس السيسى للمجر فى عام واحد فقط، فى حين جاء الرئيس السيسى إلى بودابست فى صيف 2017 مرة أخرى. ومع ثلاث زيارات رسمية خلال ثلاث سنوات، سجل التعاون السياسى بين مصر والمجر رقماً قياسياً. وعلاوة على ذلك، نحن فخورون باستضافة مؤتمر قمة فيزيجراد 4 - مصر الأول على الإطلاق فى بودابست على هامش زيارة عام 2017، حيث التقى الرئيس السيسى كبار قادة الجمهورية التشيكية والمجر وبولندا وسلوفاكيا وناقش معهم طرق التعاون الإستراتيجى. فمن وجهة نظرنا، فإن دول الفيزيجراد 4 ومصر شركاء طبيعيون فى مجالات مثل التعاون السياسى والاقتصادى والقضايا الأمنية وكذلك الروابط الثقافية والعلمية. إن V4، التى تطورت منذ إنشائها فى أوائل التسعينات إلى واحدة من أكثر الكتل الإقليمية نجاحاً فى الاتحاد الأوروبى، بالإضافة إلى مصر كقوة رئيسية فى العالم العربى وأفريقيا، يمكن أن تكون شريكة قيّمة لبعضها البعض. لذلك، ستواصل المجر تعزيز روابط مصر مع أوروبا الوسطى لصالح الجانبين.

وألقى اجتماع القمة المصرى الخامس الضوء على هدف مهم لسياستنا الخارجية تجاه مصر: إن المجر حريصة على تمهيد الطريق لمصر لتقوية علاقاتها مع أوروبا بشكل عام ووسط أوروبا بشكل خاص. ومن ناحية أخرى، نود أن نستفيد من تجربة مصر فى إيجاد طريقنا إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء والعالم العربى حيث تربط مصر علاقات ممتازة.

وفى إطار تعزيز الاتصالات السياسية رفيعة المستوى، تمكنا من تعزيز التعاون البرلمانى أيضًا. فكنا سعداء بالترحيب برئيس البرلمان المصرى، السيد على عبد العال فى بودابست فى عام 2016 لبدء حوار بين الهيئتين التشريعيتين. ورد السيد لاسلو كوفير، رئيس الجمعية الوطنية المجرية الزيارة فى نوفمبر 2017 وتوصل إلى اتفاق لإقامة حوار منتظم بين البرلمانين. ونأمل أن نوسع هذا التعاون إلى مستوى اللجان أيضاً لأننا

مقتنعون بأنه يمكـــن أن يعطى دفعة جديدة لعلاقتنا برمتها.

فمن الجانب المجرى، نقدم دعمنا الكامل لجهـــود الحكومـــة المصرية الرامية إلـــى تعزيز وضع البلاد وزيادة التطور الاقتصادى للشعب، لأننا نعرف أنه لا يوجد اســـتقرار دائم دون نجاح اقتصادى. لقد أثنينا على المشـــاريع الوطنيـــة الكبـــرى، قناة الســـويس الجديدة والمنطقة الحرة المحيطة بها، والعاصمة الإداريـــة الجديدة، بالإضافة إلى الاســـتثمارات الكبرى الأخرى فى تحديث البنية التحتية وخلق فرص عمل جديدة. ونتمنى كل نجـــاح من أعماق قلوبنا للأمة المصريـــة فى جميع هذه المساعى المثيرة للإعجاب.

لقد اكتسب تعاون المجر مع مصر بعداً جديداً عندما تعلق الأمر بمكافحة الإرهاب والهجرة غيـــر القانونية. من الواضـــح بالنســـبة لنا أن الســـلطات المصرية تدافع عن أمن المجر وأوروبا كذلك عندمـــا تبذل قصـــارى جهدها للقضـــاء على الإرهـــاب والتطرف فى بلادها. إن المصريين يستحقون الدعم الكامل وكذلك احترامنا العميق وامتناننا البالغ.

نقدرعالياً جميع جهـــود الحكومة المصرية

وبدءاً من عام 2015، شهدنا تجربة مؤلمة فى أوروبا بأن الإرهاب والهجرة غير القانونية يسيران جنباً إلى جنب ولا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض. إذا قاتلنا، علينا القضـــاء على الآخر أيضًا. إن مكافحة الهجرة غير الشرعية مجال آخر تضع فيه مصر مثالاً رائعاً للمنطقة بأسرها وللمجتمع الدولى بأسره. نحن على دراية كاملة بالواقع ونقدر تقديراً عالياً أن السلطات المصرية تمكنت من وقف تدفق المهاجرين غير الشـــرعيين بشكل كامل من ســـاحل البحر الأبيض المتوســـط إلى أوروبا ومـــن منطقة الصحراء الغربية نحو ليبيا.

وفى المجر فإننا نقدر تقديراً عالياً جميـــع الجهود التـــى تبذلها الحكومة المصريـــة لضمـــان التآلف الســـلمى والأخوى بين المسلمين والمسيحيين فى البلاد، والتى لها قيمة نموذجية للمنطقة بأســـرها. بما أن مصر هى موطن أكبر مجتمع مســـيحى فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فمن الأهمية بمكان أن يحدث هذا. لقد تأثرنـــا بما يجرى فى مصر فى هذا الصدد. ولن أنســـى أبداً اللحظة التى ظهر فيها الرئيس السيسى كأول رئيس دولة مصرى فى كاتدرائية القديس مرقص بالقاهرة فى احتفاليه الطقوس الدينية للكريسماس فى يناير 2015 للاحتفال معاً وإظهار التضامن مع مسيحيى البلاد. كانت تلك المناسبة عندما أعلن أن الجيش ســـيعيد بناء كل الكنائس التى دمرهـــا الإرهابيون فى السنوات الســـابقة. من الصعب وصف فرحة وسعادة المواطنين الذين كان لى شرف رؤيتهم هناك.

وخلاصة القول، لقد مر وقت طويل منذ أن كانت النجوم متجاورة بشـــكل إيجابى مع العلاقات المجرية المصرية كما هـــى الآن. لدينـــا الآن العديد من الفرص للتوجه نحـــو اتجاهات جديدة لصالح كلتا الدولتين. بعد النتائج الأولى المشجعة، وما زلنا فى منتصف الطريق نحو إنجاز العمل والمستقبل فى أيدينا. فدعونا نوحد قوانـــا لمواجهة تحديات عصرنـــا والعمل معاً مـــن أجل رخاء مشـــترك لمصر والمجر والصداقة التى تربطهما منذ تسعين عاماً.

ناندور هيديكوتي
صانع سعادة الأهلاوية

بوشكـــاش اشهر لاعب كرة مجرى ومدرب النادى المصري وصاحب اكبر شعبية في بورسعيد

الصراع بين النفط التقليدى والصخرى..أيهما سيبقى؟

بعد خسارة أسعار النفط خلال الفترة من عام 2013 وحتى 2016 ثلثى قيمتها تقريباً؛ حيث تراجعت بما يُقدر بحوالى 120 دولارًا للبرميل لتصل إلى 26 دولارًا للبرميل، تمكنت منظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك»، بإقامة تحالف مع عدد من منتجى النفط من خارجها، وعلى رأسهم روسيا أكبر منتج للنفط، لإعادة التوازن إلى هذه السوق، وبالفعل تم التوصل فى نهاية عام 2016 إلى اتفاق لتخفيض الإنتاج، يتم بمقتضاه سحب 1.8 مليون برميل من العرض النفطى العالمى اليومى، وبنسبة تخفيض بلغت 2٪.. وقد نجح هذا الاتفاق فى تحقيق مبتغاه؛ حيث عاودت أسعار النفط العالمية الارتفاع من جديد، لتتخطى حاجز الـ 65 دولاراً للبرميل.

أمل عبد اللطيف

amalabdelltif2006@gmail.com

ولم يستبعد حدوث ارتفاعات متواصلة فى هذه الأسعار خلال الفترة القادمة، مع تخلص الأسواق تدريجيًّا من تخمة المعروض النفطى، ولكن تلك الارتفاعات السعرية كانت بمثابة سلاح ذى حدين، على دول التحالف فلم تكن وحدها المستفيدة، بل تسبب هذا الارتفاع فى استعادة الحديث مرة أخرى عن عودة قوية لإنتاج ما يسمى بالنفط الصخرى، ولاسيما فى الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث رجح «فاتح بيرول» مدير وكالة الطاقة الدولية أن تشجع أسعار النفط الحالية منتجى النفط الصخرى فى الولايات المتحدة على زيادة إنتاجهم ما سينعكس على المعروض العالمى بالارتفاع، فبعدما تراجع الإنتاج الأمريكى بمقدار 500 ألف برميل فى عام 2016، شجعت ارتفاع أسعار النفط الشركات الأمريكية على زيادة الإنتاج فى الفترة من يناير إلى مايو 2018 بوتيرة هى الأسرع فى خمس سنوات على الأقل، حتى وصل فى مايو الحالى لحوالى 10.5 مليون برميل يومياً بمعدل يزيد على السعودية أكبر منتج فى «أوبك»، كما تتوقع إدارة معلومات الطاقة الأمريكية أن يرتفع الإنتاج الأمريكى ليصل إلى 12 مليون برميل يومياً العام القادم...

وهنا يطرح التساؤل نفسه هل الظروف العالمية المحاطة بسوق النفط ترجح كفة زيادة إنتاج النفط الصخرى، وإن حدث ذلك ما تأثير ذلك على منتجى النفط التقليدى؟ وسنحاول من خلال العرض التالى الإجابة على تلك التساؤلات وفقًا للمعطيات الحالية لسوق النفط العالمية.

أولاً: زيادة إنتاج النفط الصخرى.. العوامل المحفزة:

تزخر البيئة العالمية لسوق النفط، بمجموعة من العوامل المحفزة لزيادة إنتاج النفط الصخرى، حيث:

• زيادة الطلب العالمى

أشارت الوكالة الدولية للطاقة أن نمو الطلب العالمى على النفط لا يزال جيداً مدفوعًا من البلدان الآسيوية، والنمو القوى لقطاع البتروكيماويات على مستوى العالم.. ويظهر الشكل التالى تفوق جانب الطلب على العرض منذ الربع الأول من العام 2017.

• تراجع إنتاج «أوبك»:

فى ظل ارتفاع الطلب نجد مصدرى النفط التقليدى يقللون إنتاجهم على خلفية اتفاق تخفيض الإنتاج، حيث تراجع إنتاج «الأوبك» إلى 32 مليون برميل لليوم فى الربع الأول من العام 2018 مقابل 32م ب/ى خلال العام 2017، ومن المتوقع تواصل تراجعه على نحو أكبر خلال الفترة القادمة، بسبب تراجع إنتاج «فنزويلا» إلى النصف خلال مارس الماضى بسبب أزمتها الاقتصادية، ومن المحتمل أن يواصل انخفاضه خلال عام 2018.

وهذا فضلاً عن التوقعات بتراجع إنتاج النفط الإيرانى بنحو 200-300 ألف برميل نفط يوميًا، على خلفية العقوبات الأمريكية التى ستفرض عليها خلال الفترة القليلة القادمة نتيجة لقرار الرئيس الأمريكى دونالد ترامب بانسحاب بلاده من الاتفاق النووى (1+5).

وكذلك تصاعد التهديدات السيبرانية، فقد أشارت دراسة أجرتها مؤخرًا شركة «سيمنز» بالتعاون مع معهد «بونيمون» ونشرت نتائجها فى نوفمبر 2017، فإن نسبة 50٪ من إجمالى الهجمات السيبرانية فى منطقة الشرق الأوسط عام 2017 قد استهدفت قطاعات النفط والغاز بما يؤثر بشدة

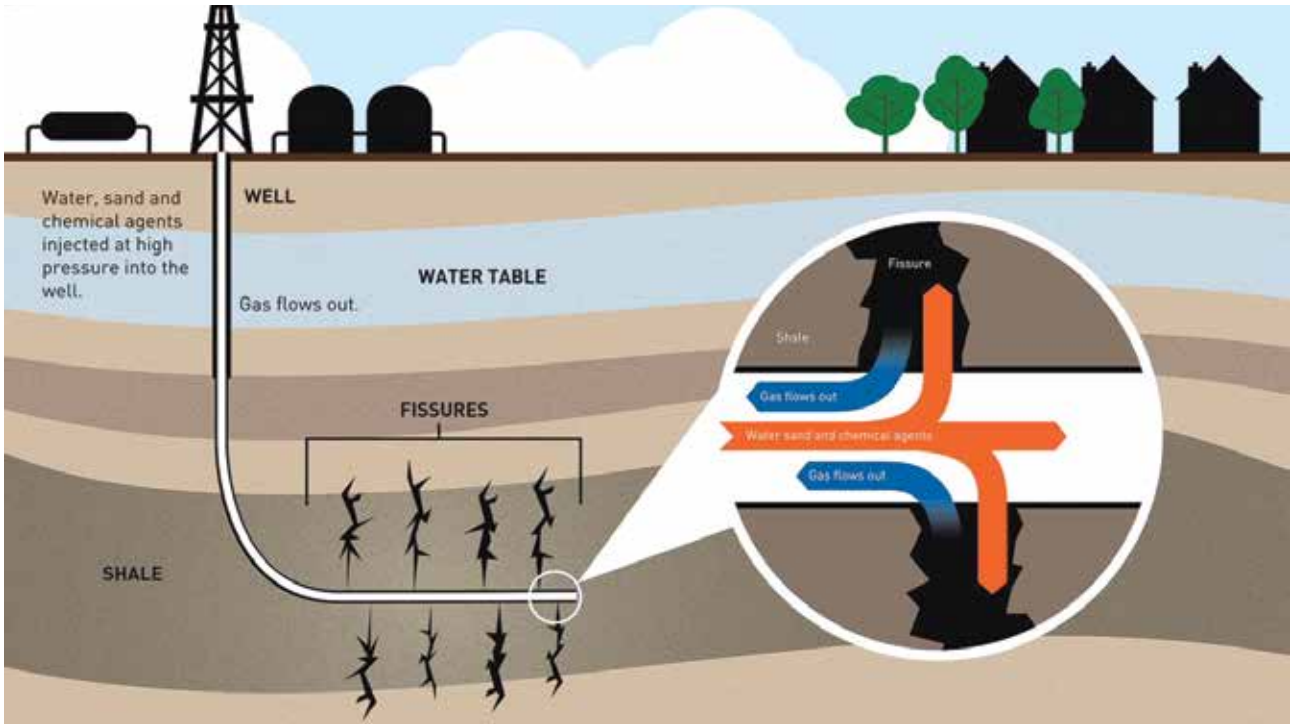

على معدلات الإنتاجية والكفاءة والأمان بها.

• تراجع المخزون التجارى العالمي

انخفض إجمالى المخزون التجارى العالمى بحوالى 76 مليون برميل خلال ديسمبر 2017 عن الشهر السابق وانخفض بمقدار 134 مليون برميل عن مستويات الشهر المماثل فى العام الماضى ليصل إلى 5532 مليون برميل. وهو ما يحفز على مزيد من الإنتاج النفطى نتيجة ارتفاع الطلب العالمى.

• تطور تكنولوجيا استخراج النفط الصخري

تتواصل اكتشافات حقول النفط الصخرى القابلة للاستخراج باستمرار، فبعدما كانت موسكو الأكبر من حيث الاحتياطى وفقًا لتقديرات إدارة معلومات الطاقة الأمريكية، أعلنت مملكة البحرين مؤخرًا عن اكتشاف حقل يضم كميات كبيرة لا تقل عن 80 مليار برميل من النفط الصخرى، لتصبح أكبر الدول من حيث احتياطيات هذا النفط، وتليها روسيا بنحو 75 مليار برميل من النفط الصخرى، وتراجعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى المركز الثالث بامتلاكها نحو 58 مليار برميل، تليها الصين بنحو 32 مليار برميل، ويتواجد بالأرجنتين نحو 27 مليار برميل، فليبيا فى المركز السادس بنحو 26 مليار برميل، وأستراليا بنحو 18مليار برميل، وهناك نحو 13 مليار برميل فى دولة فنزويلا، وهو مستوى يساويها مع المكسيك. وتتواجد باكستان أيضاً فى قائمة الدول الأكبر من حيث الاحتياطيات من النفط الصخري؛ حيث تشير التقديرات إلى وجود حوالى 9 مليارات برميل، لتتساوى مع احتياطيات كندا.

وبالتزامن مع تلك الاكتشافات، ومع التطور التقنى تراجعت تكلفة إنتاجه، التى كانت تمثل عائقًا مع الاستفادة منه واستخراجه، حتى أصبحنا أمام قفزات كبيرة فى إنتاج النفط الصخرى لاسيما الأمريكى، فلم تعد تكلفة البرميل تقف عند 80 دولاراً، بل قد تصل إلى 50 – 60 دولاراً للبرميل، وستتواصل فى الانخفاض مع مساعى تفعيل تكنولوجيا التكسير الهيدروليكى التى توظفها شركات أمريكية للاستفادة من هذه النوعية من النفط على المستوى التجارى.

ونتيجة لتكاتف تلك العوامل وغيرها تشير المؤشرات الأولية إلى ارتفاع العرض العالمى خلال مارس 2018 بنحو 0.18 مليون برميل/يوم على أساس شهرى ليصل فى المتوسط إلى 98 مليون برميل/ يوم فى مارس 2018. نتيجة ارتفاع إنتاج الدول خارج الأوبك 59 مليون برميل/ يوم فى الربع الأول من العام 2018 مقابل 57 مليون برميل/ يوم فى العام 2017.

وكان هذا مدفوعًا بشكل رئيسى من قبل الولايات المتحدة والنرويج والمملكة المتحدة، والبحرين والبرازيل وأمريكا اللاتينية وغيرها.

ثانيًا: طفرة النفط الصخرى.. هل تؤثر على مستقبل منتجى النفط التقليدى؟

فى ظل التوقعات بأن يظلّ النفط أهم مصدر للطاقة فى العالم طوال أكثر من عقدين قادمين، وذلك على الرغم من الأهمية المتزايدة لمصادر الطاقة المتجددة، فوفقًا لما جاء فى تقرير 2017 لمشهد قطاع النفط العالمى، الصادر عن «أوبك» فإن النفط سوف يلبّى ما يفوق بقليل 27٪ من احتياجات الطاقة العالمية فى العام 2040.. وهنا يأتى التساؤل هل تؤثر طفرة إنتاج النفط الصخرى على نظيره التقليدى،

الصراع بين النفط التقليدى والصخرى..أيهما سيبقى؟

والإجابة تتوقف على مدى إمكانية مشاركته فى التجارة العالمية للنفط، والاستحواذ على حصة منتجى النفط التقليدى، وهو ما يستدعى إحداث مقارنة بين تكلفة العملية الإنتاجية لكل منهم ولا شك فى أن تكلفة إنتاج النفط التقليدى هى الأقل

إلا أن هناك عدة متغيرات أثرت على تلك التكلفة لكل منهما:

• تكلفة العملية الإنتاجية للنفط التقليدي:

بالرغم من الفارق الكبير بين حجم الاحتياطى من النفط الصخرى الذى يقدر بحوالى 400 مليار برميل، وحجم احتياطى النفط التقليدى المقدر بحوالى تريليون و640 مليار برميل فى العام 2017، إلا أن وصول حقول بعض الدول المنتجة إلى ذروة إنتاجها كما هو الحال فى البحرين ودبى مثلاً اللتين كانتا من منتجى ومصدرى النفط فى الماضى وتقلص إنتاجهما إلى حدوده الدنيا، وكذلك نفاد النفط القريب سهل الاستخراج بينما يبقى النفط البعيد والعصى «صاحب الكلفة الأعلى»، ولعل ذلك سبب توقف وتراجع بعض الاستثمارات النفطية أثناء فترة تراجع أسعاره، حيث يستلزم تلبية الطلب المتزايد على النفط ضخ استثمارات إجمالية تبلغ نحو 10 تريليونات دولار على امتداد العمليات كافة بدءاً من التنقيب حتى التوزيع. وهو ما كان دافعاً لقيام المملكة العربية السعودية بتخفيض سعر ضريبة الدخل على الأنشطة الاستثمارية كافة فى مجال الغاز إلى 20 فى المائة بهدف تحفيز الاستثمارات فى القطاع وتعزيز التنافسية فى صناعة النفط الخام والغاز فى المملكة. ولا شك أن يؤدى ارتفاع أسعار النفط إلى تحفيز المنتجين على مواصلة تنفيذ خططهم الاستثمارية الطامحة لزيادة الطاقة الإنتاجية للنفط، غير أن وتيرة نمو النفقات الرأسمالية فى المنطقة ستكون أبطأ بطبيعة الحال عما كانت عليه فى السنوات السابقة.

والنضوب هنا لا يعنى فقط استنفاد الاحتياطى، بل يشمل كذلك ارتفاع تكاليف الاستخراج عن قيمته، ففى سلطنة عمان مثلاً فإن الماء المستعمل فى حقن الآبار النفطية للمساعدة على استخراج النفط من الآبار قد بلغ امتزاجه مع النفط الآن داخل أكبر حقل فى سلطنة عمان إلى نحو90٪ مختلط مع النفط، ما يجعل الإنتاج منخفضاً وتكلفته عالية جداً، كما أن بعض الدراسات تشير بأن الإنتاج النفطى فى السعودية قد بلغ الذروة أى أنه سيبدأ فى الانخفاض مستقبلاً.

• تكلفة العملية الإنتاجية للنفط الصخري:

فى أغلب الأحوال يبدأ إنتاج آبار النفط الصخرى بعد عملية التكسير الهيدروليكى، وخلال السنة الأولى ينخفض الإنتاج بنسبة كبيرة تصل إلى 75٪، هذا يستدعى حتماً اتخاذ إجراءات عاجلة لحفر آبار عِدة لتعويض الإنتاج المفقود، إلى جانب إعادة عملية التكسير فى البئر نفسها أكثر من مرة واحدة لرفع كمية الإنتاج إلى المستوى الأصلى. وهكذا تتوالى عمليات التحفيز؛ ما يضيف إلى تكلفة الإنتاج.

بالإضافة إلى أن استخراج النفط الصخرى نفسه يستهلك طاقة كبيرة فبحسب شركة (Rand) والذى استند إليه تقرير مجلس الدفاع عن الموارد الطبيعية فإن إنتاج 100.000 برميل من النفط الصخرى يتطلب طاقة كهربائية تعادل 1200 ميجاوات وهذه طاقة كبيرة تعادل تزويد مدينة يقطنها نصف مليون نسمة بالكهرباء. ويضاف إلى تكلفة الاستخراج، التكلفة البيئية، لاسيما وأن عملية التكسير الهيدروليكى تحمل آثاراً سلبية على البيئة المحيطة بالبئر.

ولكن هذا النقاش لم يأخذ فى عين الاعتبار عاملاً أساسياً، وهو أن التطوّرات فى تكنولوجيا النفط والغاز الصخرى قد جعلت عملية استخراج هذه الموارد ممكنة من ناحية تكلفتها مقارنة بأسعار النفط الحالية، فقد سعت الشركات الأمريكية مؤخرًا لتعزيز تعاونها مع الشركات التكنولوجية سعيًا منها للاستفادة من تأثير الذكاء الصناعى على أنشطتها، ومن بينها شركة «إكسون موبيل» الأمريكية التى تتعاون حاليًّا مع معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا لتصميم روبوتات ذكية تعمل فى مجال استكشاف النفط فى أعماق البحار والمناطق العميقة، علمًا بأن 60٪ من النفط فى أمريكا الشمالية يوجد فى المناطق العميقة. وكذلك استحواذ شركة «إنتل» الأمريكية فى عام 2016 على شركة «نيرفانا سيستمز» المتخصصة فى تكنولوجيا الذكاء الصناعى لصناعة النفط.

• نصيب النفط الصخرى من التجارة العالمية:

تتوقع وكالة الطاقة الدولية ارتفاع نمو الإنتاج العالمى من خارج منظمة «أوبك» بوصول النفط الصخرى إلى 1.8 مليون برميل يومياً فى 2018. ويظهر الرسم البيانى التالى ارتفاع نصيب الدول المنتجة للنفط الصخرى من حجم إنتاج دول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الذى ارتفع بنسبة 2.6٪ خلال العام 2017 مقارنة بالعام السابق له.

وقد أشارت الوكالة الدولية للطاقة أنه يمكن لنمو إنتاج النفط من الولايات المتحدة والبرازيل وكندا والنرويج أن يوفر للعالم إمدادات جيدة تلبى نمو الطلب العالمى على النفط حتى عام 2020، فلم تهدر المصافى الآسيوية أكبر مستهلكى النفط فى العالم، وقتاً بعد تمديد تخفيضات الإنتاج حتى نهاية 2018 وطلبت مزيداً من النفط من الكاريبى وخليج المكسيك، لاسيما من الولايات المتحدة والمكسيك وفنزويلا وكولومبيا؛ حيث أظهرت بيانات شحن

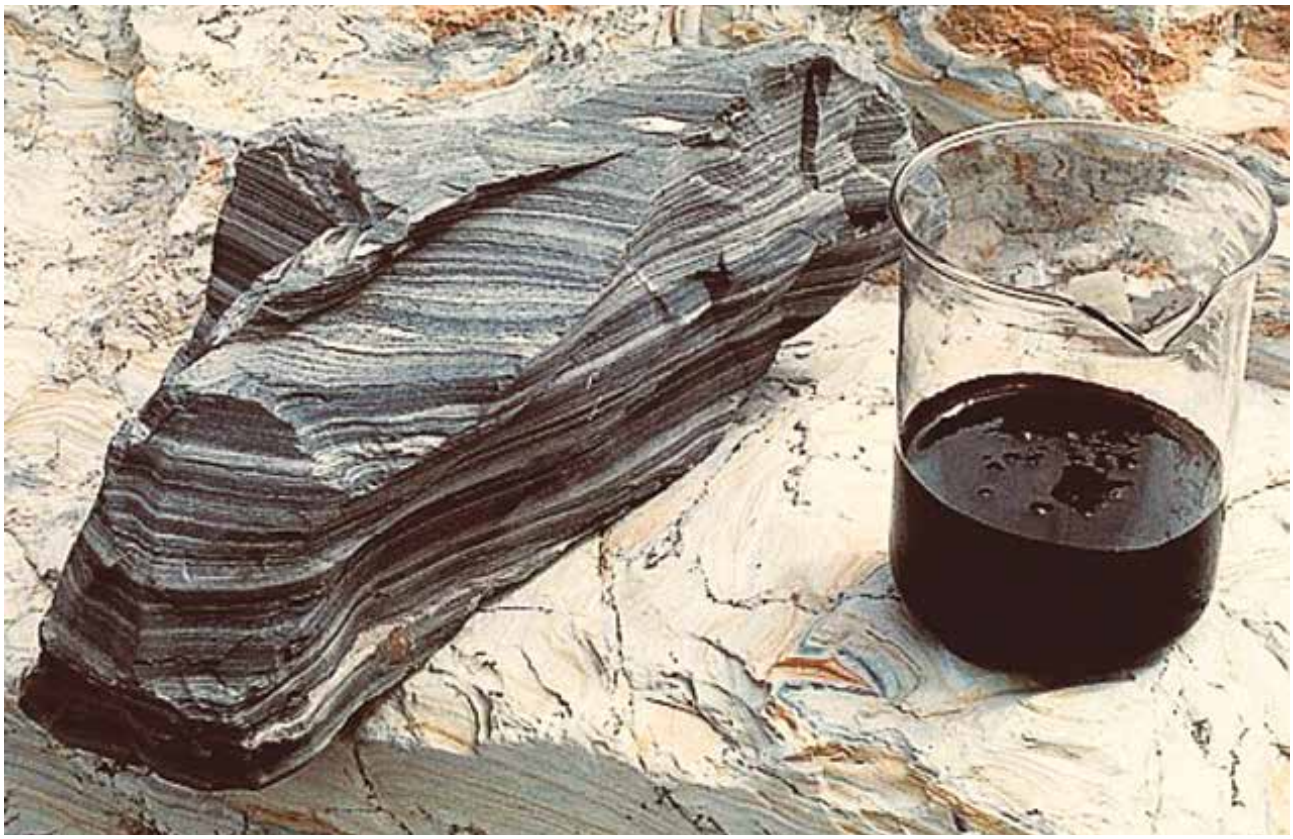

أن شـــحنات النفط من خليج المكسيك والكاريبى للعملاء فى آســـيا ارتفعت من نصف مليون برميل يومياً فى يناير 2017.

كما أن الثورة الصخرية، التى تقودها الولايـــات المتحدة، حركت مســـارات تجارة النفط العالمية فى الشرق، لتحل الصين والهند محـــل الولايات المتحدة كمستورد رئيسى للنفط؛ ففى حين نما إجمالى الواردات مـــن النفط إلى دول منظمة التعاون الاقتصـــادى والتنمية بنســـبة 1.6٪ فى عام 2017 مقارنة بعام 2016، بقيت واردات الأمريكتين دون تغييـــر تقريبـــاً (0.2٪-). وهو ما يشـــير أن زيادة الإنتـــاج الأمريكى النفطى، يعنى أن أكبر مستهلك للنفط فى العالم لـــن يعتمد أكثر من ذلك على نفط الشرق الأوســـط. وحول هذا الأمر أشار «دان بروليت»، مستشار الرئيس الأمريكى لشـــئون الطاقة، إن الولايات المتحدة «تستعد لتصبح دولة مصدرة للطاقة خلال السنوات العشر المقبلة أو أقل من ذلك» كما أضاف أن بلاده تعمل على الاستغناء عن مصادر الطاقة غير المستقرة من الخارج.

وأخيرًا ما يمكننا قوله بعد العرض الســـابق أن إمكانات النفط الصخرى كقوة مؤثرة فى الأسواق لا تزال قائمة، وقد تحـــدى إنتاج النفـــط الصخرى الأمريكى التوقعات باستمرار، وهنا لابد من استمرار تحالف «أوبك وحلفاؤها» لإعادة التوازن لســـوق النفط العالمى، لمدة أطول وبصورة مختلفة، لا تتضمن فقط خفض الإنتاج، بل التنســـيق العام والمشترك، وإذا ما استمر التحالف لمدة أطول باتفاقية جديـــدة إطارية طويلة المدى، فإن ذلك يعنى مولد مؤسســـة جديدة على مستوى العالم، تتحكم فى أكثر من نصف الإنتاج العالمى للنفط.

ولابد أن تكون إدارة تلك المؤسسة لهـــذا الوضع مـــن خـــلال المزيد من الاســـتثمارات للتعويـــض عن حقول النفط المتدهـــورة؛ حيث يحتاج العالم إلى اســـتبدال 3 ملاييـــن برميل/ يوم من الانخفاضات كل عام، لاســـيما وأنه إذا تعثرت مـــوارد النفط الصخرى، أو فجأة وصلت ذروتها، قد تكون الصناعة النفطيـــة بأكملها أمـــام تحدى نقص العرض وارتفاع الأســـعار، مما يسرّع مخاطر التحـــول عن الوقود الأحفورى، ولا يمكن أبداً اســـترداد أية حصة من مزيـــج الطاقة يخســـرها النفط بهذه الطريقة لاسيما فى ظل تصاعد الحديث عن مصادر الطاقة المتجددة.

وهو مـــا يســـتدعى الحديث عن ضرورة مواكبة تطـــورات تكنولوجيا الذكاء الصناعـــى، التى من المتوقع أن يؤدى التوسع فى استخدامها إلى تعزيز الكفاءة التشـــغيلية لكافـــة العمليات، ومن ثمّ خلـــق وفورات اقتصادية كبيرة تُقدَّر بمليارات الـــدولارات، فحتى الآن، كشفت البحوث الأساسية لتقنيات الذكاء الصناعى عن ثلاثة تطبيقات رئيســـية يمكـــن لصناعة النفـــط توظيفها فى أنشطتها المختلفة، وتتمثل فى استخدام الروبوتـــات الذكية، وتحليـــل البيانات الكبيرة، وأخيرًا خدمة العملاء.

مصر مركز لتوزيع الطاقة

أدت زيادة النمو فى العديد من البلدان إلى دفع زيادة الطلب على الطاقة، فأصبحت مصدر اهتمام عالمى. وتتزايد الحاجة لأن يتوافق المنتجون والمستهلكون مع احتياجات النمو. حيث يحدد التحرك فى موضوعات الطاقة عدة عوامل من أهمها:

سفير جمال الدين البيومى
gbayoumi@hotmail.com

- أن بعض الدول المؤثرة فى إنتاج الطاقة وسياساتها، ظلت لفترة غير أعضاء فى منظمة التجارة العالمية، مثل روسيا (التى انضمت فى مطلع 2012)، وإيران، وكازاخستان، وأوكرانيا، والعراق، والجزائر، وليبيا، والسعودية التى انضمت فى نهاية عام 2005.

- عندما عقدت الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (جات) سنة 1947، كان الطلب العالمى على الطاقة يمثل جانبا متواضعا من حجم التجارة العالمية. وكان برميل البترول يباع بأقل من دولارين. وبالتالى لم تكن للتجارة فى مجال الطاقة أولوية.

- تعهد أعضاء منظمة التجارة العالمية بفتح أسواقهم أمام المشغلين الأجانب فى مجال خدمات الطاقة، والخدمات التابعة للتعدين فى حقول النفط والغاز، بالإضافة للغاز والكهرباء وخطوط الأنابيب والنقل للوقود.

- ظهر اتجاه فى منظمة التجارة العالمية تقوده جماعات المصالح الغربية المستوردة للبترول، للتأكد من أن قواعد التجارة الدولية سوف تنطبق على جميع أشكال المعاملات. حتى تفرض على حكومات الدول المنتجة للبترول الالتزام بالقواعد المنظمة لحرية التجارة. بمعنى حظر فرض قيود أو التمييز فى الصادرات من الطاقة. بحيث لا تمارس الدول المنتجة للبترول حق منع الصادرات البترولية إلى دول بذاتها.

- وترى الدول المنتجة والمصدرة للطاقة وللبترول - فى المقابل - أنه يجوز لأعضاء منظمة التجارة من المنتجين فرض قيود استثنائية - فى ظروف معينة - تتعلق بحماية مواردها الطبيعية القابلة للنفاذ، أو اتخاذ إجراءات تراها ضرورية لحماية مصالحها الأمنية الأساسية.

وتسعى منظمة التجارة العالمية لوضع قواعد أكثر مرونة وشفافية وقابلة للتنبؤ، وتعود بالنفع على كل من البلدان المستوردة والبلدان المصدرة والشركات التى تعمل فى تجارة الطاقة، وتأثير ذلك على مصالح المستهلكين. وقد تحدث «باسكال لامي» وقت توليه منصب المدير العام لمنظمة التجارة العالمية أمام مؤتمر الطاقة العالمى فى روما فى 2007، وحدد موقف المنظمة وقواعد التجارة من قضايا الطاقة، وحصر أطرافها فى المستهلكين ومستوردى الطاقة فى أوروبا، أو خارج حدودها، والبلدان المصدرة، والشركات التى تزاول تجارة الطاقة.

أما الاتحاد الأوروبى فقد تبنى إستراتيجية - بعد ارتفاع أسعار الطاقة التقليدية مع ثورة أسعار البترول الأولى فى السبعينيات من القرن العشرين - لضمان استقرار إمدادات الطاقة، وتنمية علاقات متوازنة مع الأطراف الدولية ذات الصلة. وتدور الإستراتيجية الأوروبية حول تسعة محاور:

- إعادة ترتيب البيت من الداخل بتنسيق سياسات الاتحاد الأوروبى ككتلة إقليمية مع سياسات الدول الأعضاء، وتعزيز الاحتياطى الاستراتيجى للطاقة.

- ترتيبات المستوى الثنائى للتفاوض حول اتفاق شامل مع روسيا حول الطاقة. وتنمية الحوار مع الدول المستهلكة الرئيسية للطاقة كالصين والهند. واتباع نهج مماثل للتعاون مع الجزائر وأوكرانيا. ودول الجوار الأوروبى ومنظمة الأوبك ودول الخليج العربى.

- ترتيبات المستوى الإقليمي: بتوسيع نطاق معاهدة مجتمع الطاقة لتشمل دول الجوار الأوروبى، وتعزيز فكر أسواق الطاقة المفتوحة، والمنافسة، وحماية البيئة.

- المستوى متعدد الأطراف: بالتوصل من خلال منظمة التجارة العالمية إلى اتفاقيات مناسبة، والاستفادة من سياسات مجموعة الدول الثمانية الصناعية.

- تنويع مصادر الطاقة وتشجيع مشروعات الغاز الجديدة أو التى بلغت مرحلة متقدمة من التخطيط (شمال إفريقيا، الشرق الأوسط، بحر قزوين وروسيا والنرويج).

- استخدامات وتنمية الطاقة الجديدة والمتجددة، وتشمل طاقة الرياح والمياه والشمس، والوقود الحيوى. مع الاستفادة بنسبة 20% من الطاقة المتجددة.

- التوصل لنظام دولى لتوريد اليورانيوم المخصب إلى الدول التى اختارت الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

- الترويج لاتفاقيات فعالية الطاقة energy efficiencyوالاستخدام الأمثل لها. وخفض اعتماد الاتحاد على

الواردات، والحد من نمو الطلب العالمى بتحسين فعالية استخدام الطاقة.

– تحسين قدرات الإنتاج والتصدير فى البلدان المنتجة للطاقة، وتحديث البنى التحتية للنقل. وتحسين ظروف التجارة.

الطاقة بين الاتحاد الأوروبى ومصر

ينظم اتفاق المشاركة المصرية الأوروبية، التعاون بين الجانبين فى مجال الطاقة، فأفرد الباب الخامس لموضوع التعاون الاقتصادى. والمادة (53) لتنظيم التعاون فى مجال الطاقة، ومنح الأولوية لمجالات:

– تطوير الطاقة المتجددة، وترشيد ورفع كفاءة الطاقة.

– البحوث التطبيقية فى شبكات بنوك المعلومات فى القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، التى تربط بين مشغليها فى الاتحاد ومصر.

– مساندة تحديث وتنمية شبكات الطاقة وربطها بشبكات الجماعة الأوروبية.

ويلفت النظر ثلاث زوايا تحدد الموقف العالمى والأوروبى (والغربي) تجاه حركة تجارة الطاقة وبخاصة تلك المستخرجة من البترول والطاقة الذرية، وتجاه «تنظيم» توزيع وتجارة الطاقة:

– الزاوية الأولى: أسعار الطاقة من مصادر البترول.

– الزاوية الثانية: الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، وإنتاج الوقود.

– الزاوية الثالثة: الديمقراطية والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية.

الزاوية الأولى: أسعار البترول

– منذ حقبة الاكتشافات البترولية وحتى ثورة أسعار البترول الأولى فى سنة 1974 دارت مفاوضات غير متكافئة مع الشركات المستغلة، والدول المستوردة الرئيسية. حاولت خلالها الدول المنتجة الوصول بسعر برميل البترول إلى 12 دولاراً بدلا من سعر 2.5 دولار السائد فى السوق حتى عام 1973. وكان ذلك السعر يمثل وقتها نسبة من 20 – 25% من سعر البرميل تسليم ميناء الوصول. وكان الفارق يذهب لشركات الشحن والتكرير والتوزيع.

وأقصى ما قبلت به الشركات المستغلة للحقول والدول الصناعية الكبرى وقتها، هو النظر فى قبول سعر 6 8– دولارات للبرميل. وظل هذا الوضع حتى يوم 6 أكتوبر سنة 1973. ووقتها كان سعر تثبيت الدولار لأوقية الذهب يساوى 35 دولارا للأوقية. وأخذا فى الاعتبار أن سعر الذهب صار يدور بعد ذلك حول 1500 دولار للأوقية، فبحسبة بسيطة نصل للاستنتاج الآتي:

– أن السعر المجحف للبترول عام 1974 (2.5 دولار) صار يساوى اليوم 107 دولارات.

– والسعر الذى قبلت به الشركات وقتها (6 8– دولارات) صار يساوى اليوم 300 دولار.

– أما السعر الذى طالب به المنتجون (12 دولاراً) فأصبح يساوى اليوم 514 دولاراً.

الزاوية الثانية: الاستخدامات السلمية للطاقة النووية وإنتاج الوقود

تنظم معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية فى موادها الرابعة والخامسة والسادسة استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، فتمنح الدول غير الحائزة للأسلحة الذرية الحق فى تنمية بحث وإنتاج واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية. وتلتزم أطراف المعاهدة بتيسير تبادل المعدات والمواد والمعلومات التقنية لاستخدام تلك الطاقة فى الأغراض السلمية.

ووفقاً للمعاهدة تتعهد الدول الحائزة للأسلحة الذرية باتخاذ التدابير المناسبة لتأمين حصول الدول – أطراف المعاهدة غير الحائزة – على نتائج التطبيقات السلمية للتجارب الذرية، على أساس من عدم التمييز، فى ظل المراقبة الدولية المناسبة. ومع ذلك نلمس تراجعاً عاماً فى شأن تطبيق التزامات الدول الحائزة للأسلحة الذرية الأطراف فى المعاهدة، وبخاصة فى الآتي:

– عدم التراجع عن سباق التسلح ونزع السلاح الذرى الكامل فى ظل مراقبة دولية.

– عدم تزويد دول المعاهدة غير الحائزة للأسلحة الذرية بنتائج التطبيقات السلمية للطاقة الذرية.

– إنكار حق الدول فى أن تنتج الوقود اللازم لتشغيل المفاعلات النووية للأغراض السلمية.

وبالتالى صار العالم يقر أمراً واقعاً يقوم على النحو التالي:

– هناك دول تمتلك برامج نووية معلنة تشمل استخدامات عسكرية (النادى الذري).

– ودول تمتلك برامج نووية للاستخدامات العسكرية، ولا تعلن عنها (إسرائيل)، وتساندها الولايات المتحدة والغرب فى استمرار موقف الغموض لبرامجها.

– ودول تسعى لاستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية وتنضم للمعاهدة، ومع ذلك ينكر عليها حق إنتاج الوقود. ومطلوب منها أن تمنح خصومها فقط حق تزويدها بالوقود (إيران).

والتحدى القائم هو أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى يعملان فى اتجاهين:

– الأول لتحرير التجارة فى البترول، المملوك فى الأغلب لأطراف غير غربية.

– والثانى لاحتكار وتقييد التجارة فى الوقود الذرى المملوك أغلبه لدول الغرب.

الزاوية الثالثة: الديمقراطية والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية

شهدت القاهرة عام 2007 احتفالية تحدث فيها مسئول أمريكى رفيع المقام (وزير الدفاع). وانطلق سؤال: «ما هو موقفكم من الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية؟ فأنتم تتعاملون بعدة سياسات. وفى الحالة الكورية لديكم صبر على التفاوض السلمى حتى بعدما أقدمت كوريا الشمالية على تفجيراتها الذرية للأغراض العسكرية. وفى حالة إسرائيل تمنحونها غطاءً كاملا لخروجها على الشرعية، وتعترضون فى المحافل الدولية حتى على مجرد السؤال عن موقف إسرائيل من المعاهدة. أما فى

الحالة الإيرانية فصبركم ينفد بسرعة، بينما صواريخكم جاهزة للانطلاق فى أى وقت. فما هو موقفكم بالتحديد؟ وما تفسيركم لهذه المعايير واللغة المزدوجة؟»

وكان رد المسئول رفيع المستوى: إن الأمر يتعلق أساسا بالديمقراطية. وهى تعتبر الضمان الحقيقى لحسن استخدام الأسلحة النووية. فالنظام الديمقراطى الذى يمتلك أسلحة نووية (يقصد إسرائيل) لا يمثل تهديدا للدول العربية، بعكس نظام دكتاتورى يمتلك تلك الأسلحة (يقصد إيران). وكان الرد المنطقى المقابل: إن الضحية لن تشعر بفارق فى حالة (اغتيالها) بسلاح دكتاتورى أو سلاح ديمقراطى. علما بأن المرة الوحيدة التى استخدم فيها السلاح الذرى كان أمريكيا ديمقراطياً. والدرس من هذا كله هو أن نحترس من وضع ننقاد إليه، عندما تنهال علينا العروض من كل مصادر إنتاج وبيع المفاعلات النووية، ترحب بشدة بمساعدتنا على شراء ما نريد من مفاعلات سلمية للطاقة بمليارات الدولارات، على أن تحجب عنا تكنولوجيا إنتاج الوقود. ووقتها سنخضع بترولنا ووقودهم الذرى لكامل سيطرتهم، ونبقى - فى الحالتين - رهينة لمزاج الآخرين.

وبالتالى فإقدام مصر على عصر الطاقة الذرية يتعين أن يتم كالتالي:

- اشتراط أن تكون نسبة – ولو محدودة– من المكونات «التكنولوجية» للمفاعلات النووية، من منشأ وطنى مصرى. بما يكفل نقل جانب من تلك التكنولوجيا للأيدى والعقول المصرية.

- التمسك بحق إنتاج الوقود اللازم للمحطات النووية.

- العمل على اكتساب مهارات الأمان النووى والاستخدام الآمن، وسبل التخلص من النفايات.

الحاجة إلى دبلوماسية مصرية نشطة تأخذ بالمبادأة بأكثر من الدفاع

ويتطلب الأمر أن نأخذ الأمر بجدية لنتابع التحولات الجارية فى موضوعات الطاقة، فقد نستطيع التعايش مع بعضها. وربما تكون لنا مصلحة فى اكتساب تكنولوجيات الحد من حرق الوقود والاستهلاك المفرط للبترول، والبحث عن مصادر جديدة للطاقة البديلة والجديدة والمتجددة.

ولعلنا نتفق مع بعض توجهات المحور السابع من الإستراتيجية الأوروبية الذى يدعو إلى التوصل لنظام دولى لإنتاج اليورانيوم المخصب فى الدول التى اختارت استخدام الطاقة النووية السلمية، تمشياً مع الالتزامات المتعلقة بعدم الانتشار. لكن نختلف إذا كان المقصود بذلك إدارة نظام دولى يقنن احتكار إنتاج وبيع الوقود النووى ويقصره على دول الغرب. كذلك قد نتفق مع المحور الثامن من الإستراتيجية الأوروبية الخاص بتخفيض الاعتماد على الطاقة التقليدية، وتبنى اتجاه دولى لتحسين فعالية استخدام الطاقة، والكشف عن مصادر جديدة وبديلة.

وعلينا أن «نشتبك» فى حوار علمى وعملى حول السعر العادل للبترول. لأن السعر الحالى ما زال سعراً مجحفاً بالمنتجين. وعلينا أيضا التربص باتجاهات دول الغرب لإخضاع التجارة فى البترول، لقواعد التجارة الدولية، وإنكار إخضاع الوقود النووى لنفس القواعد.

وسوف يلقى كل ذلك بأعباء جديدة على الدبلوماسية المصرية، لتستخدم مستويات وطبقات مختلفة من لغة الحوار والتفاوض. فنحن لا ندعو للمجابهة وإنما إلى دبلوماسية نشطة، وربما «مشاغبة» لا تقبل بموقف الدفاع وإنما تأخذ بزمام المبادرة، لرصد والكشف عن السياسات المضادة، وتواجهها فى حوار لإقناع الأطراف بالتوصل لحلول لصالح الجميع، ولا تقبل بمعادلة الصفر فى التفاوض التى يجنى فيها طرف كل الأرباح على حساب الأطراف الأخرى، فهى فى النهاية معادلات خائبة وقصيرة النظر ولا تبنى المصالح والصداقات، بقدر ما تثير من نزاعات غير مبررة.

استراتيجية مصر والتطورات الأخيرة

تحولت مصر منذ 2011 من مصدِّر إلى مستورد للغاز الطبيعى نتيجة تراجع الإنتاج وعدم القدرة على سداد مستحقات شركات الغاز الأجنبية. وعندما بدأت فى تسديد هذه الديون منذ 2014 ورفعت سعر شراء حصة الشريك الأجنبى عاد الإنتاج للارتفاع مرة أخرى. واعتباراً من 2015 تم اكتشاف وتشغيل حقول غاز المتوسط وتشمل: سلامات، وظهر، ونورس، وأتول، وشمال الإسكندرية، فارتفع إنتاج مصر من الغاز الطبيعى. ويتوقع أن تحقق مصر اكتفاءً ذاتياً من الغاز فى 2018 وبعدها وتحقق فائضاً بالتزامن مع بدء تشغيل حقل «ظهر» بنهاية عام 2018.

وقد شهد شرق المتوسط فترة تحول تاريخية مع ظهور تقنيات تنقيب بحرى حديثة تحت مياه عمقها يفوق 2000 متر، وتوالت أنباء اكتشافات الغاز فى منطقة شرق المتوسط، وبدأت تظهر فى السنوات الثلاثة الأخيرة ملامح ثروة هائلة من احتياطيات الغاز. ويبدو أنها باكورة لاكتشاف المنطقة التى صارت توصف باحتوائها على أحد أكبر احتياطيات الغاز فى العالم. وتتداخل مع الحدود المصرية والقبرصية واليونانية. ويعد الاكتشاف الأخير لشركة إينى الإيطالية لحقل الغاز بمنطقة ظهر فى مصر، هو الأكبر والنقلة النوعية فى حجم الإنتاج، وسوف يساهم فى تحويل مصر من مستورد إلى مصدِّر للطاقة ويوفر فرصة للتعاون الإقليمى فى مجال الطاقة بين مصر ودول شرق المتوسط والشرق الأوسط.

وبعد أن اتجهت مصر للاستفادة المثلى بغاز المتوسط، قامت بترسيم الحدود البحرية مع اليونان وقبرص. وتسعى قبرص لنقل الغاز من حقل «أفروديت» إلى محطات الإسالة المصرية، لإعادة تصديره إلى أوروبا، ووقعت مصر وقبرص اتفاقاً فى هذا الشأن. فكميات الغاز الطبيعى المكتشفة فى البحر المتوسط قادرة على تحويل مصر إلى دولة صناعية

كبرى، ويحتاج الأمر إلى مواصلة التحرك لحماية حقوقنا فى تلك الثروة الهائلة التى يقع معظمها فى المياه الإقليمية والاقتصادية المصرية.

وبالتوازى حققت مصر طفرة كبيرة فى إنتاج الكهرباء ببناء محطات الكهرباء التقليدية الألمانية الجديدة، وبإنشاء مفاعل الضبعة. بجانب مشروع الربط الكهربى بين الدول العربية من بغداد شرقاً مروراً بالسعودية إلى مصر. ثم غرباً إلى ليبيا حتى المغرب. وجنوباً لربط الشبكة مع كل من سد النهضة فى أثيوبيا وسد الكونجو، وأية مشروعات أفريقية أخرى لتوليد الطاقة. وسيتجه كل ذلك للربط مع أوروبا غرباً عن طريق المغرب وأسبانيا وشرقاً عن طريق سوريا وتركيا.

وترى مصر أن كل ذلك يؤهلها لأن تصبح مركزاً وسوقاً وبورصة لتوزيع وبيع الطاقة فى الشرق الأوسط وأفريقيا وأوروبا. وبالفعل عرضت مصر ذلك فى اجتماعات لجنة الطاقة والبيئة المصرية الأوروبية التى انعقدت فى القاهرة فى أبريل 2015 وأخذ الجانب الأوروبى علماً بالمشروع. وأثنى على تطور السياسات والإستراتيجيات التى تتبعها مصر ووصفها بأنها «ثورة ثالثة».

وفى سبتمبر 2015 عقدت بالبرلمان الأوروبى فى بروكسل، مائدة مستديرة حول إستراتيجية الطاقة الأوروبية حضرها سفير مصر، وشارك فيها رئيس شركة إينى الإيطالية. وشمل النقاش بحث مشكلات الطاقة فى أوروبا من حيث عدم تكافؤ توزيع حصص الطاقة، وغيبة الربط بين دول شمال وجنوب أوروبا، وبين دول الشرق بالغرب، واعتماد أوروبا على مصادر الطاقة الروسية، وأوصى الاجتماع بالآتي:

•إنشاء «اتحاد للطاقة» للحد من استخدام الطاقة الروسية بتوفير بدائل لها من جنوب المتوسط وأفريقيا، خاصة فى ظل الاكتشافات الجديدة للطاقة فيها.

•إنشاء محفل للطاقة يضم الجانبين الأوروبى والأفريقى، للاستثمار فى قطاع الطاقة فى أفريقيا وإنشاء البنية التحتية فى مناطق التصدير مما سيساهم فى معدلات تصديره إلى أوروبا.

تركيا والمتغيرات الدولية

تراجعت مكانة تركيا العالمية والإقليمية نتيجة للآتي:

1 - سقوط الاتحاد السوفييتى (السابق) وانهيار حائط برلين.

2 - خروج دول شرق أوروبا من حلف وارسو القديم.

3 - انهيار حلف وارسو. حتى أن حلف الأطلنطى عقد قمته فى وارسو ذاتها.

4 - انضمام روسيا إلى مجموعة السبعة الصناعية G7 لتصبح G8 (رغم تجميد عضويتها مؤخراً لموقفها فى أوكرانيا).

5 - عزوف الاتحاد الأوروبى عن منح تركيا عضويته.

6 - تراجع واضح فى الدعم المالى والسياسى والعسكرى السخى الذى كان يقدمه الغرب لتركيا باعتبارها خط الدفاع الأول ضد (ما كان يسمى) الاتحاد السوفييتى.

بهذه التطورات شعرت تركيا بتراجع مكانتها. كما أن تطورات اكتشاف الغاز والبترول فى البحر المتوسط، أثرت فى مكانة تركيا فى المنطقة، ما لم توطد علاقاتها مع مصر وقبرص واليونان. وبدأت تعبر عن القلق فى تصريحات وزير الخارجية التركى بأن بلاده تخطط للبدء فى أعمال تنقيب عن البترول والغاز شرق البحر المتوسط فى القريب كحق سيادى لتركيا، زاعماً أن اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر وقبرص ليست قانونية. وأنها لم تأخذ بعين الاعتبار حقوق القبارصة الأتراك.

وردّت وزارة الخارجية المصرية بقوة على المزاعم التركية حول المنطقة الاقتصادية بشرق المتوسط، وبرفض أية محاولة للمساس بالسيادة المصرية والتصدى لها، وأن اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر وقبرص لا يمكن الطعن فى قانونيتها، لاتساقها وقواعد القانون الدولى وتم إيداعها كاتفاقية دولية فى الأمم المتحدة.

كذلك رد د. مفيد شهاب، أستاذ القانون الدولى، إنه لا محل لتشكيك تركيا فى اتفاقية الحدود البحرية الموقعة بين مصر واليونان، وأن تحذير تركيا لمصر بسبب هذه الاتفاقية أسلوب عفا عليه الزمن. وأن هناك معايير دولية لتقسيم الحدود البحرية، وأن مصر قامت بتقسيم حدودها مع السعودية وقبرص واليونان بدون أية مشاكل طبقًا للقانون الدولى.

وبوجه عام، تُعطى الاتفاقيات الدولية الحقوق القارية للدول فى التنقيب عن البترول، والغاز حتى مسافة 350 ميلاً بحريًا (665 كم) من الشاطئ، والصيد فى حدود 200 ميل بحرى، (380كم) من سواحلها، والتى تسمى المنطقة الاقتصادية الخالصة، وهى تمتد لمسافة 200 ميل بحرى مقاسة من خطوط الأساس التى يبدأ منها قياس البحر الإقليمى. ويعد ذلك أحد أوجه التطورات المهمة فى اتفاقية البحار الجديدة لتحقيق التوازن فى المصالح.

لكن تركيا ما زالت تريد القيام بدور فى ملء فراغ الشرق الأوسط، وهى لا تستطيع الحديث مع اليونان وقبرص. وتعبر تصريحات تركيا عن خشيتها من سيطرة مصر على غاز البحر المتوسط، بعد الآمال التى زرعتها فى نفوس شعبها بأن تكون مركزًا تجارياً للغاز وللطاقة، وأن تكون مركزاً لتجارة الغاز فى المتوسط. لكن دخول مصر فى المنطقة أوقف كل هذه المخططات. ويختلط ذلك كله بأحلام تركيا حول استعادة مجد الإمبراطورية العثمانية الغابرة، وهو أمر أقرب للمستحيل.

ويبقى الأمر الواقع والاتفاقيات الدولية والنظام والقانون الدولى العام والبحرى كلها تساند موقف مصر فى استغلال ثرواتها واحترام ثروات الآخرين. والتوصل لهدف جعل مصر نقطة الارتكاز ومحطة وبورصة توزيع الطاقة فى العالم المحيط بمصر.

الأطفال ضحايا الحروب والصراعات

أطفال العالم هم من يدفعون الثمن الأكبر للحروب والنزاعات ويكتوون بنار الفقر والتشرد ويحرمون من حقهم فى التعليم جراء تدهور الأوضاع الاقتصادية وغياب برامج التنمية وعلى هذا الأساس جاء تحذير منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونسيف» المجتمعالدولى فى تقرير رسمى صدر عنها مؤخرا من أن أطفال العالم يتم استغلالهم كأسلحة للحرب فى بؤر النزاع كما أنهم يتعرضون للانتهاكات والقتل بشكل صادم جراء تجاهل أطراف الصراعات بصفة صارخة القوانين الدولية التى تضمن حماية الفئات الأكثر ضعفا ومن ثم يتعرض الأطفال وهم براعم المستقبل للقتل والدمار عن طريق استخدامهم كدروع بشرية وتجنيدهم للقتال.

هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

مأساة تزداد خطورة

وفى حقيقة الأمر فإن هذه المأساة التى تزداد خطورة يوماً بعد يوم ليست وليدة اليوم بل كانت هى الدافع الرئيسى لنشأة منظمة الأمم المتحدة للطفولة «اليونيسيف» ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية كانت محنة الأطفال فى أوروبا واضحة ومن ثم بادرت منظمة الأمم المتحدة بإنشاء وكالة جديدة تعمل على توفير الغذاء والملبس والرعاية الصحية لهؤلاء الأطفال ومع حلول عام 1953 أصبحت اليونيسيف جزءاً دائماً من الأمم المتحدة وخلال عام 1959 اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان حقوق الطفل الذى أكد على حق الطفل فى الحماية والتعليم والرعاية الصحية والمأوى والتغذية وقد منحت اليونيسيف جائزة نوبل للسلام عام 1965 تقديراً لجهودها الدولية حيث تنتشر مكاتبها الآن فى شتى أرجاء المعمورة فى أكثر من 190 دولة وإقليماً وتتركز جهودها على الوصول للأطفال الأكثر ضعفاً حول العالم.

وتسترشد اليونيسيف فى عملها باتفاقية حقوق الطفل لعام 1989 والتى أصبحت أسرع اتفاقية لحقوق الإنسان اعتماداً وأكثرها اتساعاً فى التاريخ وهى الاتفاقية التى غيرت نظرة العالم للأطفال وكيفية معاملتهم حيث يتم النظر إليهم كبشر يتمتعون بمجموعة متميزة من الحقوق ويؤكد القبول غير المسبوق لهذه الاتفاقية على وجود التزام عالمى واسع من أجل النهوض بحقوق الطفل فى إطار التشريعات الوطنية للدول ولقد تم إنجاز الكثير منذ اعتماد هذه الاتفاقية ولكن لا يزال هناك الكثير الذى يتعين القيام به.

الضحايا الأكبر

منذ أكثر من عشرين عاماً تضامن المجتمع الدولى وكشف من جهوده للعمل على حشد الدعم لمناهضة استخدام الأطفال فى النزاعات المسلحة وقد نجحت هذه المساعى حينذاك فى إطلاق سراح الآلاف من الأطفال وفقاً لخطط العمل التى قررها مجلس الأمن ونتيجة للعديد من الإجراءات الدولية التى تهدف إلى إنهاء وضع تجنيد الأطفال من قبل القوات والجماعات المسلحة فى مناطق الحروب والنزاعات ومع ذلك لا تزال هناك تحديات خطيرة تواجه حماية الأطفال المتضررين من النزاع المسلح.

ووفقاً للعديد من الإحصاءات الرسمية فإن هناك ما يزيد على 250 مليون طفل يعيشون فى البلدان والمناطق المتضررة من الصراعات المسلحة وعلى سبيل المثال فقد تسبب الصراع المستمر فى سوريا منذ أكثر من خمسة أعوام فى مقتل ما يزيد على 250 ألف شخص بما فى ذلك الآلاف من الأطفال وفى أفغانستان تم تسجيل أكبر عدد من الضحايا من الأطفال فى عام 2015 مع قيام الأمم المتحدة بعملية التوثيق الممنهج لسقوط الضحايا من المدنيين بدءاً من عام 2009. وفى الصومال حيث الأوضاع المحفوفة بالمخاطر تزداد عدد الانتهاكات المسجلة ضد الأطفال والتى ازدادت بنسبة 50% عام 2015 مقارنة مع إحصاءات عام 2014 وشمل ذلك تجنيد عدة مئات من الأطفال وإساءة معاملتهم وقتلهم وتشويههم. وفى جنوب السودان كان الأطفال هم الضحايا الأكبر للنزاعات المسلحة بين القوات الحكومية وقوات المعارضة وذلك بخلاف الملايين من الأطفال النازحين بسبب الحروب والصراعات المسلحة والكثير منهم غير مصحوبين بذويهم فهؤلاء دائماً عرضة لمخاطر عالية وانتهاكات جسيمة داخل وحول المخيمات التى يعيشون فيها ومن هنا جاءت نداءات الأمين العام للأمم المتحدة وحثه للدول الأعضاء فى المنظمة على أهمية احترام حقوق الأطفال المشردين واللاجئين وتقديم خدمات الدعم اللازمة لهم. وفى تقرير

صادر عن منظمة اليونيسيف فى ديسمبر 2017 أشار «مانويل فونتين» مدير برامج الطوارىء بالمنظمة إلى أن الملايين من الأطفال عبر العالم يدفعون ثمن الصراعات بشكل غير مباشر من خلال تعرضهم لسوء التغذية والمرض والصدمات النفسية.

واستشهد اليونيسيف بالحروب والنزاعات المسلحة التى شهدتها أفغانستان وجمهورية أفريقيا الوسطى وشرق أوكرانيا واليمن والتى كان أغلب ضحاياها من الأطفال.

ووفقاً لبيانات اليونيسيف فإن أعمال العنف فى جمهورية الكونغو الديمقراطية أدت إلى تشريد 850 ألف طفل وتعرض ما يقرب من 350 ألف طفل لسوء التغذية الحاد بينما فى نيجيريا والكاميرون جندت حركة بوكوحرام ما لا يقل عن 135 طفلاً لتنفيذ هجمات انتحارية.

الحرمان من الحقوق الأساسية

ووفقاً لتقارير منظمة اليونيسيف فإن عام 2018 لم يختلف كثيراً عما سبقه من أعوام من حيث الوحشية التى يتعرض لها الأطفال جراء الحروب والصراعات وذلك بعد الكشف عن مقتل ما لا يقل عن 83 طفلاً فى يناير الماضى جراء أعمال العنف المتصاعدة فى العراق وليبيا وفلسطين وسوريا واليمن. وبدوره قال جيرت كابيلير المدير الإقليمى لليونيسيف فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: إن العديد من الأطفال قتلوا خلال النزاعات المتواصلة والهجمات الانتحارية أو نتيجة التجمد حتى الموت أثناء فرارهم من مناطق الحروب المشتعلة.

وأضاف كابيلير إلى أن الملايين من الأطفال فى مناطق الصراعات بالشرق الأوسط وشمال أفريقيا سرقت طفولتهم وشوهت حياتهم وتعرضوا للصدمات النفسية والاعتقالات والاحتجاز والاستغلال والحرمان من الذهاب للمدرسة والحصول على الخدمات الصحية الأساسية حتى حقهم الأساسى فى ممارسة طفولتهم واللعب حرموا منه بل يتم استخدامهم كأدوات فى هذه الحروب عن طريق تجنيدهم لأعمال القتال وإجبارهم على تنفيذ هجمات إرهابية كانتحاريين أو استخدامهم كدروع بشرية.

وكشفت منظمة «انقذوا الأطفال» الخيرية بأن طفلاً من كل ستة أطفال يعيش فى منطقة تشهد حرباً أو نزاعاً مسلحاً ويبلغ عددهم ما يقرب من 350 مليوناً فى جميع أنحاء العالم.

وأشارت نفس المنظمة والتى تتخذ من العاصمة البريطانية «لندن» مقراً لها فى تقرير صادر عنها تحت عنوان «الحرب على الأطفال» بأنه خلال السنوات الـ25 الأخيرة ارتفعت نسبة الأطفال الذين يعيشون فى مناطق الحروب والنزاعات المسلحة بنسبة 75% فى حين تضاعف عدد الأطفال القتلى فى هذه المناطق بنحو أربعة أضعاف منذ عام 2010 حتى الآن حيث تأتى سوريا وأفغانستان والصومال فى صدارة ترتيب الدول العشر الأكثر خطورة فى العالم.

ودعت منظمة «انقذوا الأطفال» الدول والمؤسسات العسكرية عبر العالم إلى إنهاء كل هذه الانتهاكات التى ترتكب بحق هؤلاء الأطفال والالتزام بالقوانين والمعايير الدولية ومحاسبة المسئولين عنها.

ومن جانبها أوضحت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو» بأنه خلال عام 2013 كان هناك حوالى 28.5 مليون طفل خارج المدارس بسبب الصراعات والحروب القائمة وذلك بخلاف المشاكل المتعلقة بالرعاية الصحية والمشاكل النفسية التى يتعرض لها الأطفال جراء الحروب فهم الضحية الكبرى والخاسر الأكبر وتتجسد كافة هذه المشاكل على أرض الواقع فى الأراضى الفلسطينية وعلى وجه الخصوص فى قطاع غزة حيث يشكل الصراع المستمر فى الأراضى الفلسطينية مع القوات الإسرائيلية أثراً وضغطاً نفسياً متزايداً على جميع الأطفال الذين أضحوا يخشون النوم خوفاً من أن يستيقظوا على أصوات الطائرات والرصاص وأحياناً رؤية الجنود قابعين فوق رؤوسهم وهذا يصيبهم باضطرابات نفسية تعرف بتوتر ما بعد الصدمة. وقد نددت تقارير المجلس الدولى لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بالممارسات القمعية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى والحصار الإسرائيلى المفروض على قطاع غزة مما يجعل القطاع فى حالة اختناق حيث لا يسمح للمواطنين حتى بمساعدة أنفسهم ونتيجة لذلك فإن ما يقرب من 400 ألف طفل فلسطينى فى قطاع غزة فى حاجة إلى علاج نفسى نتيجة للاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على القطاع على مدى السنوات الماضية.

منظومة متكاملة

منذ بداية الألفية الجديدة وعلى مدار 15 عاماً كانت الأهداف الإنمائية المعلنة من الأمم المتحدة بمثابة قوة توجيهية

الأطفال ضحايا الحروب والصراعات

بشـــأن العديد من القضايا التى تؤثر على حياة الأطفال والشـــباب وأسرهم وخلال هـــذه الفترة تم إحـــراز تقدم هائل فى الحـــد من وفيات الأطفال وتم تسجيل المزيد من الأطفال فى المدارس والحد من الفقر المدقـــع والعمل على توفير الرعاية الصحية والغذاء والمياه الصالحة للشـــرب وبصفة خاصة لهذه القطاعات التى تشكل براعم المستقبل ونواة مهمة لتحقيق برامج التنمية.

ومع ذلك ووفقاً لتحليلات العديد من الخبراء فإن هذا التقدم الذى تم إحرازه كان متفاوتاً حيث لـــم تتناول الأهداف الإنمائية للألفية وحتى عام 2015 بشكل كافٍ العديد من القضايا الأكثر إلحاحاً فى العالم بما فى ذلك معالجة مســـائل عدم المســـاواة والتمييز وتعزيز النمو الاقتصادى الشامل وحماية الأطفال من العنف ومكافحة تغير المناخ.

ومـــع اعتمـــاد أهـــداف التنمية المستدامة فى شهر ســـبتمبر 2015 تعهد قـــادة دول العالـــم بإنهاء الفقر بحلول عام 2030 وبذل جهود متسارعة لتحقيق هذه الأهداف لأنه إذا لم يتم بذل الجهود الكافية لتحقيق الأهداف المعلنة فإن حياة ملايين الأطفال ولاســـيما فى المناطق غير المستقرة والفقيرة خاصة فى أفريقيا جنوب الصحـــراء الكبرى سوف تكون أكثر عرضة للخطر.

ومن هذا المنطلق أشارت الدراسات والتقارير الصادرة عن الأمم المتحدة إلى أنه من خلال تركيز منظمة اليونســـكو على التعليم والجهود التى تبذلها منظمة العمـــل الدولية لإلغـــاء عمالة الأطفال واستغلالهم وما يقوم به برنامج الأطفال والشـــباب التابع لوكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين فى الشرق الأدنى «الأونروا» وما يقوم به برنامج الغذاء العالمى من توفير التغذية للأمهـــات والأطفال بخـــلاف حملات القضاء على الأمراض والأوبئة من قبل منظمة الصحة العالمية فإن ذلك يعنى أن منظومـــة الأمم المتحـــدة متواجدة ومتكاملة وتكرس كافـــة جهودها من أجل توفير الحمايـــة للأطفال فى كافة المجالات بصفتهم براعم وأمل المستقبل لإيمانها بحتمية هذا الأمر.

القانون الدولى الإنسانى

يولـــى القانون الدولى الإنســـانى اهتماماً خاصـــاً بالمدنيين بصفة عامة وتوفير ســـبل الحماية لهم فى مناطق الحروب والصراعـــات والالتزام الدولى بمبادئه مـــن شـــأنه أن يحقق ويوفر الحماية للأطفال مـــن أخطار الحروب بوصفهم أكثر الفئات تعرضاً للإصابة وتأثراً بالحـــرب بصفة أعمق وأكبر من البالغيـــن ولذلك فـــإن القانون الدولى الإنســـانى يوفر للأطفال وقت الحروب ما يعرف بالحماية العامـــة والحماية الخاصة ليجنبهم ويلات الحروب.

ويعتقـــد العديـــد مـــن الخبراء والمتخصصين فى مجال القانون الدولى الإنسانى فى أهمية تفعيل آليات تنفيذه بصورة أفضـــل وبأهمية إلقاء التزامات إضافية علـــى عاتق أطراف النزاع حتى ينعم الأطفال بحياة تسود فيها معانى السلام والأمان.

ومـــن الجدير بالذكر فـــإن اللجنة الدولية للصليب الأحمـــر وهى منظمة دولية غير حكومية هى من أكثر الهيئات الدوليـــة حرصاً على تطبيـــق مبادئ القانون الدولى الإنسانى وتبذل جهوداً كبيرة لحماية الأطفال وبصفة خاصة فى أوقات الحروب والاضطرابات الداخلية ومن ثم هناك حاجة ماســـة لتوافر دعم دولى لهذه الجهود وإيجاد صيغة ملزمة لأطراف النزاع بالعمل على تسهيل مهام هذه اللجنة الدوليـــة المختصة بالعمل الإنسانى.

وبعـــد فـــإن الأطفال هـــم الأمل وبراعم المستقبل ولذلك فهم جديرون بالحصول علـــى أفضل حماية ومنحهم الحق فـــى النمو خلال مناخ يســـوده الأمان والاستقرار وهذا يحتم على كافة أعضاء المجتمع الدولى أن يتعاونوا فى العمل على نشر مفاهيم حقوق الطفل وحماية وزيـــادة الوعى بها لدى جميع أفراد المجتمع الوطنى للدولة ولاســـيما فى مناطق النزاعات.

إن الأطفال هـــم المتضررون فى المقام الأول من الحروب والنزاعات فى شـــتى أرجاء المعمورة وعلى المجتمع الدولـــى تحمل مســـئولياته فى حماية هؤلاء من آثار الحروب الكارثية وبأقصى ســـرعة ممكنة لأن تجاهل هذه القضية الشـــائكة ســـوف يجعل منهم قنبلة موقوتة بما يشـــكل خطراً حقيقياً على الأمن العالمى. فليبـــدأ الجميع من الآن التحرك العاجل لنزع فتيل هذه القنبلة من أجل حماية هـــذه البراعم الصغيرة والأجيال الصاعـــدة بحيث يتم تحويلها إلى قوى بناءة تشـــارك فـــى التعمير والبناء والتنمية.

معاهدة منع الانتشار النووى والمنطقة الخالية فى الشرق الأوسط

إن إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط ليست فكرة جديدة، فقد سبقتها إلى ذلك عدة مناطق حول العالم وأهمها منطقة أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبى وجنوب المحيط الهادى وأفريقيا، ولكل منطقة من هذه المناطق خصائصها الذاتية التى تجعل منها مشروعاً فريداً، على الرغم من الخصائص الأساسية المشتركة التى تتمتع بها تلك المناطق. وبالرغم من ذلك، يعتبر إنشاء منطقة منزوعة أسلحة الدمار الشامل تجربة لم يسبق لأية منطقة فى العالم أن مرت بها، إذ أن إخلاء المنطقة من ثلاثة أنواع رئيسية من الأسلحة أمر على درجة بالغة من التعقيد. ويهدف هذا المقال إلى تعريف بنود نظام معاهدة حظر الانتشار النووى بالإضافة إلى تعريف الخطوط الإرشادية والأهداف الرئيسية لإقامة منطقة منزوعة أسلحة الدمار الشامل، وإلقاء الضوء على دور كافة الأطراف - بما فيها الأطراف الخارجية- بالإضافة للتدابير والالتزامات الواجب اتخاذها لاستيفاء الوظائف الرئيسية لأى نظام رصد مستقبلى فيها.

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

أولاً: معاهدة حظر الانتشار النووى (معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية N.P.T)

• المعاهدة متعددة الأطراف، تم فتح باب توقيعها فى 1 يوليو 1968 فى لندن وموسكو وواشنطن. وبدأ نفاذها فى 5 مارس 1970 لمدة أولية تستغرق 25 سنة. وتحدد أن تعقد المؤتمرات الاستعراضية كل خمس سنوات (NPT Review Conferences).

• تم تمديد المعاهدة إلى أجل غير محدد، فى مؤتمر استعراض المعاهدة وتمديدها فى عام 1995. وتحظى المعاهدة بعضوية عالمية (ما عدا إسرائيل والهند وباكستان وكوريا الشمالية التى قامت بالانسحاب من المعاهدة). ويقتضى الانسحاب من المعاهدة توجيه إشعار مسبق فى غضون ثلاثة أشهر.

• تميز المعاهدة بين الدول الحائزة للأسلحة النووية والدول غير الحائزة للأسلحة النووية. وتحدد الدول الحائزة للأسلحة النووية فى الدول التى قامت بتفجير جهاز نووى قبل 1 يناير 1967، وتشمل الاتحاد السوفييتى (روسيا حالياً) والصين، وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

ثانياً: أحكام معاهدة حظر الانتشار النووي

تتضمن المعاهدة أربعة أحكام رئيسية منصوص عليها فى موادها الست الأولى وأهمها:

أولاً: يحظر على الدول الحائزة للأسلحة النووية نقل أو مساعدة الدول الأخرى على حيازة الأسلحة النووية والتكنولوجيا المتصلة بها، أو مراقبتها. ويحظر على الدول غير الحائزة للأسلحة النووية أن تتلقى الأسلحة النووية أو تستحدثها.

ثانياً: وضعت الضمانات النووية من أجل ضمان المواد الانشطارية المنتجة أو المستخدمة فى المرفق النووى بالدول غير الحائزة للأسلحة النووية يقتصر استعمالها على الأغراض السلمية. وتدير هذه الضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

ثالثاً: تعترف المعاهدة بحق جميع الأطراف فى البحث فى مجال الطاقة النووية، وكذلك إنتاج هذه الطاقة واستخدامها من أجل الأغراض السلمية. وتسمح للدول الحائزة للأسلحة النووية بمساعدة الدول غير الحائزة للأسلحة النووية فى استغلال الطاقة النووية استغلالاً سلمياً.

رابعاً: تدعو المعاهدة جميع الأطراف للتفاوض عن حسن نية على تدابير تتعلق بنزع السلاح النووى، وعلى معاهدة بشأن نزع السلاح العام الكامل فى ظل رقابة دولية صارمة وفعالة.

ثالثاً: الخطوط الإرشادية للمناطق منزوعة السلاح النووي:

• صاغت الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ عام 1975 مجموعة من المبادىء التى ينبغى أن تسترشد بها الدول فى إقامة المناطق الخالية من السلاح النووى، ثم جرى بعد ذلك توسيع هذه المبادىء فى تقرير صدر بتوافق الآراء عن لجنة الأمم المتحدة لنزع السلاح عام ١٩٩٩.

• كانت الوثيقة النهائية لمؤتمر مراجعة وتمديد معاهدة حظر الانتشار النووى لعام 1995، التى بادرت بطرحها الدول العربية بقيادة مصرية، هى الركيزة الأساسية التى انبثقت منها المبادرة الفعلية لإنشاء منطقة منزوعة أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط، وقد استندت تلك الوثيقة النهائية على القرار السنوى للجمعية العامة للأمم المتحدة والذى صدر أول مرة عام 1974 برعاية مشتركة بين

معاهدة منع الانتشار النووي والمنطقة الخالية فى الشرق الأوسط

مصر وإيران. وطالب القرار الجمعية العامة بإنشاء منطقة منزوعة السلاح النووى فى الشرق الأوسط، ومن ثم تم تبنى هذا القرار بالجمعية العامة بالإجماع سنوياً منذ عام 1980.

• وفى هذا الإطار، تم الاتفاق على أن تقام المناطق الخالية من الأسلحة النووية على أساس ترتيبات تتوصل إليها الدول الموجودة فى المنطقة المعنية، على أن تصدر المبادرة لإقامة مثل هذه المنطقة عن الدول داخل المنطقة وحدها، وأن توافق عليها كل الدول الواقعة فيها. ويجب أن تشكل المنطقة كياناً جغرافياً تحد حدوده بوضوح من جانب الأطراف المحتملة للمعاهدة، وذلك عن طريق المشاورات مع الدول الأخرى المعنية.

• وتأخذ عملية إقامة المنطقة فى الاعتبار جميع الخصائص ذات الصلة للمنطقة المعنية مع تحديد التزامات الأطراف بوضوح، وأن تكون ملزمة، قانونياً، بأن تكون الترتيبات متفقة مع مبادئ القانون الدولى وقواعده.

• كما يجب أن تنص معاهدة المنطقة الخالية من الأسلحة النووية على الحظر الفعال لتطوير أو صنع أو السيطرة على امتلاك أو تجربة أو وضع أو نقل الدول الأطراف فى المعاهدة لأى نوع من المتفجرات النووية. وتنص على أن الدول الأطراف لا تسمح لأية دولة بأن تضع أية متفجرات نووية داخل المنطقة، وعلى التحقق الفعال حين الوفاء بالالتزامات المنصوصة.

• وتتمثل الأهداف الرئيسية لإنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى تخفيف حدة التوتر وحدة النزاعات فى المنطقة، وتسوية الخلافات. كما يهدف ذلك إلى نشر الاستقرار والأمن على المستويين الإقليمى والدولى، والعمل على تعزيز الثقة والشفافية وتحسين العلاقات فيما بين دول المنطقة. من ناحية أخرى، فإن إنشاء مثل هذه المناطق يعمل على تسهيل وتشجيع التعاون فى مجال تنمية الطاقة النووية واستخدامها فى الأغراض السلمية.

• ولا يمكن أن يتحقق إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، وفى مقدمتها السلاح النووى، إلا إذا لعبت الدول الحائزة لأسلحة نووية دوراً محورياً، وذلك من خلال عدة مقاربات أهمها معارضة إجراء تجارب نووية فى المنطقة ومحاربة عدم الامتثال لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النوعية.

• ويجب أن يكون هناك دعم خارجى للأنشطة النووية السلمية فى المنطقة وللمشروعات ذات الصلة بما يعزز شفافية هذه الأنشطة. كما ينبغى على الدول النووية الخمس أن تسهم بشكل يدعم إنشاء المنطقة الخالية، وذلك من خلال التصديق على المعاهدات الخاصة بإنشاء المناطق الخالية بذلك، والتزام بمتابعة تنفيذ أحكامها، واحترام جميع الشروط المحددة فيها. ويجب على هذه الدول الامتناع عن القيام بأى أفعال فى المنطقة تنطوى على انتهاك للمعاهدة والاتفاقية، وعن استعمال الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها ضد دول المنطقة، بالإضافة إلى التعهد بألا توضع؛ فى المنطقة الخالية من أسلحة الدمار الشامل أسلحة قد تستخدم أو يهدد باستخدامها ضد بلدان المنطقة.

• ولتحقيق أهداف المنطقة الخالية من أسلحة الدمار الشامل يجب أن تلتزم دول المنطقة بعدم حيازتها لأى أسلحة دمار شامل، وبعدم وضع أية دولة لأسلحة نووية أو أسلحة دمار شامل أخرى فى نطاق الساحة الجغرافية للمنطقة، وعدم استخدام أو التهديد باستخدام أى أسلحة دمار شامل ضد

أهداف بالمنطقة.

• ولذلك يجب إضفاء الصفة القانونية على التدابير المتعلقة بحظر استخدام الأسلحة ضد أطراف ثالثة. وعلى سبيل المثال، فقد أعلنت الدول الخمس الكبرى الحائزة على أسلحة نووية من طرف واحد أنها لن تهاجم أو تهدد بالهجوم بأسلحة نووية دولاً غير حائزة على أسلحة نووية. ولكن هذه الإعلانات تتضمن شروطاً وتحفظات، تتصل ببعض الدول الموجودة فى المنطقة الخالية من الأسلحة النووية أو فى حلف عسكرى مع دولة حائزة للأسلحة النووية.

رابعاً: الوظائف الرئيسية لنظام الرصد المرتبط بإنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل

تتمثل الوظائف الرئيسية لنظام الرصد اللممرتبط بإنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الآتي:

1) مراقبة تفكيك وتدمير المخزونات الموجودة من أسلحة الدمار الشامل والصواريخ (التى يتجاوز مداها 150 كم) والتحقق من ذلك.

2) تفكيك مرافق الإنتاج ذات الصلة أو تحويلها للاستخدامات السلمية.

3) مراقبة الأنشطة الكيماوية والبيولوجية والنووية والمتعلقة بالصواريخ حتى يمكن فى مرحلة مبكرة اكتشاف أى انحراف للبدء فى تطوير وإنتاج وتخزين المواد المذكورة أو استئناف الأنشطة المتعلقة بذلك.

4) القيام بأعمال البحث والتطوير لتحسين تقنيات التحقق من أسلحة الدمار الشامل.

5) إنشاء آلية لمراقبة التصدير والاستيراد للتقنيات مزدوجة الاستخدام ذات الصلة.

6) إنشاء قاعدة معلومات فيما يتصل بانتشار مواد أسلحة الدمار الشامل أو الاتجار غير المشروع فيها.

7) اتخاذ تدابير الحماية وغيرها من التدابير للرقابة على المواد النووية والأجهزة غير المشروعة.

خامساً: العناصر اللازمة لإقامة منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل بالشرق الأوسط:

لم يتبق من هيروشيما سوى أطلال غرفة الصناعة

بالإمكان تلبية المتطلبات الضرورية لإنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط، عن طريق تكثيف الجهود الدولية لمنع تهديد الأمن والسلام الدوليين، والالتزام بنظام منع الانتشار النووى. وقد أصبح إنشاء هذه المنطقة يحظى بتأييد المجتمع الدولى، وكذلك الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن، استناداً إلى التجارب المماثلة السابقة.

وبناء على ذلك، فمن أجل إنشاء تلك المنطقة لا بد أن تتحقق العناصر الآتية:

1) إزالة أسلحة الدمار الشامل، حتى يمكن تعزيز المصالح الأمنية والحيوية لدول المنطقة.

2) ضرورة أن تعلن دول المنطقة عن رغبتها فى إزالة أسباب التوتر والنزاع فى المنطقة لتحقيق السلام العادل والشامل، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة.

3) ضرورة انضمام إسرائيل إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، وإخضاع جميع مرافقها للتفتيش الدولى، وفقاً لنظام الضمانات الشاملة للوكالة الدولية للطاقة الذرية.

4) عدم السماح لأية دولة خارج المنطقة باستخدام أراضى المنطقة أو الأراضى التى تقع تحت سيطرتها فى وضع أسلحة الدمار الشامل أو مكوناتها بها.

5) ضرورة تنفيذ قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بموضوع إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط.

6) ضرورة التعهد بوقف إنتاج أو الحصول على المواد الانشطارية أو أية مواد تستعمل فى إنتاج أسلحة الدمار الشامل.

7) ضرورة الامتناع لحين إنشاء هذه المنطقة عن استحداث أسلحة نووية أو إنتاجها أو تجربتها أو الحصول عليها على أى نحو آخر، والامتناع عن السماح بوضع أسلحة نووية أو أجهزة متفجرة نووية فى أراضيها.

8) ضرورة أن تقدم إسرائيل لوائح وقوائم بمخزونها من المواد الانشطارية والأسلحة النووية للوكالة الدولية للطاقة الذرية، بالإضافة إلى القيام بإتلاف تلك الأسلحة وفق برنامج زمنى متفق عليه دولياً، والاستهداء بتجربة جنوب أفريقيا فى هذا الصدد. وبالنظر إلى اتجاه العديد من دول المنطقة إلى استخدام الطاقة النووية فمن المهم اتخاذ تدابير لتأمين المفاعلات النووية والتعامل مع النفايات النووية.

السايبرنتك فى الاقتصاد والسياسة والفن

السايبرنتك Cybernetic أو العلم السيبرانى، هو علم حديث ظهرت تباشيره أثناء فترة الحرب العالمية الثانية، تبلورت قواعده فى عام 1948 بإصدار عالم الرياضيات نوربرت فينر (1894-1964) كتاباً عنوانه (دراسة التحكم فى التواصل لدى كل من الحيوان والآلة). وقد اكتملت أسس هذا العلم الجديد فى أواخر أربعينيات القرن العشرين، وصار مادة تدرس فى عدد من الجامعات الأمريكية والأوروبية باسم العلم السيبراني.

سفير يسرى القويضى

ykouedi@yahoo.com

البداية كانت عندما كلّف عالم الرياضيات نوربرت فينر الأستاذ بجامعة (MIT) أثناء الحرب العالمية الثانية بدراسة تحديد زاوية إطلاق مدفع أرضى لإصابة هدف متحرك فى السماء، وتلك دراسة تحتاج لمعادلات رياضية معقدة تأخذ فى اعتبارها عوامل متغيرة عديدة مثل سرعة الهدف، المسافة بين المدفع والهدف، سرعة الرياح، وزن القذيفة، قوة الإطلاق.. إلخ، ومن المعروف أنه أثناء سنوات الحرب لجأ كثير من العلماء من تخصصات متنوعة وجنسيات مختلفة إلى المكسيك لمباشرة أبحاثهم هناك بعيداً عن ميادين القتال الدائر فى أوروبا، وكان البروفيسور نوربرت فينر من بينهم.

كان العلماء يجتمعون للتسامر والتسلية، وفى إحدى الأمسيات طرح أحدهم تساؤلاً (ما المقصود بمصطلح التحكم Control؟). فاختلفت إجابات العلماء باختلاف التخصصات، فالتحكم لدى عالم الطبيعة يختلف عن التحكم لدى عالم الفسيولوجى وهكذا.

لمعت فى ذهن البروفيسور نوربرت فكرة مضمونها أنه رغم تنوع الإجابات واختلافها، لكنها حملت فى طياتها قواسم مشتركة. وهذا ما دفعه ليعكف على دراسة الأمر وبحثه ملياً فتوصل للكتاب الذى أشرت إليه والذى يوضح أن أى فعل يقوم به الإنسان أو الآلة يعتمد أولاً وأخيراً على اتخاذ قرار والتحكم فى تنفيذه. وتوصل إلى أن تنفيذ أى قرار تعترضه عقبات، وتحوطه ردود أفعال، يقتضى من متخذ القرار تعديل المسار نحو الهدف. وأشار إلى أن تنفيذ القرار يحتاج إلى مهارة تشابه مهارة الملاح الذى يوجه سفينته وهو فى عرض البحر نحو هدف محدد أمامه مباشرة، لكنه لا يتجه إليه فى خط مستقيم، بل يجب عليه مراعاة اتجاه الريح وسرعتها، حالة الأمواج وارتفاعها، وربما هبوط الضباب أحياناً إلخ.. من المتغيرات، فيقوم الملاح بتعديل خط السير تباعاً ليصل إلى الهدف.

إن تعديل المسار أثناء الإبحار، فى ضوء التغيرات التى يصادفها متخذ القرار، بالإضافة إلى المعلومات التى ترد إليه من الهدف Feedback هى نفس الحالة التى كان يصادفها الملاح الإغريقى قديماً وهو يبحر متجهاً لهدفه، وتعرف تلك الحالة بمصطلح يونانى قديم معناه (التحكم) فاشتق منه البروفيسور نوربرت كلمة Cyber.

امتد تأثير هذا الفكر الجديد المتمثل فى العلم السيبرانى (الذى يعتمد على كيفية اتخاذ القرار ومراقبة تنفيذه) إلى كافة الأنشطة الإنسانية العلمية والاجتماعية. فكل فعل أو قرار يتخذه الإنسان أو يستند فى تنفيذه على الآلة تنطبق عليه قواعد العلم السيبرانى المستحدث. فمثلا جهاز التكييف فى حجرة يقوم بتبريد أو تسخين الهواء داخل الحجرة يظل يعمل إلى أن يتلقى الترموستات من الهواء داخل الحجرة إشارة بأنه وصل للدرجة المطلوبة، فيتوقف الجهاز عن العمل، ولا يستأنف العمل من جديد إلا بعد تلقى إشارة بأن الجو داخل الغرفة تغير، فيبدأ جهاز التكييف فى العمل من جديد، والأمثلة عديدة ومتنوعة.

فإذا نظرنا للموضوع من زاوية أخرى، لنتفهم مضمون العلم السيبرانى، أشير إلى أن البشر فى الماضى السحيق وحتى عصور ليست متأخرة كانوا يستخدمون الجهد العضلى فى تحريك الأشياء، ونقلها من مكان إلى آخر، والتحكم فى حركتها، وقد ظل الأمر على هذا الحال إلى أن ابتكر الإنسان العجلة، الآلات الميكانيكية، ثم البخارية وبعدها الكهربية فأصبح تحريك الأشياء والتحكم فيها يتم عن طريق تشغيل الآلة، سواء جلس عليها الإنسان، أو وقف

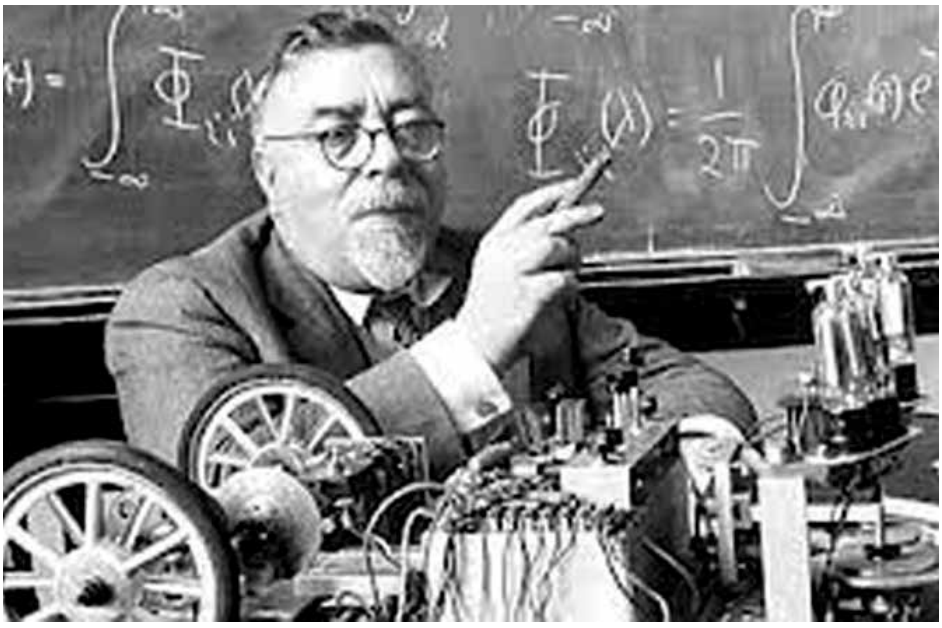

نوربرت فينر

بجوارها، أو حتى جلس داخلها (كما فى حالة الطائرات مثلا).

مع التطور التكنولوجى ابتكرت الحاسبات (الكمبيوتر) فاستخدمها الإنسان للتحكم فى الأنشطة المتنوعة. وبدأ يعيش عصراً مختلفاً. يجلس فيه مستريحاً يتحكم Control عن بعد فى فعل كثير من الأشياء ويحركها. فمثلا أمكن لقائد الطائرة الاعتماد على الطيار الآلى أثناء الطيران. فالتعليمات يعطيها للكمبيوتر ليقوم بتنفيذها.

تعدى طموح الإنسان إلى درجة أبعد مما توصل إليه من العلم، فاستمر فى تطوير الأبحاث للتوصل إلى الذكاء الاصطناعي Artificial Intelligence فلقد أصبح فى إمكاننا لعب الشطرنج مثلاً مع الكمبيوتر، الذى يعتمد على نظرية الاحتمالات ليأخذ الخطوة المناسبة للرد على الخطوات التى يتخذها اللاعب. وانتشر هذا النوع من الذكاء الاصطناعى، وأصبحنا نستخدم أشكالاً كثيرة منه فى حياتنا اليومية باعتبار ذلك شئ بديهى وعادي.

استرعت أفكار البروفيسور نوربرت انتباه فئات مختلفة من المتخصصين فى مجالات التطبيقات الصناعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. إلخ، ودفعهم تفكيرهم للاستعانة بالكمبيوتر للبحث عن كافة القرارات المتاحة أمام الحالات التى يجابهونها لاختيار القرار الأكثر مناسبة، ثم يقوم الكمبيوتر بمراقبة التنفيذ، والتدخل بالتعديل كلما اقتضت الحاجة لذلك، وهكذا استخدمت قواعد العلم السيبرانى فى مجالات الاقتصاد والسياسة والفن.

برز من بين الجيل الثانى للعلماء السيبرانيين اسم العالم البريطانى ستافورد بير (1926-2000) الذى نشط كاستشارى فى فرع الإدارة السيبرانية Management Cybernetic حيث قام بعديد من التطبيقات للنظريات السيبرانية فى أوروبا وأمريكا اللاتينية، ومن أشهر نشاطاته تعاونه مع الرئيس التشيلى سلفادور أليندى فى الفترة من 1971 حتى 1973، ووضع فى شيلى مشروعاً اسمه سايبرسن Cybersyn وهو عبارة عن شبكة اتصالات إلكترونية تربط كافة أطراف ووحدات الاقتصاد التشيلى (مزارع، مصانع، مناجم، وكالات.. إلخ) بحيث أنشأ شبكة تشبه الضفيرة العصبية لجسم الإنسان، تنقل المعلومات والمؤشرات عن كل ما يجرى فى الجسم إلى الرأس حيث تتجمع فى المكان الذى تتخذ فيه القرارات، وبالتالى تصدر القرارات بشكل يتلاءم مع المعلومات التى تفد من أجزاء الجسم.

ساعدت الشبكة التى وضعها العالم ستافورد بير فى إفشال محاولات بعض رجال الأعمال المحافظين المعارضين للرئيس أليندى، والذين كانوا ينشطون بمساندة من جهاز الاستخبارات الأمريكى لإشعال التظاهرات المعارضة ونشر الاضطرابات السياسية، بهدف خلق أزمات فى الغذاء والوقود وتضييق الخناق على حكومة الرئيس أليندي. لقد كانت المعلومات التى تتدفق على مركز المشروع فى سانتياجو تخضع للتحليل الإلكترونى وتبحث عن الاختيارات لمواجهة المشاكل الاقتصادية، وبحيث توضع أمام رئيس الدولة يومياً، وبالتالى أمكن التغلب على كثير من الاختناقات بسرعة مكنته من إفشال محاولات المعارضة.

وبسقوط حكومة أليندى بانقلاب عسكرى قام به الجنرال بينوشيه هدم المشروع الذى ظل نشطاً لمدة عامين، لكن فكرة استخدام الفكر السيبرانى فى القرارات الاقتصادية والسياسية ظلت مستخدمة على نطاق واسع فى كثير من البلدان الأخرى بالعالم، وشملت كافة المجالات وعلى رأسها الأنشطة الاستخباراتية التى أصبحت تباشر أعمالها بالوسائط الإلكترونية من بعد دون الوسيط البشري.

لقد أصبح العالم اليوم يعج بأشكال ومظاهر متعددة للفكر السيبرانى، وليس بعيداً عنا ما يتعلق بحروب الأجيال الرابعة والخامسة للحروب، بل لقد شاع استخدام اصطلاح «السيبر» بإفراط وصل لدرجة أن نصادف مقاهى تصف نفسها بالمقهى السيبرانى «السيبر كافيه».

إننا نحيا فى عصر المعلومات والتواصل الإلكترونى، لقد أصبحت القرارات تتخذ بأسلوب سيبرانى، ومازال فى جعبة العلماء الكثير الذى ربما سيفاجئوننا به مستقبلاً، والله أعلم.

الأمم المتحدة ودعم الاستخدام السلمى للفضاء الإلكترونى

تلقيت دعوة لحضور المنتدى العالمى للأمن السيبرانى والذى عقد فى تالين عاصمة أستونيا- إحدى دول البلطيق- فى الفترة من 28-29 مايو الماضى، وجمع الملتقى 150 خبيراً على مستوى العالم للبحث فى قواعد الفضاء الإلكترونى أو تفعيل ما بات يعرف بـ «دليل تالين» والذى تطور إثر التحقيق الذى تبناه حلف الناتو فى واقعة الاعتداء الإلكترونى على أستونيا عام 2007، وكذلك جورجيا عام 2008، إلى جانب العديد من الاعتداءات الأخرى التى تكشف دون ريب عن تحول الفضاء الإلكترونى إلى ساحة للصراع الدولى دون ضوابط.

نجح المجتمع الدولى فى إحراز تقدم فى التعامل مع المجالات الدولية الأخرى مثل المجال الجوى أو المجال البحرى أو الفضاء الخارجى، حيث تم التوصل إلى اتفاقيات دولية تعنى بها تعمل على تنظيم الاستخدام وتحديد الحقوق والواجبات، ومثل الفضاء الإلكترونى كمجال خامس جديد فى العلاقات الدولية فرصة لشحذ الجهود الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة فى العمل على تنظيم استخدامه بما يعمل على تعزيز دوره فى حفظ السلم والأمن الدوليين، وتأتى أهمية ذلك بعد التحول الذى يشهده العالم الآن من زيادة سباق التسلح الإلكترونى عبر الفضاء الإلكترونى وعدم وجود قواعد دولية تنظم هذا الاستخدام، وانتقال التوترات الدولية إلى المجال السيبرانى، وبروز دور الفاعلين من غير الدول فى التأثير على أمن الفضاء الإلكترونى مثل الجماعات الإرهابية أو القراصنة، وزاد من وتيرة ذلك وأثره ليس فقط على الأمن القومى للدولة بل تأثيره على الأمن الجماعى الدولى، مع ارتباط الفضاء الإلكترونى بعمل البنية التحتية الحيوية المعلوماتية، وزيادة دوره فى تقديم الخدمات ودوره فى نمو الاقتصاد العالمى.

روح ميثاق الأمم المتحدة

ويمكن القول إن ميثاق الأمم المتحدة لم ينصّ صراحة على تجريم استخدام حرب المعلومات أداة إرهابية أو ما يُعرف بالإرهاب الإلكتروني؛ نظرًا لأن روح الميثاق تتفق مع تجريم

د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى

adelsadek@hotmail.com

استخدامه باعتباره يمثل انتهاكًا لما ورد فى الميثاق بخصوص «التهديد أو استخدام القوة ضد السلامة الإقليمية أو الاستقلال السياسى لأية دولة». ومع الأخذ فى الاعتبار أن الميثاق جاء لمواجهة النزاعات المسلحة، فإنه إذا ما تمَّ اعتبار الإرهاب الإلكترونى واستخدام حرب المعلومات يقعان ضمن العدوان والذى يُعنى بحمل وإرغام دولة على الإتيان بعمل معين.. فإنه تنطبق هنا قوة القانون.

من ثم فإن ذلك يعنى أن النظرة للإرهاب الإلكترونى وحرب المعلومات تقع ضمن ميثاق ومقاصد الأمم المتحدة، كما ورد فى الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة فيما يتخذ من الأعمال فى حالات تهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان فى المادة 39 التى تنصُّ على: «يقرر مجلس الأمن ما إذا كان قد وقع تهديد للسلم أو إخلال به أو كان ما وقع عملاً من أعمال العدوان، ويقدم فى ذلك توصياته أو يقرر ما يجب اتخاذه من التدابير طبقًا لأحكام المادتين 41 و42 لحفظ السلم والأمن الدولى أو إعادته إلى نصابه وأورد ميثاق الأمم المتحدة فى مادته الثانية فقرة (3) ما نصُّه: «يفضُّ جميع أعضاء الهيئة منازعاتهم الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولى عرضة للخطر».

تتضمن أهداف الأمم المتحدة: العمل على حفظ الأمن والسلم الدوليين، ولتحقيق ذلك يجب العمل على: اتخاذ خطوات جماعية فعالة للقضاء على الأخطار المهددة للسلم، حلِّ المنازعات بالطرق السلمية، تنمية العلاقات الودية بين الدول التى يكون أساسها احترام الحقوق المتساوية وحق البقاء لجميع الشعوب، تحقيق التعاون الدولى فى حلِّ المنازعات الدولية ذات الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أو الإنسانية. ونصَّ ميثاق الأمم المتحدة فى المادة 43 منه فقرة (1) من الفصل السابع على أن «يتعهد جميع أعضاء «الأمم المتحدة» فى سبيل المساهمة فى حفظ السلم والأمن الدولى، بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن- بناء على طلبه وطبقًا لاتفاق أو اتفاقات خاصة- ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدولى، ومن ذلك حق المرور». ويمكن أن نشير إلى ما ورد فى عبارة «المساعدات والتسهيلات الضرورية»، وكل ما تراه الأمم المتحدة يخدم الأمن الدولى ويساعد فى ترسيخه

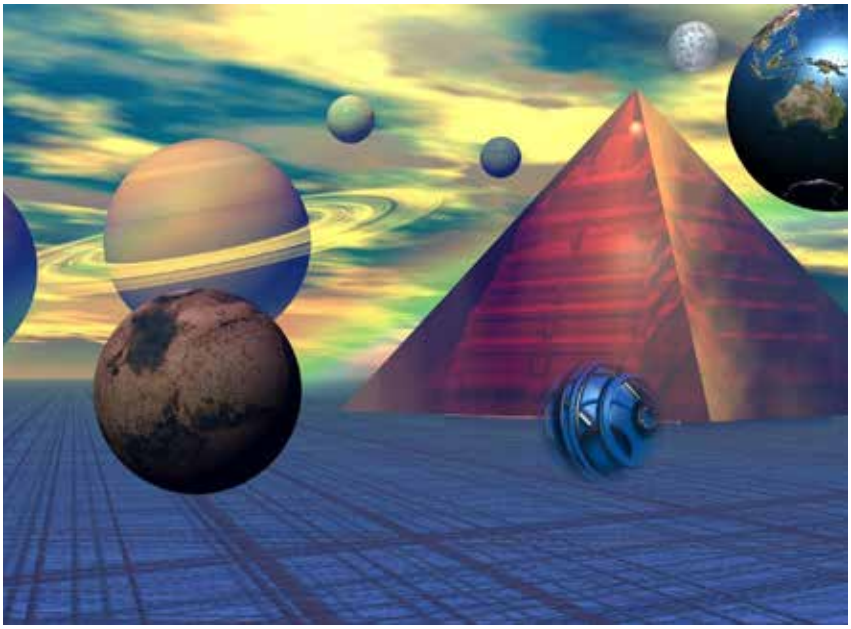

من قبيل شبكات وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات التى قد تكون مهمة إما فى سبيل دعم وحفظ الأمن الدولى أو فى طابعها الدولى وارتباطها وأهميتها الدولية والتى قد تغرى أحد أطراف النزاع على استخدامه.

ومن ثمَّ فإن الأمم المتحدة أصبحت بحاجة إلى: العمل على تحييد الفضاء الإلكترونى، وضع القواعد المتعلقة بهذا المجال وتطبيقها، إقرار النظام العام، المحافظة على السلم والأمن الدوليين. ويتطلب ذلك: تنازلات من الدول المتقدمة- خاصة الولايات المتحدة التى مازالت تحتكر إدارة الإنترنت- العمل على الموازنة بين حق الدول فى استخدام الفضاء الإلكترونى، وفى الوقت نفسه توفير الحماية من الأخطار التى تهدده.

ظهرت معوقات الأمن الجماعى التى تتمثل في: عدم استكمال البناء المؤسس لنظام الأمن الجماعى، استحالة استخدام الترتيبات المؤقتة المنصوص عليها فى المادة 106 التى تسمح للدول الموقعة على إعلان موسكو بالإضافة إلى فرنسا باتخاذ إجراء جماعى باسم الأمم المتحدة للمحافظة على السلم والأمن الدوليين؛ لأن هذه الدول هى نفسها الدول دائمة العضوية فى مجلس الأمن.

غياب إطار قانونى دولي

تطرح طبيعة هجمات الفضاء الإلكترونى مدى إمكانية تطبيق القواعد القانونية الدولية التى تنبثق من ميثاق الأمم المتحدة، وهى تساعد على المعالجة القانونية، فضلاً عن أن الأطر القانونية ليست كافية للتوصل إلى حلول تعالج معضلة الأمن التى تفرضها هجمات الفضاء الإلكترونى.

وهناك وجهتا نظر فى هذا الخصوص، الأولى ترى أن هناك حاجة إلى وجود إطار قانونى جديد كلى، أما وجهة النظر الأخرى فترى الاقتصار على تبنى النظم القانونية القائمة فقط. ولا شك أن أفضل طريقة لضمان معالجة شاملة تكمن فى وجود اتفاق دولى يتعامل بالتحديد مع الأمن الإلكترونى وكيفية وضعه وطريقة معالجته فى القانون الدولى. وتطرح أفضل طريقة لكيفية إنشاء بيئة قانونية تنظر إلى العدوان الإلكترونى باعتباره إخلالاً جسيمًا بالنظام القانونى ومرادفًا للجريمة الدولية المنظمة أو عدوانًا ضد دولة أخرى.

وتدفع عملية الضرر المتوقع والمتخيَّل فى حالة التعرُّض لهجمات الفضاء الإلكترونى إلى إثارة الجدل بشأن إمكانية تطبيق ما أرساه القانون الدولى الإنسانى من قواعد تعمل على الحدِّ من استخدام القوة أو التهديد بها أو حتى تنظيم استخدامها فى حالة الصراعات المسلحة الدولية وغير الدولية الطابع، بهدف حماية المدنيين والمنشآت المدنية والأماكن التى تستحق حماية خاصة أو المنشآت التى تحتوى على خطورة خاصة. والخطرُ لم يَعُدْ مقتصرًا فقط على مصالح الأمم أو جماعات الضغط. وإنما يكمن الخطر الأساسى الذى يمكن أن ينتج عن «الحضارة العالمية» فى الحدِّ من التعدد ومن إمكانات الاعتراف بالآخر، وذلك من خلال تنميط أشكال التعامل. وبمعنى آخر، فإن تحقيق الشفافية وتسهيل تداول المعلومات على المستوى العالمى يتمُّ على حساب الاختلاف والتعدد. فمستوى حضارة ما يُقاس من خلال درجة احتوائها على ما لا يمكن توقعه.

إن وحدة الإنسانية لا يمكن بأى شكل من الأشكال أن تتأسس على وحدة الدين أو الفلسفة أو السلطة، بل يكمن شرط تحققها أساسًا فى التعددية. وتبقى مسائل التعاون الدولى لها أهمية بالغة، أبرزُها الاتفاق فى حقل الاختصاص القضائى والقانون واجب التطبيق فى بيئة النزاع فى الفضاء الإلكترونى، وهذا ما يتطلب معرفة الأسس التى يتعين أن يتمَّ التفكير فيها فى كل نشاطٍ يهدف إلى تنظيم ضرورى للفضاء الإلكترونى. والأهم أن يكون تنظيمًا يراعى هذه السمات التقنية وهذه الخصائص والمميزات التفاعلية اللامتناهية.

اتخاذ تدابير ملائمة

يعبر الفضاء الإلكترونى من دولة لدولة ومن منطقة إلى أخرى، ومن جهة عمل إلى أخرى دون قيود وبكل اللغات، مع التداخل بين الشبكات المحلية والإقليمية والدولية. وفى هذا الانتقال يتمُّ المرورُ عبر مناطق الاختصاص القضائى ومناطق السيادة فى العالم. وهذه المناطق قد لا يكون بينها تعاون أو حتى روابط، ففى مثل هذه البيئة ثمة حاجة لجهد استثنائى على النطاق الدولى أهم ما يتعين أن يتصف به: الخروج من الأطر والمفاهيم التقليدية التى بُنى عليها القانون الدولى.

والعمل على اتخاذ تدابير ملائمة لحل مشكلات الاختصاص القضائى التى تثيرها الجرائم المعلوماتية العابرة

الأمم المتحدة و دعم الاستخدام السلمى للفضاء الالكترونى

للحدود أو ذات الطبيعة الدولية، مع وجود اتفاقيات دولية تنطوى على نصوص تنظيم إجراءات التفتيش والضبط المباشر الواقع عبر الحدود على الأنظمة المعلوماتية المتصلة فيما بينها، وأيضًا الأشكال الأخرى للمساعدة المتبادلة... مع كفالة الحماية فى الوقت نفسه لحقوق الأفراد والدول. وتُعَدُّ التعاملات المرتبطة بتقنية المعلومات كغيرها من مجالات الحياة واجبة الخضوع للأحكام المستمَدة من القانون الدولى والعرف، بما يكفل وضع الحقوق والتزامات الأطراف المختلفة والموقف من القضايا المختلفة وفضَّ النزاعات الناتجة عنها. وتُعَدُّ مسألة حماية البنية التحتية الكونية للمعلومات من ضمن أسس الأمن الدولى الجديد. ويتطلب ذلك: توافر قاعدة للتعاون الدولى المشترك، وتحديد ماهية تلك القطاعات الحيوية، مع توفير نظم حماية منتظمة لها، ودعم مواجهة الأخطار التى يمكن أن تتعرض لها على كل من المستوى التشريعى والسياسى والاجتماعى والاقتصادى، وأهمية دور الفضاء الإلكترونى فى عمل البنية التحتية وما يلزمه من تعزيز الاستخدام السلمى له.

وتحدى تفعيل دور مجلس الأمن ليمارس صلاحياته فى حل المنازعات بطرق سلمية وكذلك فى قمع العدوان وفقًا للفصل السابع من الميثاق. ويتطلب تفعيل دور الأمم المتحدة فى إحكام القبضة على الفوضى الحادثة داخل الفضاء الإلكترونى: إطارًا قانونيًّا يحكمه وينظم استخدامه، والعمل على دعم الأمن الجماعى الدولى، اتخاذ ما يُعرف بـ «التدابير المضادة».. وهى «تدابير سلمية غير مصحوبة باستعمال القوة العسكرية، تتمثل في: عدم امتثال دولة أو عدة دول لواحد أو أكثر من التزاماتها الدولية التى تتحملها فى مواجهة دولة أخرى، ردًّا على ارتكابها عملاً غير مشروع دوليًّا بهدف حملها على العودة للامتثال لالتزاماتها القانونية».

العلاقة بين الأسلحة والتقدم التكنولوجي

بذل المجتمع الدولى العديد من الجهود لحظر استخدام أسلحة الدمار الشامل والتقدُّم فى شأن المناطق الخالية من السلاح النووى. وكما كانت العلاقة حميمية بين الأسلحة والتقدم التكنولوجى، فإنها أفرزت ثورة فى الشئون العسكرية. وكان من ضمن ذلك: ظهور أسلحة الفضاء الإلكترونى التى أصبح لها أضرار، سواء من خلال تهديدها لأمن الفضاء الإلكترونى أو سعى الدول وغير الدول إلى تطويرها واستخدامها وانتشارها، بما يعيد إلى الأذهان الجهود الدولية لحظر أسلحة الدمار الشامل. وأصبح هناك إمكانية لتوظيف تلك الأسلحة التى تختلف عن الأسلحة التقليدية.

وأبرزت تهديدات تلك الاستخدامات على الطابع المدنى للفضاء الإلكترونى الحاجة إلى تضافر الجهود الدولية من أجل العمل على تعزيز الأمن والحماية لدور الفضاء الإلكترونى الإيجابى على السيادة الدولية. وكان من ضمن تلك الجهود: الدعوة إلى اتفاقية دولية للحدِّ من التسلح داخل الفضاء الإلكترونى مثل تلك الاتفاقيات التى تم إنجازها فى مجال الانتشار النووى والكيماوى والبيولوجي؛ حيث يمكن أن تسهم مثل تلك الاتفاقيات فى حال تطبيقها على الفضاء الإلكترونى والأسلحة التى يمكن أن تُستخدم من خلالها فى وضع قيود على استخدامها وتوزيعها وانتشارها وتطويرها.

ويمكن أن تخضع تلك الانتهاكات إلى القانون الجنائى الدولى ومحكمة العدل الدولية، ولكن ذلك يتطلب موافقة الدول. بيد أن عملية الدعوة إلى مثل تلك الاتفاقيات تواجَه بعدد من التحديات؛ حيث إن الدول قد ترفض الموافقة على أساس أن هذه القيود من شأنها أن تحدَّ من قدرتها على تطوير الأسلحة الهجومية، وفى الوقت نفسه تحدُّ من قدرتها على الدفاع فى حال التعرُّض لهجوم إلكترونى من دول أخرى أو فاعلين آخرين. كما أن ذلك الاتفاق يشمل فقط الدول، فى حين أن عملية استخدام أسلحة الفضاء الإلكترونى يمكن أن تأتى من أطراف من غير الدول كالمنظمات الإرهابية والإجرامية التى لا تخضع لمثل تلك القيود.

إن تلك القيود التى قد تفرضها الاتفاقية على الدول من شأنها أن تعظِّم من قدرة الفاعلين من غير الدول على استخدام تلك الأسلحة فى مقابل قدرات الدول. وهناك صعوبة فى وضع الدول

تحت الرقابة الفنية لقدرتها على تطوير أسلحة الفضاء الإلكترونى، وصعوبة فى معرفة مصادر الهجمات (إن وقعت) وتحديد المسئولية بشأنها.

ويمكن أن تتعرض دول إلى اعتداء أو هجوم صادر من أجهزة حكومية فى دولة أخرى، ولكن قد يحرك تلك الهجمات طرف ثالث يمكن أن يسيطر على تلك الأجهزة. وتتميز تلك الأسلحة بقدرتها الهائلة على الانتشار عبر الفضاء الإلكترونى، ومن ثمَّ فإن نموذج منع الانتشار الخاص بالأسلحة النووية قد لا يصلح نموذجًا للتعامل مع الأسلحة فى الفضاء الإلكتروني؛ ذلك لأن انتشار التكنولوجيا أصبح عالميًّا فى المجتمع الدولى.

الفصل بين الاستخدام المدنى والعسكري

ومن ناحية أخرى أصبحت هناك صعوبة فى الفصل بين الاستخدام المدنى والآخر العسكرى. وأن تحقيق الأمن الإلكترونى الجماعى الدولى يتطلب: أن يوجد إيمان وثقافة عالمية بأن السلام أمر غير قابل للانقسام أو التجزئة، مع ضرورة اتساع نطاق عضوية الدول فيه، وأن يكون ذلك النظام حياديًّا وموضوعيًّا، وأن توجد قوة عسكرية رادعة لردع المخالفين لذلك النظام. كما ينبغى أن يتركز على الناس وليس حول الدول بالضرورة. وهناك حاجة لوجود هوية إنسانية عالمية، مع احترام حرية الأفراد فى أن تكون لهم هويات وانتماءات متنوعة، وضرورة تشكيل تحالف عالمى لتعزيز السياسات المؤسسية التى تربط ما بين الأفراد والدول.

ولكى يتم خضوع الفضاء الإلكترونى للقانون الدولى فإنه يحتاج إلى تغيير تنظيمى قانونى وسياسى وأمنى وثقافى شامل. وأنه لكى يتمَّ التوصل إلى اتفاق دولى يجب أن يتمَّ إطلاق حوار دائم حول ما يُعَدُّ جريمة وإرهابًا وما يمكن أن يدخل ضمن الاستخدام السلمى وأن يتم التمييز بينهما. وهذا الحوار يمكن أن يتقدم على جبهتين: الأولى، طبيعة الهدف الذى

يمكن أن يدخل ضمن ضوابط وقواعد قانونية؛ وذلك لأنه يمثل أهمية ومعاناة لغير المحاربين كالهجوم على محطات الطاقة. أما الجبهة الثانية فهى طبيعة الأهداف التى تخرج عن الأطر القانونية والتى تصبح فى حاجة إلى الحماية؛ حيث تكون إصاباتها غير معروفة ولا يمكن التنبؤ بنتائجها ولكنها تتسبب فى حدوث معاناة.

نحو اتفاقية دولية للفضاء الإلكتروني

ومن ثمَّ فإنه لكى يتمَّ التوصل إلى نظام قانونى دولى يحكم ظاهرة الفضاء الإلكترونى يجب أن يتم تحديد: (1) ماهية وكيفية التغلب على العمليات العسكرية باستخدام هجمات الفضاء الإلكترونى، (2) أن تكون الاتفاقية قادرة على تحقيق التوازن بين مبدأين أساسيين هما: مبدأ الضرورة العسكرية، مبدأ احتمالية الوقوع، (3) التمييز بين الأهداف العسكرية والمدنية، (4) التصديق على هذه المعاهدة من المحكمة الجنائية الدولية.

حتى يتمَّ تفعيل القانون الدولى لكى يتلاءم مع تلك الظاهرة ويحكم حركة تفاعلاتها يجب أن يستند إلى: (1) وسائل المنع أو الوقاية التى تُستخدم فى تطبيق أحكام القانون الدولى لصالح الضحايا أو يتم تطبيقها تطبيقًا سليمًا، (2) وسائل للرقابة، وهى وسائل الإشراف المتواصل بما يتضمن الالتزام السليم عند تطبيق الأحكام التى تتكفل بمصلحة الضحايا، (3) العقوبات، وهى جزء لا يتجزأ من أى نظام قانونى سليم وذلك بسبب قيمتها الرادعة، (4) ضرورة البحث عن وسائل أخرى كالأبعاد الاقتصادية والأمنية والثقافية.

الحرب الزئبقية: سورية والعراق ودوامة الصراع

ويليام هاريس

أوضح المركز العربى الأمريكى للأبحاث والإعلام أن الصراع فى سـوريا بدأ عامه الثامن بدون أية نهاية محتملة تلوح فى الأفق. وأيًّا كان المسـمى الذى يُطلق على الأوضاع القائمة فى سوريا، سواء أكان تمردًا أم انتفاضة أم حربًا أهلية؛ فإن المأساة هناك لا تكمن فى كون تلك الأوضاع أسـفرت عن فقدان الآلاف من الأرواح، ونزوح ملايين السوريين فحسب؛ وإنما أسفرت أيضًا عن تغيير المشهد السياسى لمنطقة الشرق الأوسط بأكملها بصورة مستمرة.

وعلاوةً على ذلك، فإن المزيج المعقد من الجماعات القبلية والإثنية والقومية والدينية فى سوريا، ساهم فى صعوبة الأوضـاع وعدم القدرة علـى تحليلها وفهمها. ولتسليط الضوء على تلك الأزمة، صدر كتاب «الحرب الزئبقية: سـوريا والعراق ودوامة الصراع» لأستاذ العلوم السياسية فى جامعة أوتاجو بنيوزيلندا، المهتم بدراسـة تاريخ وسياسة دول المشـرق «ويليام هاريس»، ويقوم فيه بمناقشة الحرب فى سـوريا والعراق وشـبكة الولاءات والمصالح المتغيرة والتدخلات الإقليمية والدولية والتحولات السريعة التى تشـهدها، ولذلك سُمى الكتاب بـ«الحـرب الزئبقية». وتتمثل أهمية الكتاب فى أنه يُعد مقدمة مهمة للغايـة للمهتمين بفهـم أصول هذا الصراع ومساره وربما النتيجة النهائية المحتملة له.

بـدأ «هاريـس» كتابه بتسـليط الضوء على المراحل الأولى للحرب فى سـوريا فى الفترة (2011-2014)، ثم الحرب الأوسـع الممتدة من الحدود اللبنانية عبر سـوريا إلى بوابات بغداد والمناطق الشمالية للعراق خلال الفترة (2014 - 2017). وفـى ذلك، أشـار الكاتب إلى الحروب الدائرة فى سوريا والعراق منذ أعقـاب «الربيع العربي»، والتى أصبحـت فى نهايـة المطاف كارثة إقليمية لكونها متغيرة باستمرار، وتضم أطرافًا ومراحل مختلفة. وتطرق الكاتب إلى الديناميكيات المعقدة للغاية وراء الصراع، بـدءًا من الأنظمة البعثية الوحشـية فى بغداد ودمشق، وسيطرة البعثيين على الحكم لعقود فى سوريا والعراق تحت مسمى «الأمن والاستقرار» والأوتوقراطيـات القائمـة هناك على العشائر والأيديولوجيا المطلقة والأفكار القومية دون الاهتمام بتحسين مستوى معيشة شعوبهم، بالإضافة إلى العواقب الخبيثة للاحتلال الأمريكى غير الكفء للعراق، وسـوء إدارة نظام «بشـار» لسوريا.

وبشـكلٍ عام، ذكر الكاتب أن كلاً من سـوريا والعراق تمثـلان تحديًا دوليًّا منذ منتصف عام 2014، خاصة بعد أن اسـتولى تنظيم «داعش» على مركز منطقة الحرب فى العراق بسبب التنافس على المصالح الجيوسياسـية بيـن اللاعبين الإقليميـن والدوليين، والتمزق الطائفى بين السـنة والشيعة فى داخـل وخارج سـوريا والعراق، بالإضافة إلى تفشـى الجهاد السـنى الإسـلامى ضد العدو القريب والبعيد، والكارثة الإنسـانية القائمـة هناك. ولتسليط الضوء على الكارثة الإنسانية القائمة فى سـوريا، ذكـر الكاتب أن الحرب فى سوريا أسـفرت عن مقتل 350 ألف شخص فى الفترة من مارس 2011 وحتى أواخر عام 2016. ويمثل القتلى فى سوريا نسبة 2٪ من إجمالى عدد السـكان، وأغلبهم مـن الذكور البالغين. كما فـر من البلاد حوالى 5٥ ملايين سـورى حتى أواخر عام 2016 كلاجئين للخارج مـن أصل 22 مليون سورى فى عام 2011، ونزح داخليًّا ما يقرب من 6 ملايين سورى. بينما يزداد فى العراق عدد القتلى عن نظرائهم فى سوريا، وخاصة منذ سـيطرة تنظيم «داعش» على غرب العراق، ويتضاعف العدد منذ الغزو الأمريكى للبلاد وحتى رحيل القوات الأمريكية عام 2011.

وفى ظـل تنـاول الكاتب لحجم الخسائر البشـرية فى سوريا والعراق، فقـد أكد على أربـع ملاحظات مهمة: أولها: أن الرئيس السـورى «بشـار الأسد» يتحمل المسئولية الأساسية عن الأزمة فى سـوريا وتحويلها إلى حرب وتوفير البيئـة الخصبة لصعود الجهاد التكفيرى. وثانيها: أن القوى الخارجية وسّعت من الفوضى التى انجذبوا إليها لكنهم لم يقدموا حلاً للأزمة بسبب تباين مواقفهم، وثالثها: أن الثوار السوريين تضاءلت فرص سـيطرتهم على الأمور بسبب كثرة الخلافات وعدم التوافق فيما بينهم. وآخرها أن فرصة تصاعد الجهاد السنى كانت محتملة للغاية منذ سيطرة تنظيم «داعش» علـى أجزاء كبيرة فى العراق فى يونيو عام 2014.

واسـتعرض الكاتب، فى جزء من كتابه، تطور الأزمات المتشـابكة فى سوريا والعراق بعد يونيو عام 2014. وأشار إلى مسـارح الحرب فى سوريا

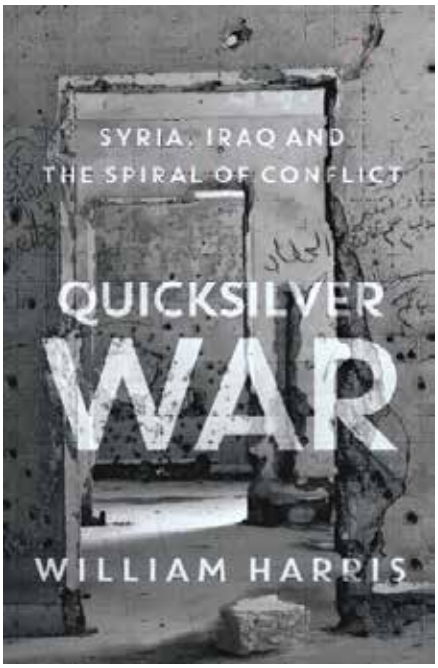

والعراق، ففى غرب سوريا يُواجه النظام السورى مجموعة متنوعة من قوى المعارضة، بينما فى شرق سوريا وغرب العراق يواجه تنظيم «داعش» الجميع. وبمقارنة الأوضاع فى العراق وسوريا، كما ذكر الكاتب، فقد دخل العراق منذ عام 2011 فى نظامٍ تعددى وتفشٍّ للطائفية بين العراقيين العرب. وبينما قضى نظام «صدام حسين» السنى على الانتفاضة الشيعية فى أوائل التسعينيات؛ فإن الولايات المتحدة عززت من وجود الأغلبية الشيعية فى السلطة منذ الاحتلال الأمريكى للعراق عام 2003، وعانت الطائفة السنية من الظلم الشديد، حيث كان النظام العراقى التعددى القائم آنذاك يعتمد على سياسات الهوية بصورة علنية. وفى المقابل، بدأت الانتفاضة فى سوريا عام 2011، وخرج المتظاهرون إلى الشوارع ضد نظام «بشار» المستبد، وأعلن الناشطون صراحة وجود طائفية عرقية. ومنذ ذلك الحين، لجأ الأسد إلى سياسات الهوية - بشكل كبير- لأنه رأى أن من مصلحته تشجيع الانشقاق الطائفى والعرقى بين خصومه والسكان بشكل عام.

وفى سياق آخر، تناول الكاتب التدخلات الخارجية المتزايدة فى سوريا والعراق بعد منتصف عام 2014، نظرًا لوقوع كلٍّ من سوريا والعراق بين أربع قوى إقليمية شديدة الحساسية، هي: إيران، والسعودية، وتركيا، وإسرائيل، وتهتم كل منها بمعرفة ما يدور وما يقوم به الآخرون فى تلك المنطقة. وعلى مستوى الدول الكبرى، قادت الولايات المتحدة تحالفًا فى صورة هجوم جوى ضد تنظيم «داعش» فى سوريا والعراق. كما تستمر روسيا فى دعمها لنظام الأسد لإجبار واشنطن وبقية الدول الغربية على الاعتراف بالنفوذ الروسى فى منطقة شرق المتوسط. ونظرًا للأوضاع المتردية التى تشهدها العراق، يساور الدول الغربية الكثير من المخاوف إزاء مستقبل الاحتياطى النفطى فى العراق باعتبارها تحتل المركز الخامس عالميًّا، إضافة إلى تدفق اللاجئين، وانتشار الإرهاب الجهادى.

وفى سياق الحديث عن دور القوى الإقليمية، أشار الكاتب إلى دور تركيا كلاعب إقليمى متاخمٍ لساحة المعركة، حيث يختلف وضعها عن الدول الأخرى كالولايات المتحدة وروسيا والمملكة العربية السعودية وإيران؛ فهى مضطرة للتعامل مع تدفق اللاجئين وأعمال العنف، كما تحاول التأثير على مسار الأحداث. وفيما يتعلق بالدور الإيرانى، هناك اتجاه سائد - على نطاق واسع- بأن طهران ترغب فى السيطرة على أرض تكون بمثابة جسر عبر سوريا والعراق إلى لبنان لتضم المجتمع الشيعى، وتصبح قوة إقليمية كبرى. ولتسليط الضوء على النفوذ الإيرانى فى سوريا، أشار الكاتب إلى أن إيران لديها نحو 50 ميليشيا محلية وأجنبية تضم ما يقرب من ستين ألف مقاتل، وفقًا لما ذكرته صحيفة «الشرق الأوسط» فى أغسطس عام 2017. وتلعب تلك الميليشيات دورًا حاسمًا فى بقاء نظام الأسد. كما أن الوجود الإيرانى فى بغداد من خلال قوات الحشد الشعبى الشيعية له رقم مماثل؛ وبالتالى فإن لديها نفوذًا قويًّا فى بغداد.

وفى سياق متصل، ذكر الكاتب أنه فى عام 2015 سرعت تركيا والسعودية من تسليم الأسلحة وغيرها من أشكال الدعم إلى الثوار فى غرب سوريا فى ظل قيام إيران باستقدام ميليشيات أجنبية لتدعيم النظام، فضلاً عن الهجوم الروسى المباشر ضد الثوار. وفى هذا الإطار، انتهى الكاتب بالمشهد السياسى المزدحم فى عام 2017 بالتعاون والتنافس بين تركيا وروسيا وإيران، ومحاولتهم السيطرة على مفاصل الأمور فى غرب سوريا فى ظل انهيار تنظيم «داعش» فى العراق وشرق سوريا. وتوقع الكاتب عدم مواجهة «بشار الأسد» للعدالة الدولية أبدًا، لذلك طلب من جميع الدول الديمقراطية مقاطعة نظام الأسد دبلوماسيًّا.

وفى النهاية، أوضح الكاتب أنه من السهولة تقديم اقتراحات لفترة ما بعد الحرب الدائرة فى سوريا، مشددًا على أنه لا بد من أن تشهد مرحلة جديدة بوجود نظام ديمقراطى وتعددى ومستقل، كما أنه لا بد من وجود محاسبة على جرائم الحرب. ويعتمد تحقيق ذلك على مدى التزام المجتمع الدولى، والتوافق بين روسيا والولايات المتحدة حول قرار مجلس الأمن رقم 2254 المتعلق بحل الأزمة السورية وإجراء انتخابات حرة نزيهة، كما ذكر الكاتب. وبالنسبة للعراق، ذكر الكاتب أنه ينبغى أن يشهد المزيد من الشفافية، والتقليل من التعددية الطائفية والتلاعب الأجنبى. كما ينبغى أن يحصل الأكراد على مكان خاص بهم، حيث يرى الكثير من الأكراد السوريين والعراقيين أن الحرب فرصة للاندماج معًا فى إقليم واحد. مما يعنى أن حكومة إقليم كردستان التعددية القائمة تدخل فى مفاوضات لتصبح كيانًا ذا سيادة فى شراكة كونفدرالية مع العراق.

السواحل المحترقة: من قلب المعركة من أجل ليبيا الجديدة

فريدريك ويـرى

حرر مقتل الزعيم الليبى الســـابق «معمر القذافـــي» ليبيا من حكم دام لمدة اثنين وأربعين عامًا، ما عزز الآمال حينها، وفقاً لعرض المركز العربى الأمريكى للأبحاث والإعلام للكتاب، فى حقبة جديدة من الاستقرار والازدهار فى هذا البلد.

لكن هذه الآمال مـــا فتئت أن تبددت عندما انجرفـــت ليبيا إلى حرب أهلية ضاريـــة، تلك الحرب التى مهدت الطريق لظهور تنظيم «داعش» هناك، والتى دفعت سكان البلد إلى النزوح إلى بلدان أخرى، ما أثار أزمة هجـــرة كارثية. ففى كتاب بعنوان: «السواحل المحترقة: من قلب المعركة مـــن أجل ليبيا الجديدة»، شرح الباحث الأمريكى «فريدريك ويري» الأخطاء الدولية والأمريكيـــة التى ارتُكبت فى ليبيا بعد سقوط «القذافي» والتى عجّلت بتفكك الدولة. وسَرَدَ قصصًا مؤثرة عن أُناس تبدلت حياتهم بســـبب انهيار الدولة الليبية، مســـتندًا فى ذلك إلى تقارير ومصادر صحفية موثوق فيهـــا، وإلى عدة مقابلات شـــخصية أجراها مع نشـــطاء وجنرالات ليبيين.

وتجدر الإشارة إلى أن «ويري» زميـــل أول فى برنامج الشـــرق الأوســـط فى مؤسســـة كارنيجى للســـلام الدولي، حيـــث تنصب اهتماماتـــه علـــى شـــئون الأمن والسياســـة فى الخليج وشـــئون ليبيا وسياســـة الولايات المتحدة تجاه الشـــرق الأوســـط. وشغل منصب محلل سياســـات أول فى مؤسسة «راند» الأمريكية، وحصل على درجـــة الدكتوراه من جامعة أوكســـفورد. ويعتبر «ويري» من الأمريكيين القلائـــل الذين لديهم وعـــى كبير بالواقـــع الليبي، وقد سبق وأدلى بشهادته أمام مجلس الشـــيوخ الأمريكـــى بخصوص ليبيا. ويتســـم كتابه بالموضوعية والحيادية فى نقل التاريخ الليبي، فلم يصف الزعيـــم الليبى الراحل بأنه كان طاغيـــة وراعيًا للإرهاب ومناصـــرًا للشـــيوعية كما يزعم بعض الكُتاب والباحثين. بل أشار فى أجزاء كبيرة من مؤلفه إلى أن «القذافي» نجـــح فى القضاء على الأمية فى ليبيا بنسبة 82%، ووفر رعاية صحية مجانية، وألغى تعدد الزوجـــات وزواج الأطفال. وفى عـــام 1998، كانت ليبيا أول دولة تطلب من الإنتربول ملاحقة زعيم تنظيم «القاعدة» «أسامة بن لادن»، حسبما ورد فى الكتاب.

وكان «ويري» قد ســـافر إلى ذلك البلد المتداعى عدة مرات فى السنوات القليلة المنصرمة، إذ زار مدينة بنغازي، التى وصفها بأنها مهد الثورة الليبية، ومدينة سرت، حيـــث مســـقط رأس «القذافي» ومعقل تنظيم الدولة الإســـلامية. وهنـــاك التقـــى مع جنـــرالات متقاعدين، ومع بعض الثوار الذين تحولوا إما إلى رؤســـاء ميليشيات أو إلى مجنديـــن جهاديين. ويعد هذا الكتاب مـــن أفضل المؤلفات الأجنبية التى تستعرض بالتفصيل ما حـــدث فى ليبيا فى الســـنوات السبع الأخيرة، حيث يسرد المؤلف بمنهجيـــة بحثية أحـــداث العنف والفوضى بعد النظام الجماهيري، وشـــدد على أن كثيرين ينجذبون إلى النزاعات البسيطة، ويتجاهلون الصراعات المعقـــدة مثل الصراع الليبـــى لأنـــه يوجد بـــه لاعبون كثيرون. وقـــال «ويري»: «يحاول هذا الكتاب الكشـــف عن العثرات التى تسببت فى انشقاق ليبيا، وعن نقاط التحول التـــى مر بها البلد، والتى أعتقـــد أنها لم تكن متوقعة بعد وفاة ديكتاتورها. وفى مجمل الأمر، أردت بمؤلفى هذا أن أوضح لكم أســـباب انقـــلاب الثوار على بعضهم بعضًا».

وقد تتبع الكتاب، المؤلف من 352 صفحة، الأحداث الليبية منذ وفاة العقيد «القذافي» والســـفير الأمريكى «كريســـتوفر ستيفنز» وحتى يومنا هذا، كاشـــفًا النقاب عن الكثير من التفاصيل المحيرة، وذلك فى محاولة جريئة من نوعها لفهم الصـــراع الليبى المعقد. هذا وكشـــف «ويري» النقاب عن عدد

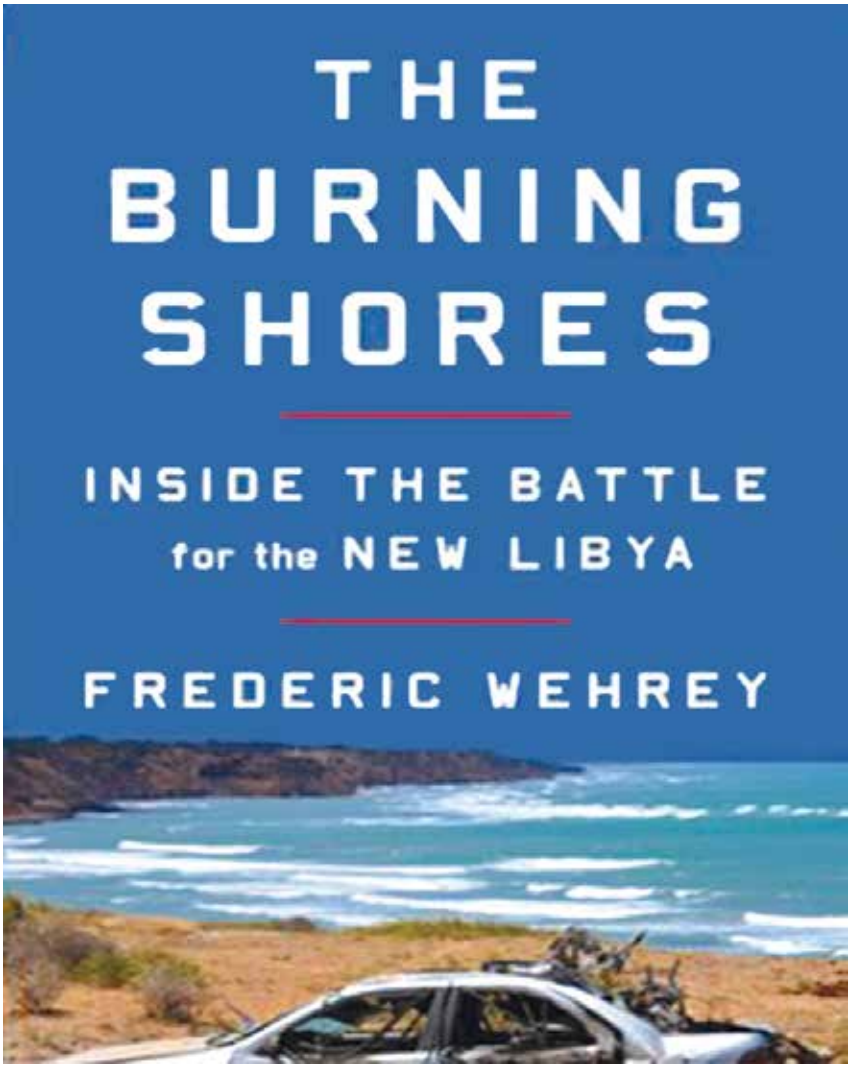

من الوقائع التى لم يتم الإفصاح عنها رسميًّا من قبل، ناقلاً عن الرئيس الأمريكى السابق «باراك أوباما» وصفه تصاعد أعمال العنف فى ليبيا بالعرض المقرف حسب تعبيره. ووفقًا للباحث، وصف «أوباما» فى أبريل 2016 التدخل الأمريكى فى ليبيا بأنه «أسوأ خطأ» ارتكبه إبان رئاسته، إذ عجزت إدارته عن التخطيط لما بعد التدخل العسكرى هناك. وأوضح الكتاب أن تاريخ الولايات المتحدة ومصيرها مرتبط بليبيا أكثر مما يدركه الكثيرون، وذلك لأن ليبيا كانت فى يوم من الأيام موطنًا لأكبر قاعدة عسكرية أمريكية فى الخارج. ويُذكر أن أول تدخل أمريكى فى الخارج كان فى عام 1805، حينما احتلت قوات مشاة البحرية الأمريكية مدينة درنة الليبية فى حربها ضد والى طرابلس يوسف باشا القرة مانلي، فيما عُرف باسم «حرب طرابلس». وبعد مرور 200 عام على تدخل قواتها البحرية فى ليبيا، كررت واشنطن خطأها هناك، وقامت بالشيء ذاته مع النظام الجماهيري، حسبما أشار المؤلِّف. ولفت «ويري» إلى أن «كريستوفر ستيفنز»، السفير الأمريكى فى ليبيا، هو ثامن سفير أمريكى يموت أثناء أداء مهامه الدبلوماسية، وسادس دبلوماسى أمريكى يموت على خلفية عمل إرهابى. ويُذكر أن «ستيفنز» قُتل فى عام 2012 أثناء تواجده فى مبنى القنصلية الأمريكية فى بنغازى على يد مسلحين غاضبين من إنتاج فيلم أمريكى مسيء لنبى الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم).

وأردف الباحث قائلاً، إن ذلك الهجوم لم يكن الأول من نوعه، فقد سبق وتعرضت القنصلية الأمريكية فى طرابلس لأعمال عنف فى عام 1967، وتزامن ذلك مع العدوان الثلاثى على مصر. إلا أن الفارق الوحيد بين الواقعتين هو أن السفير الأمريكى بليبيا لم يُقتل فى واقعة طرابلس الأولى. ووفقًا لما ورد فى الكتاب، سعت الميليشيات الليبية منذ سقوط «القذافي» لاحتواء التطرف، نظرًا لعدم وجود حكومة ليبية فعالة، ولعدم وجود أجهزة أمنية تتولى تلك المهمة. وعليه قدّم رؤساء هذه الميليشيات أنفسهم إلى القوى الخارجية كشركاء فى مكافحة الإرهاب، تمامًا كما يكافحون الهجرة إلى أوروبا. ولا شك فى أن الكتاب يثرى القارئ بمعلومات تاريخية قيّمة، ويوفر تحليلاً عميقًا للأزمة الليبية، وهذا متوقع من رجل يعمل فى مركز أبحاث. بيد أن ضعف الكتاب يكمن فى توفيره القليل من الحلول للأزمة التى تمر بها ليبيا، فجُل ما اقترحه لليبيا هو «عقد جديد يرسم ملامحه الليبيون أنفسهم»، أى أن الشعب الليبى هو من يجب أن يحدد مصيره بنفسه، وأن يجد الحل المناسب لأزمته بدون أى تدخل من الغرب فى ذلك. وأوصى - فى الوقت ذاته- الولايات المتحدة بتعيين سفير أمريكى جديد لليبيا، وبوضع المزيد من القوة الدبلوماسية وراء هذا البلد.

تقديم نادية الريس
رئيسة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

أنشطة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

جولة فى شارع المعز التاريخى

قامت رابطة زوجات الدبلوماسيين بجولة فى شارع المعز, ومع الجو المشمس الدافئ استمتعت العضوات بالجولة التى بدأت بسكة الباردستان, وهو الطريق الذى يوجد به المحال التجارية حالياً, ثم مسجد السلطان الناصر قلاوون الذى يضم مدرسة وقبة ويتميز بالباب الرخامى الذى يعتبر من الطراز القوطى, وأمامه سبيل عبارة عن فتحات ليقدموا من خلالها الماء لعامة الشعب وأيضاً مجرى من خارج المبنى لكى يشرب منه الطيور والحيوانات. وكان يتميز بالشكل النصف دائرى من الخارج. ثم جاء متحف النسيج الذى يحتوى عدة طوابق يحكى تاريخ النسيج فى مصر من أيام الفراعنة حتى عصر محمد على.

أما حمام إينال فيضم عدة غرف وممرات ضيقة للحفاظ على الخصوصية.

- جامع الأقمر: وسمى بهذا الاسم نظراً للون حجارته البيضاء التى تشبه لون القمر.

معرض الرسم السنوى لفنانات الرابطة

ثم كان معرض الرسم السنوى لفنانات الرابطة والذى امتد لمدة أسبوعين والذى أقامته الرابطة بالاشتراك مع قطاع العلاقات الثقافية بوزارة الثقافة.

اللقاء الشهرى: الاهتمام بصحة الانسان

وتلاه اللقاء الشهرى للرابطة والذى استضفنا فيه الأستاذة الدكتورة وفاء محيلبـــه، دكتوراة صحة عامة وتغذية علاجية، مؤسس ورئيس الجمعية الطبية لأبحاث وعلاج السمنة.

كانت محاضرة شـــديدة الأهمية نالـــت اهتمام عضواتنا الحاضرات «نمط حياة مناسب لوزن صحى.»

وتم على هامش المحاضرة توزيع اختبار سلوكى ونفسى لكل الحاضرات وتقييمه بالإضافة لإجراء كشف طبى مجانى باستخدام الأجهزة لقياس نســـبة الدهون والفضلات والكتلة الحيوية ومعدل الحرق ومن ثم حساب عدد السعرات اللازمة لكل فردعلى حدة.

الغذاء الشهرى: د . مصطفى الفقى

كان مسك الختام لموســـمنا هذا العام هو الغذاء الشهرى بنادى التحرير لقاؤنا بضيفنا الكبير المفكر د. مصطفى الفقى. الذى أضاف للقاء بعداً مختلفاً ورونقاً وحماساً ونقاشاً واسعاً بينه وبين العضوات والضيوف الحضور.

حاضرنـــا الدكتـــور الفقى عن (مســـتقبل الدور المصرى فى المنطقة)، وأجاب عن كثير من الأســـئلة والمداخـــلات, وأضاف للقاء حضـــور الدكتورة نادية مكرم عبيد وزيرة البيئة الســـابقة والتى أثرت الحديث واللقاء عن البيئـــة وعن كونها عضو مجلس أمنـــاء مكتبة الإســـكندرية.

شرفت اللقاء بالحضور السفيرة منى عمر رئيس مجلس إدارة نادى التحرير بالإنابة وعضو المجلس القومى للمرأة, والسفيرة وفاء الحديدى.

كل عام وأنتم جميعاً بخير وسعادة وصحة ومصر كلها بألف خير بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك.

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية (5)

شبه المؤرخ البريطانى أرنولد جوزيف توينبى (1889-1975) فى موسوعته الشهيرة «دراسة للتاريخ» التاريخ الإنسانى بالعجلة التى تدور دائماً وتكون معها الأمم والحضارات مرة فى القاع ومرة فى القمة، فعجلة التاريخ لا يستقر معها حال أى أمة أو حضارة وقد تنبت عوامل الانهيار فى أوج عصر القوة والتقدم، وقد شهد تاريخ البشرية قديماً وحديثاً أمثلة كثيرة على صدق هذه النظرية وهذا التشبيه.

كان هذا استهلالاً لابد منه ليكون مكملاً لعنوان هذا المقال ولما شهدته مصر من أحداث تاريخية وحضارية إبان عصر الأسرة الرابعة وليتضح منه كيف يمكن للأمة أن تصل لدرجة عظيمة من التقدم على كافة الأصعدة فى حقبة معينة من الزمن، وكيف يمكن أن تتجمع شيئاً فشيئاً فى نفس الفترة العوامل التى تسبب انحداراً تدريجياً ومن ثم انهياراً كاملاً. وهذا ما حدث خلال عصر الأسرة التى نحن بصددها والتى وصلت البلاد خلالها إلى درجة حضارية متقدمة وفى نفس الوقت بدأت عوالم الانحدار فى الظهور وهو ما أدى فى النهاية إلى سقوط للحكومة المركزية لما أسميناه «الدولة القديمة» وبداية عصر «الانتقال الأول» أو «عصر الاضمحلال الأول».

وصلنا فيما سبق إلى الملك حونى الذى يعرفه بعض علماء المصريات باسم «حو» وفقاً لبردية تورين، والذى حكم لمدة تصل إلى حوالى 24 عاماً تزوج خلالها من أميرة تدعى «مرسى عنخ» الأولى. ونواصل الآن رحلتنا عبر الزمن للتعرف على تاريخ وحضارة أجدادنا القدماء ولكى نستقى منها الدروس المستفادة، حيث أن قراءتنا للتاريخ يجب أن تكون بهدف التعلم منه حتى لا نقع فى نفس الأخطاء التى وقع فيها هؤلاء الأجداد. ونبدأ موضوعنا بالتعرف على أسماء ملوك الأسرة الرابعة:

الملك سنفرو 2575 - 2551ق.م
الملك خوفو 2551 – 2528ق.م
الملك جدف-رع 2528 - 2520ق.م
الملك خفرع 2520 – 2494 ق.م
الملك با اف رع 2494 –2490

أ.د. محمد إبراهيم على
وزير الآثار الأسبق
moibrahim53@gmail.com

ق.م
الملك منكاورع 2490 – 2472
ق.م
الملك شبسس كاف 2472 – 2467
ق.م

سنفرو

يعتبر هذا الاسم اختصاراً لـ «بتاح سنفر- وي» وهى الصيغة الكاملة لاسم هذا الملك بمعنى «الإله بتاح جملني». حكم سنفرو، طبقاً لتقدير العالم الألمانى راينر شتادلمان حوالى 48 سنة وهى مدة متناسبة مع المدة اللازمة لبناء المجموعات الجنائزية الثلاث التى قام بها. وكان انتقال الحكم انتقالاً سلمياً هادئاً حيث استمر كبار موظفى حونى فى أماكنهم بدون تغيير. كما تميز عهده بالتوسع فى التجارة الخارجية، وإرسال الحملات التأديبية إلى الحدود الشرقية والجنوبية وكذا الغربية، إلى جانب من حملات التعدين. وتوصل مهندسه ومستشاره إيمحتب بعد عدة محاولات فى ميدوم ودهشور إلى الشكل الكامل للهرم.

تزوج سنفرو من الأميرة «حتب حرس»، التى يعتقد أنها كانت أخته غير الشقيقة وابنة للفرعون حونى. وبهذا يصبح الأخير أباه وحماه. وحسب تلك الافتراضية أن حونى أنجب «حتب حرس» من زوجة ملكية، بينما أنجب سنفرو من زوجة ثانوية وهى «حتب- حرس الأولى. ولذلك فكان زواج سنفرو من أخته غير الشقيقة هو لاكتساب شرعية الحكم.

نعرف الكثير عن أخبار سنفرو من خلال حجر بالرمو منها أنه أقام عدداً كبيراً من القصور والمعابد. وأنه جمع بين القوة والرحمة، فحكم وقاد بلاده وشعبه إلى حياة أفضل يظللها الأمن والسلام كما انتعش فى عهده الاقتصاد بفضل تشجيعه لإقامة علاقات تجارية مع فينيقيا وأحسن فى استخدام موارد بلاده.

ومن دراسة نقوش معبد الوادى الذى كشف عنه أحمد فخرى فى أوائل الخمسينيات من القرن الماضى فى منطقة دهشور كذلك النقوش البارزة والرسومات بالألوان التى على المقابر التى شيدت فى عصره سواء فى منطقة دهشور أو فى ميدوم نجد أن الفنان المصرى قد بلغ أوج عظمته ربما أكثر من فنانى العصور التالية إلا فى حالات قليلة.

أرسل سنفرو أسطولاً بحرياً مكوناً من أربعين سفينة لإحضار أخشاب الأرز، من ميناء جبيل بلبنان- حسب ما جاء فى حجر بالرمو- وهى الأخشاب التى استعملت وصنعت منها الأبواب وبعض الأجزاء الداخلية من أهرامات الملك ومازالت تلك الأخشاب فى حالة جيدة حتى الآن ومازالت صامدة أمام عوامل الزمن رغم مضى أكثر من أربعة آلاف وستمائة سنة.

هرم ميدوم

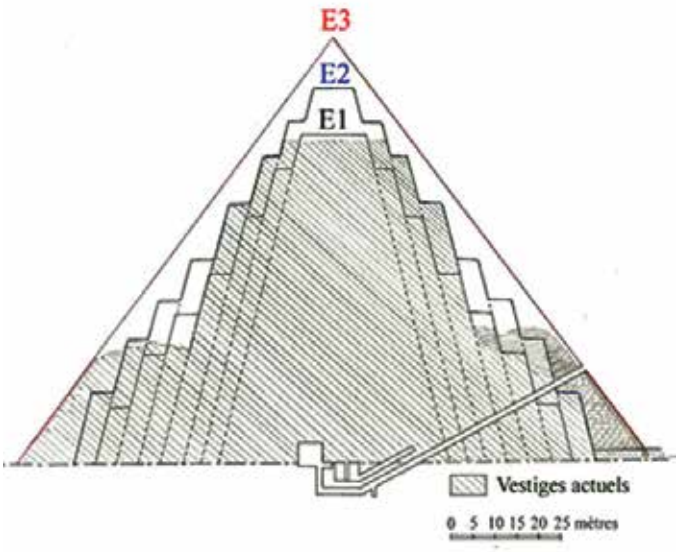

بالنسبة لاهتمام سنفرو بتأمين الحدود الجنوبية، فقام بحملة إلى بلاد النوبة ليعيد الأمن والطمأنينة. وورد ذكر هذه الحملة على الوجه الثانى من حجر بالرمو، ويتضح من خلال الأرقام مدى المقاومة التى واجهها الملك سنفرو هناك. وقد عاد جيشه بـ 7 آلاف من الأسرى و200 ألف رأس من الثيران والأغنام، وقد أطلق الملك سنفرو اسم «نحسيو» على كل القبائل التى تسكن جنوبى الحدود المصرية. كما قام بإرسال حملات تأديبية لبدو سيناء الذين كانوا يغيرون على مناجم الفيروز والنحاس وقوافل التجار. وقد عثر على نقش له على صخور جبل مغارة يمثله وهو يؤدب الأسرى، وبذلك أصبحت أعمال الملك سنفرو مثلاً يحتذى به الملوك من بعده حيث ذكر فى أحد النصوص التى كتبت هناك بعد وفاته بما يقرب من ألف سنة تفاخر أحد الملوك بأعماله فى تلك المناطق ويؤكد للأجيال التالية بأنه لم يقم أحد من الملوك الذين حكموا مصر بمثل ما قام به الملك سنفرو كما استحق أن يمجد كإله حام للمنطقة إلى جانب المعبودين الحاميين لها وهما حاتحور وسوبد. أما فيما يخص الحدود الغربية فقد أرسل سنفرو حملة إلى ليبيا وأتى منها بـ 11 ألف أسير و13 ألف رأس من الثيران والأغنام.

أما عن النهضة الإدارية فى عهد سنفرو فقد استحدثت الكثير من الوظائف، وليس هناك دليل أقوى من وجود ممثلات للأقاليم المصرية المنقوشة على جدران معبد الوادى بدهشور، والذى يعتبر أقدم تسجيل للأقاليم المصرية.

سرعان ما أتت عوامل الاستقرار الإدارى والثروات إلى جانب تأمين حدود البلاد بثمارها وبدأت نهضة حضارية كبرى وازداد نمو التبادل التجارى بين مصر وجيرانها ومع حالة السلم التى شهدتها مصر فى عصره ظهرت آثار التقدم الحضارى والابتكار فى الحياة الاجتماعية للشعب بوجه عام خاصة فى الفنون وشهد فن البناء والعمارة قمة هذا التقدم. وهو ما تمثل فى قيامه بتشييد ثلاث مجموعات جنائزية على الأقل اثنتان فى دهشور والثالثة فى ميدوم.

أعمال سنفرو البنائية والانتقال إلى الهرم الكامل

ساد النمط السابق من أنماط المقابر الملكية، والذى صممه المهندس «إيمحتب» على هيئة الهرم المدرج فى عصور خلفاء «زوسر» من بعده وحتى نهاية الأسرة الثالثة. ثم مع بداية الأسرة الرابعة حدث التطور التالى للوصول إلى شكل الهرم الكامل والذى نُفذ فى ميدوم، التى تقع على بعد 90 كيلو متراً جنوب مدينة القاهرة. ونظراً لخلو اللوحة التذكارية الموجودة فى مقصورة القرابين شرق الهرم، من أى كتابات أو نقوش، كما خلت غرفة الدفن أيضاً من أى تابوت من التوابيت فقد اختلفت الآراء حول صاحب هرم ميدوم فهناك من نسب هذا الأثر إلى الملك «حوني»، آخر ملوك الأسرة الثالثة، نظراً لعدم وجود أى هرم آخر معلوم لدينا يمكن نسبته إلى الملك «حوني».

ورأى البعض الآخر من العلماء أن هذا الهرم يُنسب إلى ابنه «سنفرو»، أول ملوك الأسرة الرابعة، ووالد الملك خوفو، وقد تم إثبات ذلك بعدد من رسومات رسمها زائرون من الأسرة الثامنة عشرة، على ممر وحجرة المعبد الجنائزى الصغير. كما تذكر رسومات أخرى - ترجع للأسرة السادسة- اسم الملك سنفرو. وحاول بعض العلماء إيجاد حل وسط بافتراض أن «حوني» بدأ عمليات الإنشاء، وأكمله ابنه لصالح أبيه «حوني». أما الرأى الغالب الآن فيخصص هرم ميدوم «لسنفرو»، فى ضوء المعلومات التى تمدنا بها الرسومات، والتى تُعد إثباتاً كافياً فى حد ذاتها وهذا ما سوف نتناوله فيما بعد تفصيلاً.

وفى الحقيقة فإن هرم ميدوم يتشابه مع هرم زوسر من حيث شكله الحالى كهرم مدرج، بيد أنه من الصعب تحديد شكل البناء الأصلى بطريقة قطعية لا التباس فيها، حيث اختفى الآن الجزء الأكبر منه ولم يتبق إلا جزء فوق سطح الأرض، وهو ربما ما كان ضمن نواة القلب. وتحمل بعض كتل الحجارة المُرممة رسومات رسمها

السقف الجملونى لحجرة الدفن فى هرم ميدوم

الاسرة الرابعة: الوصول للقمة

عمـــال المحاجر، تبيـــن أهرامات ذات مصطبتين، وثـــلاث، وأربع مصاطب، ومن المحتمل أن تلك الرسومات توضح التعديـــلات المتتالية التـــى تمت على التصميم الأصلى.

وفى غالب الأمر فإن المهندس أقام بناءً عالياً فيما يشـــبه البرج ثم تمت - مقابل الأضـــلاع الأربعة للهرم- إضافة ست طبقات من الكساء السميك لتكسو البناء، الذى يســـتدق طرفه كلما ارتفع البناء لأعلى، بدايـــة من المركز، وكانت طبقات الكساء من حجر جيرى محلى مُســـتخرج من طُرة، يكسو الهرم من قمته إلـــى قاعدته وفـــى النهاية زِيدَ الجزء الظاهر فـــوق الأرض إلى ثمانى مصاطـــب، وبلغ الارتفـــاع حوالى 85 متراً، ويصل الارتفاع الحالى للهرم إلى نحو 65 متـــراً، ويتضمن الجزء الحالى الظاهر فـــوق الأرض، من الهرم، أجزاء من المصطبتين الثالثـــة والرابعة، من مصاطب الهرم الســـبعة، والمصطبتين الخامســـة والسادســـة الكاملتين من الهرم ذى الثمانى مصاطب، ويؤخذ فى الاعتبار أن أجزاء من النصف الســـفلى للشكل النهائى لاتزال كما هى لم تُطرق بعد، بيد أن الرمـــال المتراكمة تغطيها بالكامل تقريباً.

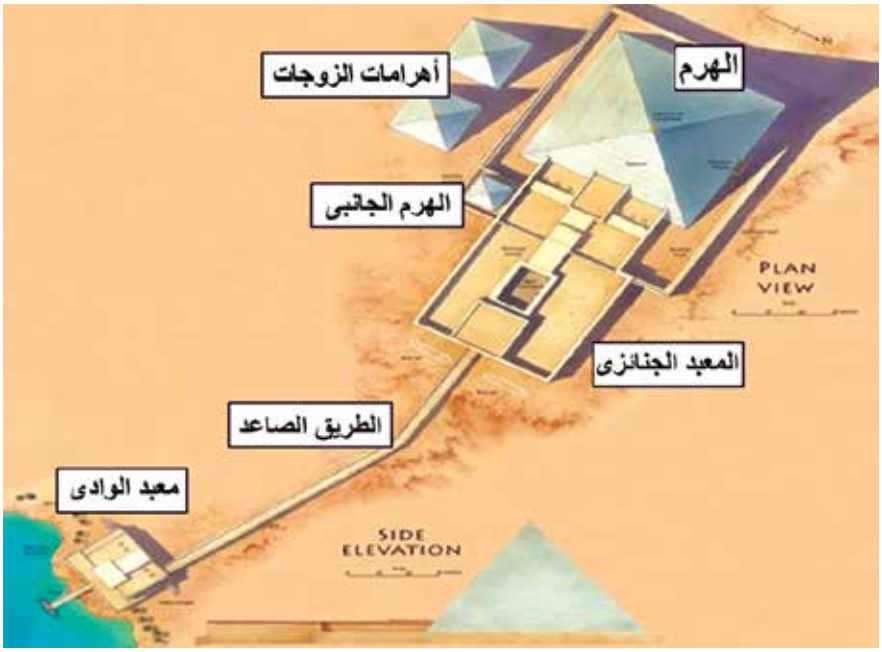

المجموعة الهرمية وملحقاتها

منظر أوز ميدوم الشهير بالمتحف المصرى

لم يقتصر التطـــور المعمارى فى هرم ميدوم على طريقة البناء ومحاولة الوصول إلى الهرم الكامل ذى الأضلاع المســـتوية بل امتد هـــذا التطور إلى الفراغات الداخلية (الممرات والحجرات) للهرم حيث استخدمت لأول مرة طريقة جديدة لتقليل عرض الأسقف الخاصة بالحجرات عـــن عرض الأرضيات وذلك لتقليـــل الخط الواقع من حجم جســـم الهـــرم على هذه الأســـقف. وتم تنفيذ ذلك عـــن طريق إبـــراز كل طبقة من أحجار الجوانب مسافة تصل إلى عشرة سنتيمترات عن الطبقة التى تقع أسفل منها ، إلى أن يتقابل الجداران تقريباً.

تواكبت محاولة الوصول إلى فكرة الهرم الكامل فى منطقة ميدوم مع بداية اســـتقرار شـــكل المجموعة الجنائزية للملك على عدد مـــن الأبنية التى يتصل بعضها ببعض والتى ســـوف تستمر كتكوين أساســـى للمجموعة الجنائزية وحتى نهايـــة عصر الدولـــة القديمة وربمـــا بعد ذلك. ولهـــذا يمكننا القول بأن مجموعة هـــرم ميدوم هى أول أثر تتوفر فيه كل عناصر المجموعة الهرمية الملكية ذات المعايير القياســـية للدولة القديمة، التى تتضمـــن: معبد الوادى وطريقاً صاعداً ومعبداً جنائزياً وهرماً، ثم فى النهاية هرماً جانبياً.

• معبد الوادى ويسمى أيضا «المعبد السفلى» أو «معبد الاســـتقبال» وكان يبنى على حافة الأرض الزراعية فى أبعد مكان يمكن أن تصل إليه مياه الفيضان وأحيانـــاً كانت هناك بحيـــرة صناعية تتصل بنهر النيل عن طريق قناة حُفرت لتُمَكِّن موكب المراكـــب الجنائزى من الوصـــول إلى مجموعـــة المبانى دون الحاجة لرحلة برية طويلة، وقد استهدف بنـــاء معبد الـــوادى أن يصبح موضعاً لإجراء بعض الطقوس الرمزية، ســـواء كانت على المومياء أو على تمثال الملك، إضافة إلـــى تلك الاحتفالات - وهى على وجه التحديد: «التطهر»، و«التحنيط»، «وفتح الفم» - واعتُبر هذا المعبد بمثابة منطقة اســـتقبال، حيث اعتاد الأحياء من البشـــر أن يتوافدوا أثناء الاحتفالات الدينية لتقديم القرابين الجنائزية لروح «الكا» المتوفى.

• الطريق الصاعد يعتبر هذا الطريق

المعبد الجنائزى البسيط لهرم ميدوم

الضلع الشرقى لهرم ميدوم ونرى به بقايا المعبد الجنائزى

تمثالا رع حتب وزوجته نفرت
(المتحف المصرى)

الذى كان يمتد من معبد الوادى وحتى المعبد الجنائـــزى أعلى الهضبة المقام عليها الهرم وكان يحيط به جداران وله ســـقف به فتحة فى المنتصف للإنارة ويصل هذا الطريق فى نهايته العليا إلى المعبد الجنائزى.

• المعبد الجنائزى ويســـمى أيضاً «المعبد العلوى» أو «معبد الشـــعائر» ويقـــع أعلى الهضبة وكانـــت تقام به الشعائر الجنائزية بواسطة الكهنة.

• الهرم وهـــو المقبرة الملكية التى يوضع بها التابوت الخاص بالملك لكى يحتضن المومياء بعد الوفاة وكان يغلق تماماً بعد عملية الدفن.

• الهرم الجنائزى وكان يعد بمثابة مقبرة رمزية للملك كحاكم للوجه القبلى ولهذا كان يبنى فـــى الجهة الجنوبية للهرم الأصلى وقد ينحـــرف قليلاً إلى الشرق أو الغرب حسب طبيعة المكان.

من الصعوبة بمكان أن نترك منطقة ميدوم دون ذكر بعض من الآثار الأخرى الموجودة فى المنطقة وكشف بها عن قطع فنية مازالـــت تمثل علامات بارزة فى الفن المصـــرى القديم، فقد أحاط بالهرم من جهتى الشمال والغرب مقابر تنتشـــر فى صفوف منتظمـــة، ترجع ملكيتها لأفراد العائلة المالكة، أما الجزء الظاهـــر فوق الأرض مـــن المصاطب الصغيـــرة للجبانة الغربية، فقد اختفت منذ أمد بعيد.

نجـــد أن بقايـــا عـــدد كبير من المصاطب المبنية مـــن الطوب اللبن، والواقعة فى الجبانة الشـــمالية مازالت مرئية للعيان. ويوجد على بعد كيلو متر واحد من شمال الهرم، صفان متوازيان تقريباً، من المصاطب المبنية بالطوب اللبـــن. ويوجد فى الطرف الجنوبى من الصـــف الغربى مصطبـــة ضخمة من الطين اللبن، لابن سنفرو، المُسمى نفر ماعت، وزوجته عتيت، أما مناظر صيد الأســـماك والطيور التى يملؤها الملاط الملون، والتى تم ترميمها من مقصورة نفـــر ماعت، فتوجـــد الآن فى المتحف المصرى بالقاهـــرة. كما يُعرض أيضاً، بالمتحف المصـــرى بالقاهرة، المنظر الشـــهير «اوز ميـــدوم»، ضمن مناظر الملاط الملون لمقصـــورة نفر ماعت، الأصغر من مقصورة زوجها.

يقع بالقرب مـــن منتصف الصف الشـــرقى للمصاطـــب، مصطبة الأمير رع- حوتب، وزوجه «نُفـــرت»- ربما كان الأمير ابن «سنفرو» ونُفرت زوجة ابنه- وتمثالاهما المصنوعان من الحجر الجيرى الملون، وهما من أعظم مقتنيات المتحف المصرى.

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (3)

سفير محمد عهدى خيرت
makhairat@gmail.com

الفلـــــــك

كان رصـــد النجـــوم منذ عصور مصر الأولى من الوظائف الكبرى التى يتولاها الوزيـــر وكبير الكهان فى عين شمس التى اتخذت اسمها أولا من برج المرصد، فكان أن عـــرف المصريون كثيراً من النجوم وخصائصها ورسموا الخرائط وعينوا مواقع النجوم من برج السماء حيث نجد مناظر لها فى سقف المعابـــد والمقابر وأغطيـــة التوابيت، وميزوا النجوم القطبية وســـموها التى لا تفنى وقدروا أن روح الميت تسكنها ورصدوا منها الدب الأكبر وأطلقوا عليه اســـم رجل الثور والزهرة التى سموها نجمة الصباح أو نجم السماء والمشترى ووصفوه بالبراق وزحل وسموه حورس الأحمـــر. ومما تجدر الإشـــارة إليه أن المصريين فى هذه الفترة رصدوا الغواء وسموه التمساح وفرس النهر، وصوروا أنجم الدجاجة أو صليب الشمال رجلاً منبســـط الذراعين، ونجم الجبار رجلاً يجرى ملتفاً، ونجمة ذات الكرسى رجلاً يمد ذراعيه، كمـــا رصدوا التنين وربما الثريا.

على أن المصريين لم يعرفوا الأبراج إلا فى نهاية العصـــر البطلمى ولكنهم كانوا يعتمدون فى تقســـيم السنة على الديكانات، وهى مجموعة من النجوم أو نجم واضح يبزغ فى ســـاعة معينة من ساعات الليل على تفاوت فترات 36 كل فترة من عشـــرة أيام، وتقع فى نطاق حزام استوائى يبدأ بالشعرى اليمانية، وكانـــت كل فترة من الأيام العشـــرة تحدد ببزوغ النجـــم التالى فى الأفق الشرقى قبيل مشرق الشمس. وقد قسم المصريون اليوم إلى 24 ساعة نصفها ليل ونصفها نهار.

وكانت النجوم ترصد بأداة بسيطة خاصة تسمى «فرخت» كانت تستخدم أيضـــاً لتحديد محور ما عند إرســـاء أساســـه، وكانوا قد نجحـــوا أيضاً فى تحديد الجهـــات الأصلية تحديداً دقيقاً على الرغم من أن الشـــمس لا تقع فى الشرق الصحيح إلا فى الاعتدالين ليس إلا.

الفـــــــن

نشـــأ الفن المصرى القديم وتطور وازدهر متأثرا بعناصر حضارية غذتها البيئة المصريـــة بمقوماتها وتعهدها العقل المصرى المرهف الحس وطورتها الأحداث السياسية والاجتماعية وفرضت عليها العقائد الدينية والجنائزية قيوداً التزمها طوال عصوره.

والفن المصرى يتميز بخضوعه فى نشأته وتطوره لعاملين مهمين يتعلق أولهمـــا بالجوهر والثانى بالأســـلوب، وبالنســـبة للجوهر، فإن الصورة فى شتى أنواع تشكيلها نحتاً ونقشاً ورسماً تحوى عنصـــراً حياً لما تمثله ســـواء مثلت إنســـاناً أو حيوانـــاً، بمعنى أنها تحكى قصة فى إطار صورة أو منظر ما، وهو ما ينصب أيضـــاً على الكتابة بالهيروغليفية.

وحرص الفنـــان المصرى القديم على إبراز الشخص الرئيسى فى حجم كبيـــر ممثلاً إياه فى أوضـــاع تنم عن مكانته، كمـــا حرص على تقديم الذراع والســـاقين البعيدتين عن الرائى حتى لا تتقاطع أجزاء الجســـم بشـــكل غير مناســـب، كذلك فإن الرسم يبرز أخص مظاهر الشـــخصية ومـــن ذلك تمثيل جسم الإنســـان من الجانب ولكن بعين وصور من الأمام، كما تم رسم المناظر فى صفوف يعلو الواحـــد منها الآخر وتفصلها خطوط مستقيمة سميكة تمثل فى نفس الوقت خطـــوط الوقوف أى مستوى الأرض. وهذا الأسلوب بالذات نشـــأ نتيجة لبعض الأحداث التاريخية التى ترجع إلى فجر التاريخ المصرى.

وقـــد وضعت النـــواة الأولى للفن المصرى إبان الفترة الحاسمة لمحاولة ضم قطرى مصر فى وحدة سياســـية. وإذا اســـتعرضنا الإنتـــاج الفنى فى هذه الفترة لرأينا أنه ليس إلا تســـجيلا للجهـــود الضخمـــة التـــى بذلها أهل الصعيد لإخضـــاع أهل الدلتا، ومن ذلك نرى الفنان يسجل هذه الجهود بأسلوب رمزى يوضح الدور الذى لعبته شخصية الملك فى المجتمع المصرى، ويلتزم فى نفس الوقت بفكرة التسجيل الحقيقى للأحداث مع توضيح أهمية المشتركين فى الحـــدث. ومعنى ذلك أنه اضطر أن يوضح أهمية الملك ويبرز الفارق بينه وبيـــن أتباعه، كما جعـــل صورة الإله الأكبر أكبر من صـــورة الملك وصورة الملك أكبر من صورة الوزير وهكذا، كما أن الفنان اضطـــر إلى توضيح حقيقة الجهد البشرى فى الحدث على أساس ملموس، بمعنـــى أن الجزء الأعلى من الجســـم بما فى ذلك الصدر والذراعان هو العنصر الفعال، ومن أجل ذلك رسم الفنان هذا الجزء من الأمام موضحاً كل تفصيلاته البشرية والتشريحية مظهراً قوة العضلات فى حين أن الرأس والجزء الأسفل من الجسم بما فى ذلك القدمان جعلهما يـــدلان على اتجـــاه الحدث فرسمهما من الجانب حتى يوضح إلى أى جانب تتجه الأحداث.

وقد تأثر الفـــن المصرى بعقيدة

البعث والخلود وبالعقائد الدينية وبالآلهة العديدة التى هيمنت على المجتمع المصرى، ولهذا ظل يعتقد أن الصورة التى ينقشها على جدران المعبد أو المقبرة ليست مجرد خطوط ينبغى أن يتوفر فيها الانسجام الفنى وحده، بل اعتقد أنها يمكن أن تتحول إلى حقيقة واقعة.

وكان الفنان المصرى تقيده العديد من القوانين الصارمة، ومن أجل ذلك بقى مجهول الشخصية ولم يحاول مطلقاً أن يكتب اسمه، ومع ذلك فقد استطاع بمهارته الفنية أن يطور الاتجاهات الفنية دون الخروج على القيود الصارمة التى فرضتها الظروف الدينية والجنائزية بحيث يمكن أن يميز الأسلوب الفنى لعصر من العصور عن العصر الآخر، بل يجب الاعتراف بأن التحول الكبير الذى نفذه الفنان المصرى بسهولة فائقة وقدرة كبيرة فى عصر الملك إخناتون إنما كان مرجعه براعة الفنان وليست تعاليم الملك الفيلسوف، ويجب ألا ننسى أن الفن المصرى ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمارة المصرية، وهو يعتبر جزءاً منها.

أما عن النحت فقد عرفه المصريون منذ بداية العصر التاريخى، بل وقبل ذلك، ويرى بعض دارسى الآثار المصرية ومؤرخى الفنون أن التمثال المصرى يتسم بالثبات، كما لوحظ أن دقة التماثيل فى عصر الدولة القديمة تكاد تحاكى الأصل الذى تجسمه، وكان الباعث لها على ذلك هو أن تتعرف الروح على الجسد، ومن أجل ذلك حاولوا أيضاً أن يجعلوها مطابقة لأصحابها بالألوان الطبيعية وتظهر فيها العيوب الجسمانية فى كثير من الحالات، ومما تجدر الإشارة إليه أن المصريين فى عصر هذه الدولة نحتوا تماثيل من الخشب، ومن سوء الحظ أنه لم يبق من آثار هذا الفن إلا القليل، كما صنع المثّال المصرى تماثيل من المعدن. أما الدولة الوسطى فلم يكن حظها من تراث النحت كبيراً، وإن كان قد استطاع أن يصور الأحاسيس والعواطف الإنسانية فى تقاطيع الوجه تصويراً بارعاً. وتمتاز تماثيل الدولة الحديثة بالوسامة، ثم تحرر الفنانون من القيود فلم يتحرجوا من نقل الأشياء كما هى، كما اشتهرت تماثيل هذا العصر بالضخامة.

وقد اشتهر المصريون القدماء بنحت المسلات الشاهقة ونقلها من محاجر أسوان ثم إقامتها وتثبيتها، وكانوا يكسون قمم المسلات بصفائح من مخلوط الذهب والفضة حتى إذا انعكست عليها الشمس تلألأت. وفى الدولة القديمة كانت المسلات تقام وسط المعابد، وابتداء من الدولة الوسطى كانت تقام مسلتان أمام مدخل المعبد على الجانبين.

الملابس

اقتصرت المادة التى استخدمت فى صنع الملابس طوال العصور القديمة على الكتان. ولم يتجاوز اللبس فى عصور فجر التاريخ قراباً وهو ما يشبه الكيس، ولكن سرعان ما تطور منذ عصر باكر إلى نقبة صغيرة يلفها حول وسطه ظلت طوال التاريخ الفرعونى لباس الجمهرة من الشعب كما كانت لباس الملوك فى الحفلات الدينية. ولكنها اتخذت أشكالاً متعددة من حيث الطول والقصر والاتساق والاتساع إلى جانب ما تتحلى به بعضها أو كلها من الثنايا وما يضاف إليها من الخرز. وربما اتخذ الملوك والأشراف فضلاً عما سبق مآزر فى أشهر الشتاء كتلك العباءة التى ظهر عليها الملك زوسر فى تمثاله والملك سنوسرت الثالث فى عيد تتويجه. وقد عرف المصريون منذ الدولة الوسطى أنواعاً من اللباس كحلة طويلة وقميص يغطى الصدر والذراعين.

ثم كان أن شهدت الدولة الحديثة بحكم ما أصابت من ثروة وترف واتصالها بجيرانها من شعوب آسيا تطوراً وتنوعاً فى الملابس، إذ اتخذ الرجال الثياب السابقة ذات الثنايا الكثيرة والأكمام الفضفاضة، أما ملابس النساء فغلب عليها رداء متسق مفتوح عند الصدر بلا أكمام ومنهن من اتخذن الأكمام الفضفاضة والأحزمة فى الوسط.

الموسيقى

كان الناى والمزمار أقدم الآلات الموسيقية وأبسطها وكانت تستخدم فى بيوت الأغنياء، ثم لم تلبث الموسيقى أن تغلغلت فى كل مرافق الحياة فى مصر حيث كانت لها منزلتها فى محاريب العبادة وفى الحفلات وفى الأفراح، وسرعان ما تطورت هذه الآلات وتنوعت.

وقد عرف المصريون من الآلات الناى والمزمار، ومن الآلات الوترية

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (الجزء 3)

الجنك، ثم اصطنعوا منذ عصر الدولة الحديثة حين اتصلوا بما جاورهم من شعوب العود والربابة والطنبور، ذلك فضلاً عن الصلاصل والطبول والدفوف وأبواق الحرب. وكانت النساء يشاركن بالرقص والغناء يضبطون الإيقاع بالطبل والصلاصل وفرقعة الأصابع أو تصفيق الأيدى أو بأيدٍ من خشب أو عاج.

وكان من بين المصريين من يحترف الموسيقى، فلقد كانت وسيلة لكسب المكفوفين عيشهم، كما كانت هواية لأصحاب الترف يحبونها لذاتها.

وفى أسطورة أونوريس ما يدل على إيمان المصريين بأثر الموسيقى فى تهذيب المشاعر وترقية الأحاسيس. ولم يسجلوا على آثارهم فى برديا تهم من ألحانهم أو أنغامهم شيئاً، وذلك لأنهم لم يهتدوا إلى كتابتها أو إثباتها وإن غلب الظن أن الكنيسة القبطية لا تزال تحتفظ ببعض ما انحدر إليها من أنغام المصريين القدماء.

الرقص

عرفت مصر الرقص منذ العصر الحجرى الحديث فى نقادة حيث عثر على رسوم وتماثيل لرجال ونساء يرقصون، ثم لم يلبث أن تغلغل فى حياة المصريين طوال تاريخهم القديم وعرفوا منه أشكالاً وأنماطاً مختلفة وذلك بفضل رعاية الدين له والذى كان الرقص ركنا رئيسياً من شعائره، فلا تكاد تخلو مناسك الدين فى رحاب المعابد من منظر من مناظر الرقص الذى يؤديه الرجال والنساء، فضلاً عن الملوك، وكانت رقصة الملك وهو يمسك بالمجداف والمنديل عند تقديم القربان من أهم الرقصات الدينية، ذلك إلى جانب ما كان يجرى فى الأعياد من رقص الراقصات لإدخال البهجة فى روح المتوفى.

وكان قدماء المصريين من أشد الناس حباً للرقص والموسيقى، وكان الملوك يعينون المغنيات والراقصات فى القصر ويمنحونهن الهبات السخية، كما كانوا مغرمين برقص الأقزام حتى لقد شبه الملك المتوفى فى نصوص الأهرام بالقزم الذى يرقص بين يدى الإله. وكان الإله «بس» رب المرح والرقص عندهم منذ الدولة الوسطى يصور على هيئة قزم راقص يضرب على الدف أو يعزف على الطنبور. وقد امتاز عصر الدولة الحديثة بشيوع الحفلات والمآدب والرقص والغناء.

الهندسة

توصل المصريون بحكم ما اشتغلوا به من أعمال البناء والعمران إلى كثير من قواعد المساحات ونظريات الهندسة، فحسبوا مساحة المثلث بنفس القواعد التى تحسب بها اليوم، كذلك عرفوا مساحة شبه المنحرف، كما توصلوا إلى العلاقة الثابتة بين المساحة والقطر فى الدائرة ذلك إلى جانب الأسس الأولى فى علم حساب المثلثات من حيث استخراج الزوايا والارتفاعات العمودية، كذلك اهتدوا إلى قواعد الأحجام وبلغوا الذروة فى حساب حجم الهرم الناقص.

الرياضيات

كان على المصرى منذ عصوره الأولى وقد اعتمد فى حياته على الزراعة والرى وفيض النيل تحديد مساحة الأرض وبيان معالمها بعد الفيضانات العالية وتعيين حدودها، وكانت الدولة منذ أرست دعائمها حريصة على استخدام عدد متعلم من الموظفين والكتبة يتولون مسح المزروع من الأرض وتقدير المحصول منها وربط الضرائب عليها وتحصيلها وحساب إيراد الدولة ونفقاتها، وذلك فضلاً عن تعيين المهندسين الذين يتولون الإنشاءات. كان ذلك كله حافزاً على نشأة علوم المساحة والهندسة والحساب، فبلغ المصريون فى ذلك شأناً كبيراً وإن غلب عليهم الطابع العملى والتطبيقى على القواعد عن النظريات، ولعلها كانت عند الكتاب والكهان فى طى الكتمان، وقد ساعدهم على ذلك ما توصلوا إليه من الكتابة، وما اهتدوا إليه من رسم علامات العشرة وأضعافها حتى المليون، أما الأعداد من واحد حتى تسعة فقد كتبوها بالعدد المناسب من الخطوط القصيرة فسهلت لهم بذلك عمليات الحساب العشرية من جمع وضرب ولئن كان ذلك قد أغناهم عن علامة الصفر التى لم يهتدوا إليها، كما لم يهتد إليها الإغريق أو الرومان، فقد كان بعض الكتبة يترك مسافة

خالية فى موضع العشـــرات حيث يقع الصفر.

الرياضة البدنيـــة

ذكر الملـــك «أمنحتب الثانى» على لوحته التى أقامها فـــى هيكل له على مقربة من تمثال أبى الهول أن أحداً لم يكن يستطيع أن ينزع قوسه وأنه كان يصيب هدفاً من نحاس سمكه بمقدار قبضة اليد فتخترقه سهامه.

وكانت مجموعة الألعاب الرياضية فى مصـــر القديمة كثيرة ومتنوعة مثل الرماية والصيد والمصارعة والسباحة والتحطيب والتجديف، وقيل عن الملك «تحوتمس الثالث» الـــذى كان مغرماً بالصيد أنه كان يذهب لســـوريا لصيد الأفيال، وأنه صاد منها مائة وعشرين، أما الملـــك «أمنحتب الثانـــى» والملك «تحوتمس الرابع» فكانا مغرمين بصيد الأسود.

الكهانـــــة

لم يكن الكاهـــن المصرى القديم يعمل علـــى تثبيت قواعـــد الدين فى قلـــوب الناس أو ينشـــر الوعى الدينى بينهم، ولكنه كان خـــادم الإله. ومنذ أقدم العصـــور كان الملك هو ابن الإله وخادمه الوحيد، ولكن مع تعدد الآلهة المصريـــة وتفرق أماكـــن العبادة لم يستطع الملك أن يخدم جميع الآلهة فى آن واحد ولذلـــك اضطر إلى تعيين من ينوب عنه فى خدمة الآلهة وبذلك تألفت مجموعـــة من الموظفين هـــم الكهنة، ونقول مـــن الموظفين لأن كل رجل فى الدولة القديمـــة ذى مكانة مرموقة فى مجتمعه كان يشـــغل منصباً فى معبد مدينته إلى جانب عمله المدنى. وكانت الوظائـــف الكهنوتية متوارثة عادة فى أسر عريقة يقوم أعضاؤها على خدمة إلههم المحلى.

وفى عصر الدولة القديمة كان عدد كهنة المعابد يعـــدون على أصابع اليد الواحدة فنعرف أنهم كانوا

«حم- نتـــر» أى كاهن الإله و«عب» أى الكاهـــن المتطهر، و«خرى- حب» أى الكاهـــن المرتل يســـاعدهم بعض الموظفيـــن الإداريين للإشـــراف على ممتلكات المعبـــد ومخصصاته وكان يرأسهم جميعاً حاكم الإقليم الذى يلقب بالمشـــرف على الكهنة، ولكن يبدو أن هذا الإشراف كان اســـمياً فقط. وبقى الحال هكذا أيضـــاً خلال عصر الدولة الوسطى مع ظهور كهنة مؤقتين لقبوا باسم «أونوت» أى كهنة الخدمة المؤقتة يتناوبون العمل لفترة معينة ثم يعودون إلى حياتهم المدنية اليومية.

وشهد عصر الدولة الحديثة تطوراً كبيراً فـــى هيئة الكهنـــوت من تعدد وظائفهم وكثرة أعدادهم، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما اســـتطاعه كهنة آمون إله الدولة الرســـمى من بســـط نفوذهم ومد ســـلطانهم على كثير من شئون الدولة حتى أصبحوا قوة كبيرة هزت العرش تحت أقدام الملوك، وانتهى الأمر بأن كونوا أسرة حاكمة من بينهم وهى الأسرة الحادية والعشرون.

وتكونت هيئة الكهنوت فى الدولة الحديثة من «حم- نتر» أى كاهن الإله و«أتف- نترو» أى الأب الإلهى و«عب- آى» أى الكاهـــن المتطهـــر و«خرى- حب» أى الكاهن المرتل و«ابميو- شتا» أى الكاهن.

ولم يكن الرجـــال فقط هم الذين يقومون بوظيفة الكاهن ولكن كثيراً ما اشتركت المرأة فى هذا العمل منذ الدولة القديمة، كما كانت تقوم بوظيفتين هما الموسيقى والرقص. ومنذ عصر الأسرة السابعة عشرة ظهر لقب كهنوتى جديد حملته الأميرات اللاتى سيصبحن ملكات وهو زوجة الإله، ويعنى ذلك زوجة الإله آمون، ولقد تطورت مسئولية حاملة هذا اللقب حتى أصبحت منذ عصر الأسرة الثالثة والعشـــرين بمثابـــة الحاكمة الفعلية لطيبة واستمر هذا الوضع حتى نهاية الأسرة السادســـة والعشرين ثم فقد معناه بعد ذلك.

نسائم الزمن الجميل

مع احترامى لجميع علماء الطبيعة من نيوتن إلى ستيفن هوكينجز مع احترامى لجميع علماء الفلك Astronomy من كوبرنيكوس إلى Lemaitre وجميع علماء الكون Cosmology وجميع علماء نشأة الكون Cosmogony.

سفير د. محمد حسونة

mohammad.eternitynow@gmail.com

مع احترامى لجميع الفلاسفة بمن فيهم هايدرجر صاحب «الوجود والزمن» والدكتور عبدالرحمن بدوى صاحب «الزمن الوجودى» فلا يوجد أحد استطاع أن يعرّف الزمان أو يكشف سر اللحظة أو يكتشف كنوزها أو يحل لغز الآن باعتباره الحقيقة الأيقن التى لا ينال منها الماضى والمحصنة من المستقبل وفى نفس الوقت لا تلبث أن تتطاير وتتبدد كأنها شرارة لا تلبث أن تموت بمجرد أن تولد.. برق مستمر.. صرخة متواصلة «عطاء غير مجذوذ».

مع احترامى لجميع علماء الجغرافيا والطوبوغرافيا وعباقرة المكان لم يتوصل أحد إلى جوهر تلك الجوهرة: اللحظة!

مع احترامى لسلطان ما تبقى من السلاطين وملك جميع الملوك وفخامة الرؤساء فكلنا أميون فى علم الآن وكلنا نحبو فى فن الحضور وإننى أتحدى أن يقول لى أحد ما الذى يجعل الزمن لا رجعة فيه؟

مع احترامى لجميع الشيوخ والقساوسة والحاخامات والرهبان والكهنة من جميع الطوائف والملل لم ينقب أحد عن مصدر طاقة الآن ذات التجدد المطلق والتى لا تقل أهمية انشطاره بين قبل وبعد عن انشطار الذرة ورغم ذلك فالكل ينساب فى سلاسة الصيرورة..

مع احترامى لجميع الحاصلين على جائزة نوبل فى الآداب أو فى العلوم أتحدى أن يقول لى أحد إلى أين يتجه سهم الزمان؟ بل أتحدى كل جيوش العالم أن توقف الزمن أو تقوم بإرجاع لحظة واحدة للوراء!!

وهب أنك نظرت إلى الوراء ماذا ستجد؟ التجاعيد محفورة حيث لا تتوقعها معقودة بين الحاجبين والجروح منقوشة تحت سطح الذكريات والهالات الداكنة تحاصر الجفون المستسلمة للأرق والشيب قد غزا المفارق!

فدس على الماضى وانس الدموع واصفح عن الأشواك وانظر دائماً أمامك واحلم بغد أبهج ملىء بالرياحين الندية وبطيور نارية ذات تيجان ثلجية تملأ الدنيا بأغاريد شجية وزغاريد عفوية!

لا تصارع الزمن ولا تنصاع له وإنما تفاعل إلى أقصى درجة مع حاضرك المفتوح دوماً على جميع الاحتمالات: كن مستعداً على الدوام لملاقاة اللامتوقع. إن استلزم الأمر المقاومة حتى آخر رمق فليكن كذلك وإن استلزم الصبر الجميل فليكن وإن اقتضى الهجوم فانقض عليه مهما راوغ وإن تطلب العطف والمودة فبادره بالعشق واقصفه بكفلين من محبتك الخالصة!!

امتط صهوة الموجة وتوكل على الحىّ الذى لا يموت. انظر كيف تصير أنفاسك أعمق فأعمق، كلما ملأت رئتيك بيود الرضا. كن إذن ابن وقتك ينشرح صدرك: تلك خلاصة إبريز التصوف. ألم تر كيف انقلب المنظور: من قال إن الحاضر موت مستمر؟ كلا إنه ميلاد مستمر، ما أجددك! ما أبدعك!

ما هذا الانفلات الهائل من خزائن الزمان؟ وفرة لا تعرف النضوب. ما لهذه السرسبة تسح بلا حساب؟ سخاء ما له من نفاد، ومع ذلك لكل منا نصيب محدد وأنفاس معدودة..

أى سد يستطيع مهما علا أن يصد فيض الزمان على صحراء الوجود؟ قد يكون الزمن كالفولاذ أو أشد قسوة وقد يكون بلسماً للحروق وسلواناً للمحزون وحضناً لليتيم.. وقد يكون ربابة يتنهد وترها الوحيد تحت ترددات القوس، وقد يكون مهندساً فى تصميم المتاهات، ولكنه فى جميع الأحوال نعمة تخلصنا من إدمان المألوف وتدربنا عبر تقلب المواسم وتقلب القلوب على استقبال المفاجئ وترقب المباغت والولع بالاكتشاف!

إن كلمة **الآن** تنعشنا لأنها نقيض الإدمان بل إنها غير قابلة للنطق ولا للكتابة: فبين الألف ونقطة النون تمر آلاف اللحيظات. من أين وإلى أين؟ لا أحد يعرف، كأنها كرات مسبحة لا نهائية لا تكف عن الانفراط: توحيداً وتحميداً وتمجيداً وتكبيراً لبديع الزمان، الذى يستوى لديه الأزل والأبد!!!

واللحظة تجربة متاحة لكافة البشر فى كل زمان ومكان كالتنفس أو هى أقرب. فكيف بالله نغفل عنها؟ أية غيبوبة تحجبنا عن الحضور الدائم حتى يضيع العمر دون أن نعى كنه اللحظة ولا أن ندرك مغزى الضياع؟

مع احترامى للأديب الفرنسى Proust الذى كتب روايته «البحث عن الزمن الضائع» فى سبعة أجزاء قبل أن يتممها بالثامن «الزمن المستعاد» ألا يوجد من يهتك نقاب اللحظة ليكشف عن فزورة وجهها المحير بملامحه الفاتنة وقسماته الفريدة وابتسامتها الساحرة الساخرة معاً تتجاوز الدمار والحروب لتعدنا بالسلام المستحيل، فى حين تعدنا أحداقها الحنونة البهية بقوس قزح لا يزول. تحضنا على التجديد، تحرضنا على الإبداع وتذيقنا شفتاها شهد الوجد. تغرينا بالترحال، تغوينا بالتيه وتسكرنا بالاجتياز وتهمس وصيتها فى آذاننا: إياكم والاستقرار فإنه أم الكبائر وهو الوهم الأعظم! حذارى أيها المتخصصون من إهدار الوقت: إن كل مناجم الماس فى العالم لا تساوى فيمتو ثانية واحدة!!

اللعنة على الروتين، تباً للاجترار وسحقاً للتكرار. كلنا عابرون، والزمن يسكننا إلى حين. أنصتوا لنداء الأجدد والأصل والأصدق والأطهر والأطزج والأنقى والأرقى والأسمى والأسطع والأينع والأصفى!!!

أعوذ بالله من النون المدسوسة بين الألفين ولكن مهما افترت وتجبرت الأنا ومهما بدت الأسقف منخفضة، مهما ضاقت عليكم الأنفاق أبسطوا الأجنحة واستجيبوا لهذا النداء بالإقلاع والرفيف والتحليق بأقصى ما تستطيعه الأجنحة!!

حتى نوقن أن فى الإمكان دائماً أبدع مما كان، وأن الزمن الجميل مكنون فى رحم **الآن**، يتموج بين الكاف والنون، بين خفقات القلب وصفاءات الروح، بين الفناء فى العشق والإبداع الشامل!

حتى يخرج من الظلمات إلى النور، يسجد سجود الأفق، عرفاناً بجود الأحد، يحدق فى معنى الأبد..

المصريون لم يتغيروا فى السينما منذ 70 عاما

هذا الفيلم تم إنتاجه وعرضه منذ سبعين سنة، ولا يكاد يعرفه أحد رغم أنه متاح الآن للمشاهدة على اليوتيوب، وهو فيلم «غنى حرب» إخراج نيازى مصطفى عام 1947، وقامت ببطولته مجموعة من الممثلين سيجئ ذكرهم تباعاً، وتأتى أهميته أن وقائعه تكاد تحدث الآن من حولنا بالمصطلحات نفسها، والوقائع مع تغييرات طفيفة، فهو فيلم عن المال، والارتفاع الجنونى للأسعار، وعلاقة الجنيه المصرى بالدولار فى السوق المصري، وكان يومها حسبما جاء على لسان الجزار حسنين يساوى خمسة دولارات بما يعنى أن الحياة فى مصر قد قلت قيمتها الاقتصادية مائة مرة، وإن كانت الأرقام ترى أكثر من ذلك.

محمود قاسم
كاتب صحفى
kasssem1949@live.com

إنه فيلم عن الثروة المجنونة، وتدور أحداثه فى الفترة ما بين عام 1939، أى قبل بداية الحرب العالمية حتى نهاية هذه الحرب فى عام 1945، هو واحد من أفلام كثيرة تحدثت عن تأثير المال فى الطبقات الفقيرة الجاهلة، البدائية الخلق، الذين لا يتمتعون بأية ثقافة، ويمتلكون الدأب الشديد للتعامل مع الثروات، كما أنه بالتقريب الفيلم الثانى الذى تناول طبقة من رجال الثروات المفاجئة، ولا نقول رجال الاقتصاد، الذين ظهروا فى المجتمع المصرى يمتلكون ثرواته ويصعدون بسرعة هائلة إلى قمة الهرم الاجتماعي، فينالون كافة أنواع المميزات، ويظلون يحتفظون بأخلاقهم المتواضعة، مهما ارتقت مساكنهم، وممتلكاتهم، وسبل حياتهم.

ففى هذه الفترة التى كان بنك مصر فى بداية عهده، كانت السينما بشكل عام تحاول التركيز على أن الفوارق الاجتماعية لا تصنع الحواجز الاجتماعية بين العشاق، مثلما رأينا فى فيلم «سلامة فى خير» لنيازى مصطفى أيضاً، لكن هناك أفلاماً تحذيرية كثيرة تحذر الأفراد من الثروات المفاجئة التى تنزل على الفقراء فيصبحون بين ليلة وضحاها من القادرين، بمعنى إياك أن تقترب من المال الكثير إذا جاءك، أو عليك حسن استخدام هذه النعم، وفى العادة فإن هذا المال المفاجئ يأتى سهلاً عن طريق العم الذى يسكن البرازيل، ومن هذه النوعية أفلام « لو كنت غني» إخراج بركات عام 1942، و«المظاهر» إخراج كمال سليم 1944، و« سفير جهنم» ليوسف وهبى 1945، وهى أفلام تؤكد للمشاهد أن حلم الثراء قد يتحقق فى أى وقت، وأنه قد يصيبك فى لحظة وعليك أن تنتظر، ولا تتحرك من مكانك، إلا أن هناك أفلاماً أخرى ترى أن الذكاء الفطرى يدفع بأصحابه إلى تحقيق الثروات السريعة بقراءة الواقع، وهو يعمل على تحقيق الحلم، بما يعنى أن الفقير، هو الذى يتحرك إلى مصيره، ومن أبرز هذه الأفلام» السوق السوداء» لكامل التلمسانى عام 1945، و«غنى حرب» عام 1947.

موسوعة جينيس لم تنتبه لبشارة واكيم

وقد لعب كاتب السيناريو أبو السعود الأبيارى على هذه النغمة، فهو الذى كتب فيلمه الأول « لو كنت غني» وأيضاً تكررت فيما بعد فى فيلمنا اليوم، وأيضاً فى «المليونير»، وغيرها.

إعجاباً بالممثل الذى جسد دور البطولة، فإننى أفضل الحديث عنه قبل أن نتكلم حول الفيلم، إنه بشارة واكيم أحد الذين يستحقون الإطراء أكثر مما نال، فهو للأسف لا يوضع فى مرتبة الممثلين المشهورين بالاندماج، رغم أنه يمتلك هذه الموهبة، وأنا أراه لا يقل كفاءة عن زكى رستم، بل إنه أكثر مرونة، فهو صالح لكافة الأدوار خاصة الكوميديا، وقد عرفناه رجلاً ناضجاً باعتبار أنه ظهر فى العقد الأول من عمر السينما الروائية فى مصر، والمشكلة أنه لم يكن يتمتع بشخصية زكى رستم، باعتباره كان يقبل الظهور فى أفلام متباينة الأهمية، لكنه للحق كان يملأ الشاشة أيا كان الدور، وقد شاهدناه فى البطولة المطلقة فى أفلام عديدة منها «حنان» لكمال سليم، و«غنى حرب» ولا أعتقد أنه كان أو سيكون ممثلاً له الحضور مثلما حقق لنفسه حيث رأيناه يشارك فى العمل فى 88 فيلماً فى الست سنوات الأخيرة من حياته، أى أربعة عشر فيلماً كل عام، وهو رقم قياسى يدفعنا إلى إبلاغ موسوعة جينيس التى لم تنتبه إلى هذا الأمر خاصة أن الكثير منها بطولات مطلقة.

وتأتى أهمية الفيلم، أنه ملئ بالحديث عن الأرقام، وعن المال، وهو الملفت للنظر، فأفلام التحولات الاجتماعية الأخرى تكاد تخلو من أرقام، أما فيلمنا فإن الأشخاص فيه خاصة المعلم حسنين لا يكفون عن الحديث فى الأرقام بارتفاعاتها المستمرة، وهناك حالة من التوثيق الجاد لما يحدث من خلال الرجوع إلى عناوين الصحف الصادرة فى تلك الآونة التى تبين المؤشرات الهائلة فى صعود الأرقام،

المصريون لم يتغيروا فى السينما منذ 70 عاما

خاصة الأسعار، مثلما يحدث الآن من حولنا مع كل صباح، ومؤشرات الارتفاع الجنونية فى الأسعار.

غنى الحرب، هو الرجل الذى استفاد بقوة من قيام الحرب العالمية الثانية فانتقلت الجيوش بين الدول حتى وصلت إلى مصر، هذه القوات كانت فى حاجة ماسة إلى السلع الغذائية، فاتجه التجار إلى توريد ما لديهم إلى الجيوش الأجنبية، وارتفعت الأسعار بشكل جنونى على المواطن العادي، وفى الفيلم رأينا كيف ارتفعت الأسعار إلى مائة ضعف فى كل شئ، وليس فقط فى السلع الغذائية حتى وصل إلى هدايا للعاهرات والراقصات، كما أن الثراء لحق بالفتاة الفقيرة نكلة (هاجر حمدي) التى صارت راقصة فى زمن الحرب وانتقلت إلى شريحة اجتماعية أعلى، مثلما حدث للجزار حسنين (بشارة واكيم)، الذى تنامت أمواله، فصار يفضل أن يناديه الآخرون باللورد، وهى أعلى درجة اجتماعية فى بريطانيا التى احتلتنا.

الفيلم يبدأ قبيل الحرب مباشرة، والمعلم حسنين الجزار هو مجرد رجل شعبى مستور، ينعم بحياة اجتماعية مستقرة مع زوجته (مارى منيب) وابنتيه قشطة (الهام حسين) وقطايف (ليلى فوزي). وحيث يتنافس الجميع على خدمته وإسعاده، حياة هذا الرجل العملية كلها أرقام، لذا فهو يلتقط خبر قيام الحرب كى يفكر فى عمل مشروع بالمشاركة مع زميل آخر لتوريد السلع إلى الجيش البريطاني، ويأخذ مصاغ امرأته كى يشارك فى عمل مؤسسة لتوريد الأغذية، خاصة اللحوم والبروتينات.

بكسب خمسة جنيه فى اليوم

دعنا ننحى جانباً كيف غيّر المال السريع من سلوك عائلة الجزار، فقد صار الأمر تقليدياً، لكن تعال نتتبع علاقة غنى الحرب بالأرقام فى المشهد الأول من الفيلم فإن حسن (حسن فايق) مساعد الجزار وشقيق زوجته، وملازمه فى رحلة

إلهام حسين

الثراء يعرض علينا لعبة بالأرقام تجعلك تحصل على نتائج متعددة من العملية الحسابية الواحدة، وهكذا يكون التاجر يتلاعب بالأرقام لصالحه مثلما يتلاعب الدجال، قارىء الكف بالمصائر، وهذا الرجل عباس (عزيز عثمان) سيكون الذراع الثانية للجزار فى الرحلة، أى أن الاقتصاد من هذا النوع حالة من الدجل، والكسب المشروع، فحصيلة جمع 13 زائد 13 خمس مرات قد يكون 25، أو خمسة وخمسين، وفى المشاهد الأولى فإن الجزار يردد أنك لو امتلكت مال قارون بدون عائلة سعيدة فلا فائدة، وفى حياته العامة فإن كل شئ مرتبط بالرقم، فالجزار حين يغازل الفتاة نكلة وهى فقيرة يقول: «ورقة بألف جنيه سموها نكلة» بمعنى أنها تساوى الكثير كأنثى، وعندما تتغير الأمور فإن نكلة التى صارت راقصة تسمى أحلام تستقبل عندها، وفى الوقت نفسه، أربعة رجال ميسورين يملأون بيتها بالهدايا ثلاثة منهم يمثلون الإدارة فى شركة غنى الحرب.

أى أن الأرقام هى التى تكلمت فى الحالتين، العوز والثراء، وفى هذا المجتمع فإن الرقم الذى يكسبه الرجل هو معياره، كأن يقول الأب أن العريس الذى يكسب فى اليوم خمسين قرشاً هو صاحب مكانة، وذلك قبل أن تبدأ الحرب

هاجر حمدي

مارى منيب

ليلى فوزى

ويقر الفيلم من خلال الجزار أن «الحرب هتخلى كل حاجة تغلى، وهتخلى الفلوس فى ايدك زى الفاصوليا» ما يعنى الكثرة، ثم يقول: «حانكسب كل يوم خمسة ستة جنيه، من الغلا، نورد اللحمة للجيوش، والمستشفيات». وعن طريق التنبؤ بالتضخم القادم والغلاء يردد الحالة التى حدثت مع الفارق عند تعويم الجنيه الذى حدث بلا حرب. ويعترف الفيلم أن الأمر سوف ينطبق على رغيف العيش حيث أن حاجة الجنود إلى الخبز سترفع سعره بجنون.

والفيلم يقترب بشكل مباشر من السياسة حين يطلق حسنين على جزارته اسم «الجزارة الديمقراطية».

الأمر يتم فى تسمية المجازر، والمحلات، الجزار يتنبأ أن» القرش سيعادل 8 ريال» وتبدو الأرقام المطروحة فى البداية بالغة السذاجة فالدخل يرتفع يومياً إلى العشرين جنيهاً ومضاعفاتها. فالجزار كلما ازداد ثراء ازداد شحاً فى العطاء للفقراء، واتسع فى المنح للراقصات، وسرعان ما تظهر ملامح الثروة على الأسرة التى اغتنت، سواء من حيث الملابس أو المسكن فينتقلون إلى القصر الفخم المعادل للكومباوند فى أيامنا، ويبدو الجزار بالغ الجشع وهو يعبر عن رؤيته الجديدة: «لازم نرفع سعر اللحمة لحسن الحرب تخلص فجأة»، فى الوقت الذى تصيب القطر المصرى موجات من الغلاء لقلة الوارد بسبب الحرب، ويكشف الفيلم مساوئ الإثراء المقترن بالجهل، فالجزار لا يعرف كيف يتعامل مع التقنيات رغم أنه يمتلكها، وهى هنا مستوردة من بريطانيا حيث يتصور مثلاً أن الراديو المستورد من بريطانيا لا بد أن يتكلم بالإنجليزية، وتصبح الحياة الشكلية هى الأهم كأن تذهب الزوجة لتعلم اللغة الفرنسية لمجرد النطق ببعض الكلمات فى المجتمعات التى تتردد عليها، وتتعرف الابنة قشطة على شاب (فريد شوقي) يتحرش بها ثم يهجرها، وهى التى رفضت جارها سامى (كمال الشناوي) طالب الطب، ويصبح اليونيفورم هو المطلب الأهم، ويبحث كل فرد عن مصلحته، وفى هذا تشابه ملحوظ مع مصائر أفراد العائلات فى الأفلام التى ذكرناها، ويبدو الفساد والرشاوى أمراً واضحاً حيث يتم دفع رشوة ألف جنيه إلى الشخص الذى ساعد فى إرساء العطاء على الشركة. ويتم تعيين فتاة عصرية تجيد اللغات للعمل كسكرتيرة ويسيل أمامها لعاب مجلس الإدارة الثلاثي، وتصبح لغة التعامل مع الإعلانات هى السائدة «خمسة جنيهات يعنى عشرين دولاراً يعنى مائة شلنج»، وهكذا صارت الأرقام هى اللغة، والغريب أن الفيلم توقف فقط عند طبقة أغنياء الحرب، ولم نر الجانب الآخر من الاستهلاكيين، وهم الشعب نفسه، والغريب أن هذه اللغة تطال أيضاً الطبيب الشاب: «حافتح عيادة واكسب خمسة جنيه فى اليوم»، وكما أن الفيلم يتعامل مع غنى الحرب باعتباره طفيلياً، يتعامل مع النعمة بغباء، ويوزعها على الراقصات بسفه ملحوظ، وأنها كما جاءت سهلة سوف تتبدد، سواء بالسرقة، أو النصب، أو بانتهاء الحرب، وبدلاً من الوفرة سيكون هناك عوز واقتراض، وجرائم جنسية، وسجن، ثم إفاقة، وهنا سوف تختفى الأرقام تماماً والظاهرة تنتهى دون أن نعرف كيف صارت الأسعار والأجور بعد الحرب، هل انخفضت الأسعار، وتحسنت الدخول، وبدا كأن السيناريو تتبع رحلة الصعود وتعامل بالقشور مع رحلة السقوط، فكل المشاكل سوف يتم حلها، وستظل الأسرة على قدر من الثراء فالشريك القديم الذى صار غنياً يأتى للزواج من الابنة قطايف، والطبيب الذى صار مقتدراً يغفر الزلة لحبيبته قشطة التى رفضته ويقبل الزواج منها، ويعترف الأب بعد خروجه من السجن بما كان قد ارتكبه من خطأ، لكن الفيلم لم يعد أبطاله قط إلى الحالة التى كانوا عليها قبل أن تبدأ الحرب.

الكتاب العربى والريادة الثقافية

يجْمع الدارسون من عرب وغير عرب على الريادة الثقافية العالمية للكتاب العربى والإسلامى، بتعدد مجالاته وموضوعاته، وسْط غياهب العصور الوسطى المظلمة فى أوروبا.

د. يوسف نوفل
شاعر وناقد أدبى
youssfnofal@yahoo.com

الكتابة والقص

وقد أفاد الكتاب العربى من فن القصّ، حيث استقدم معاوية رضى الله عنه عبيد بن شربة الجرهمى من اليمن، وأتاح له أن يقص أخبار الأمم السابقة والملوك العرب والعجم، ثم أمر بتدوين ذلك فى كتاب على نحو ما يذكر ابن النديم (الفهرست 132)، والمسعودى (مروج الذهب 4/89)، فكان كتاب (الملوك وأخبار الماضين)، وكان أنْ ألّف زياد بن أبيه سنة 53هـ كتاب (المثالب)، وقيل إن عروة بن الزبير أحرق يوم الحرّة (63هـ) كتب فقه كانت له (طبقات ابن سعد 5/133). وهكذا نجد أنه لم يكد القرن الأول الهجرى ينتصف حتى اتسع شأن التدوين، واتّخذ الكثيرون للكتب خزائن، واتسعت حركة التأليف فى القرن الثانى، وأوائل الثالث، كما نشطتْ حركة الترجمة فى العصر العباسى على أيدى الفرس والسريان.

وتفيض الروايات بحكايات عن كتب تناقلها الناس على استحياء واستنكار واستكراه فى صدر الإسلام من مثل مجلة لقمان، أى كتاب لقمان، وكتاب دانيال، والمهارق، (أى الكتب الدينية).

ويحدثنا الجاحظ أن مؤلفات أبى عمرو بن العلاء (70هـ/154هـ) ملأتْ بيتاً له إلى قريب من السقف، ثم لمّا تقرّأ أحرقها جميعاً، فلما رجع إلى علمه لم يجد ما يحفظه (البيان والتبيين 1/321). وتحدثوا عن انتحال الكتب. يذْكر الجاحظ عن انتحال الكتب: «وربما ألْفت الكتاب الذى هو دونه فى معانيه وألفاظه، وأترْجمه باسم غيرى وأحيله على منْ تقدمنى عصره مثل ابن المقفع، والخليل، وسلْم صاحب بيت الحكمة، ومنْ أشْبه فيأبى أولئك القوم» ـ المحاسن والأضداد، ج1، ط سلسلة «كتب ثقافية»، ص8.

الكتابة فى تاريخ اختراعها

وسواء أكان المخترعون للكتابة من المصريين، أم من السومريين، أم من الصينيين، فإن المصريين القدماء استعملوا صوراً للتدليل على أشياء أو أفكار، لا كلمات وعلامات هجائية بعيدة عن الرموز الهيروغليفية. وقد اخترعوا مع الصينيين ـ برغم التباعد بينهما ـ مجموعتين عظيمتين من رموز دالة على كلمات.

وباختراع ورق البردى بلغ اختراع الكتابة قيمة أخرى بوجود هذه المادة الصالحة للكتابة، تلك المصنوعة من لب السيقان الطويلة لنَبات البردى، التى كثرت فى مستنقعات الدلتا، فتفوقتْ هذه المادة على مواد أخرى سابقة مثل: العظام، والفخّار، والعاج، والجلد، والكتّان، وأمدّتْ العالم القديم بمادة للكتابة طيّعة سهلة وشاركهم السومريون فى اختراع الكتابة، كما شاركهم الفينيقيون وجيرانهم فى ذلك، كما ذكر جورج سارتون، تاريخ العلم جـ 1 ت مجموعة: محمد خلف الله، ومَنْ معه، دار المعارف، طـ 3، 1976م).

وهكذا صار من الممكن أنْ نقول مع إحدى مقدمات كتاب (ظهور الكتاب، لوسيان فافر وهنرى. جان مارتان، ت محمد سميح السّيد، دمشق، دار طلاس، 1988م، طـ 1، ص 5 وما بعدها، والكتاب فى 496 صفحة، وفصوله: ظهور الورق فى أوروبا، والصعوبات التقنية والتغلب عليها، وتقديم الكتاب، وهذه السلعة، والعالم الصغير للكتاب، وجغرافية الكتاب، وتجارة الكتاب، وهذه الخميرة الأولية: «إنّ ما يبرز فى الفترات الحاسمة من التاريخ لهو أشبه «بالانبثاق» الذى يتحدث عنه علماء الأحياء وبعض الفلاسفة، كذلك كان اختراع الكتابة قبل عصرنا هذا بثلاثة آلاف عام. أوَليْس من «التبدّلات» الجذرية تحوّل المخطوطة إلى كتاب مطبوع؟ لقد ظهرتْ بغتة سمات جديدة وثورية فى مسيرة هذا «الكائن» الغريب الذى هو النصّ المكتوب، والذى يرجع إليه الفضل فى تناقل الأفكار عبر الزمان والمكان»، وهناك كتاب صناعة الكتاب من المؤلف إلى القارئ، داتيس. س. سميث، عرضه فاروق صالح باسلامة بمجلة الفيصل، العدد 35، أبريل 1980 ص 147، بترجمة محمد على العريان، وعصمت أبو المكارم، ومحمود عبد المنعم مراد،

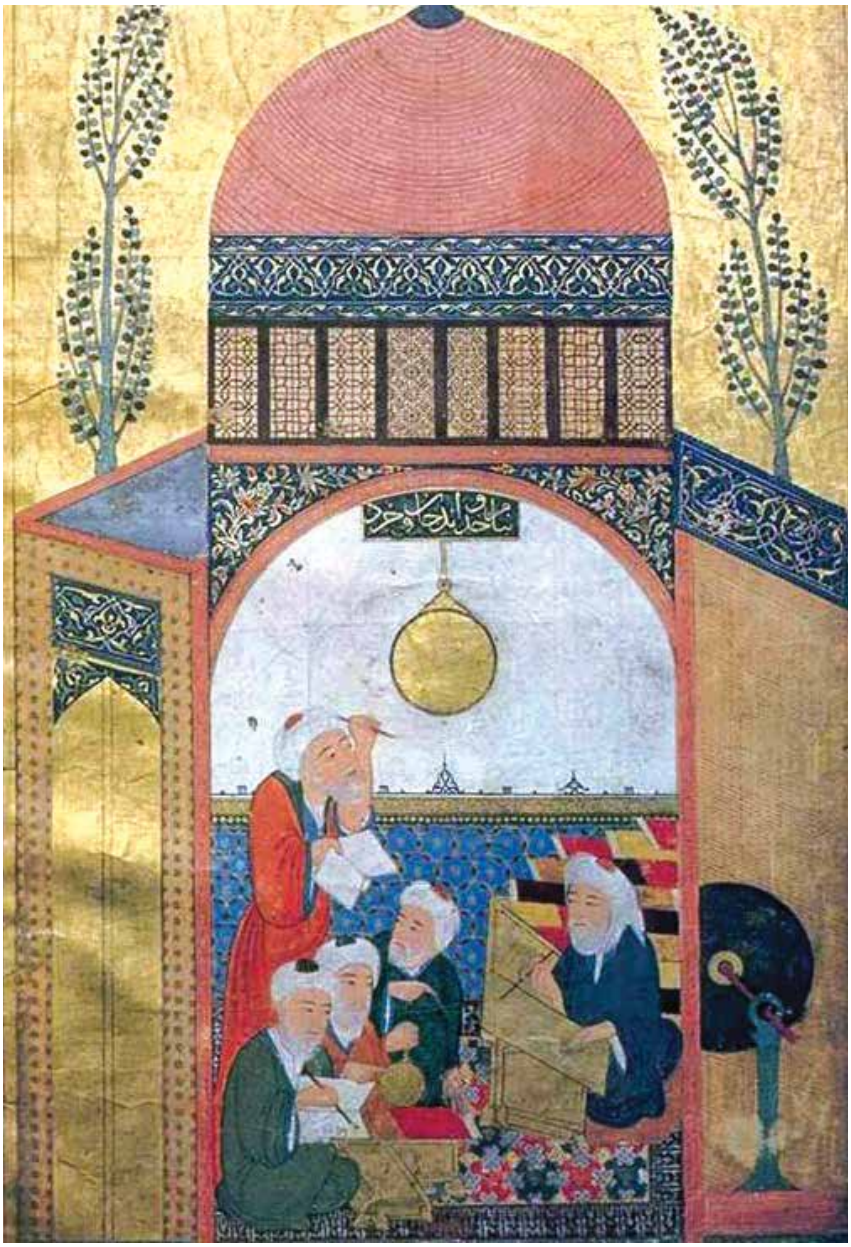

إلتقاء العلم بالفن. منمنمة من القرن الخامس عشر تصور طلاب علم الفلك وهم يأخذون قياسات من الإصطرلاب

وبتصدير أحمد رياض أباظة، مؤسسة فرانكلين، ومقدمة السيد أبو النجا فى 5 أجزاء فى مجلد واحد فى 340 صفحة فى 21 فصلاً).

لقد ظهرتْ بوادر المطبوعات على جلد أملس هو رقّ من جلد العجل، هو القضيم، وكان يشبه إلى حدٍ ما، المخطوطات، ولأهمية (ظهور الكتاب)، ذهب مؤلفا هذا الكتاب: «لوسيان فافر، وهنرى جان مارتان» إلى اقتراح تسمية أخرى «متحذْلقة» - كما عبّرا - هى الكتاب فى خدمة التاريخ، وليس إعادة ما عرضه كتاب فرنسى سابق هو Le Morlet، وفاتهما إقرار الحقيقة التاريخية، وهى فضل العرب والمسلمين فى صناعة الكتاب.

وهذا هو العلاّمة «سفند دال» كبير أمناء جامعة كوبنهاجن فى ألمانيا فى كتابه (تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر) بترجمة محمد صلاح الدين حلمى، ومراجعة توفيق إسكندر، ونشرتْه المؤسسة القومية للنشر، القاهرة، يونيو 1958 فى 344 صفحة ـ يقدّم فى ستة أجزاء تاريخ الكتاب فى العصور القديمة، فالوسيطة، فنهاية العصر الوسيط، فالقرن الثامن عشر، فالتاسع عشر، متناولاً مادة الكتاب وشكله، وتجليده، وتاريخ طباعته، وأنظمة تجارته، وقوانينه، وتاريخ المكتبات فى أنحاء العالم، مبينا سبْق المصريين القدماء، ومتحدثاً عن أوراق البردى من نبات البردى (بابيروس) فى شكل درج أو لفافة، ومعرفة الصين الكتب الخشبية، والحريرية، ويتحدث عن مكتبة الإسكندرية حتى اكتشاف الطباعة وتطورها لدى «جوهان جوتنبرج»، و«لوران كوستر»، وقدّم» دى جروليه،إريك» كتابه تاريخ الكتاب، ترجمة خليل صابات، مكتبة نهضة مصر، القاهرة 1959 (الألف كتاب 75)، وقدم « فرانسيس روجرز» كتابه قصة الكتابة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة، ترجمة أحمد حسين الصاوى، مؤسسة فرانكلين، القاهرة 1969.

حقاً، كان الكتاب المطبوع مولوداً جديداً فى العالم فى وقت من الأوقات، وبدأ مسيرته فى المجتمعات الغربية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى، ودار الزمن واستطاع كونيغ فى المرحلة بين سنة 1803 وسنة 1814 إنجاز آلات للطباعة، وكان اختراع جوتنبرج، ليتطور ظهور الكتاب مطبوعاً فى الطباعة بالحروف الخشبية، وفى تطور صناعة الحروف وترتيب الصفحات، وتحديد المقاسات، وكسوة الكتاب وتجليده، وهكذا انتقل الكتاب من عصر «المخطوط» إلى عصر المطبوع.

وأسهم علماء عرب قدماء فى الحديث عن الكتابة، من أمثال ابن شيت القرشى فى (معالم الكتابة ومغانم الإصابة)، نشر وتعليق الخورى قسطنطين الباشا المخلص، المطبعة الأدبية، بيروت 1913، والجهشيارى فى (الوزراء والكتّاب)، تحقيق مصطفى

السقا، وغيره، الحلبى 1938، وكتاب المصاحف.

وقدم ابن قتيبة (ت 276هـ) كتابه (المعارف)، تحقيق د. ثروت عكاشة، دار الكتب، مصر 1960، وقدم ابن الطقطقى «محمد بن على بن طباطبا العلوي» (ت 709هـ) الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، م. الرحمانية، القاهرة 1339هـ، وابن قماتى (ت 606هـ) «قوانين الدواوين»، تحقيق عزيز سوريال عطية، مدبولى، القاهرة 1991، والصابى (ت448هـ) رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، ط1 بيروت دار الرائد العربى 1986.

كذلك أسهم علماء عرب محْدثون أمثال: د.أحمد أمين فى فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، وجورجى زيدان فى تاريخ التمدن الإسلامى، دار الهلال، القاهرة 1958، وزكى محمد حسن فى فنون الإسلام، والكتاب فى الفنون الإسلامية، والكتاب قبل اختراع الطباعة، وكنوز الفاطميين، والزخارف الكتابية فى الفن الإسلامى، وفيليب دى طرازى فى خزائن الكتب العربية فى الخافقين، وزارة التربية، بيروت 1947ـ1948، ود.مصطفى الشكعة فى مناهج التأليف عند العلماء العرب، ود. حسين نصار فى نشأة الكتابة فى الأدب العربى، وهى رسالته للدكتوراة بإشراف مصطفى السقا 1949 فى 163 صفحة، ود. ناصر الدين الأسد فى مصادر الشعر الجاهلى، وكوركيس عواد فى أقدم المخطوطات العربية فى مكتبات العالم، وزارة الثقافة، بغداد 1982، وفى خزائن الكتب القديمة فى العراق منذ أقدم العصور حتى سنة 1000 للهجرة، م. المعارف، بغداد 1948، وصلاح الدين المنجد فى الكتاب العربى المخطوط إلى القرن العاشر الهجرى، معهد المخطوطات، القاهرة 1960، ود. الطاهر مكى فى دراسة فى مصادر الأدب، دار المعارف، القاهرة ط1، 1968وط6 1986، ود. عز الدين إسماعيل فى دراسة فى مصادر الأدب واللغة، وعبد الله الحبشى فى الكتاب العربى فى الحضارة الإسلامية، الربيعان، الكويت 1982، ومحمد زكريا عنانى فى قراءة نقدية فى المكتبة العربية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1984، وهو نقد لطائفة من الكتب فى 247 صفحة، ود. عبد اللطيف الصوفى فى لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، دمشق 1987، وأحمد الضبيب (على مرافئ التراث)، دار العلوم، الرياض 1401هـ/1981 فى 225ص.

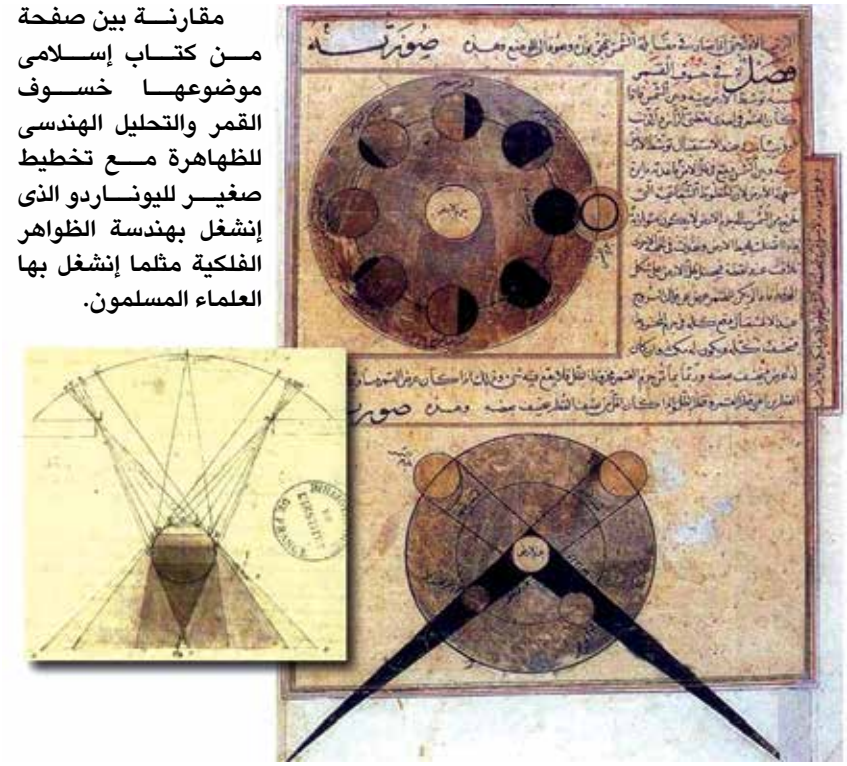

مقارنة بين صفحة من كتاب إسلامى موضوعها خسوف القمر والتحليل الهندسى للظاهرة مع تخطيط صغير لليوناردو الذى إنشغل بهندسة الظواهر الفلكية مثلما إنشغل بها العلماء المسلمون.

تراث العربية بين تراث الإنسانية

كتب «توماس أرنولد» كتاب تراث الإسلام، بالإنجليزية 1931، وترجم فى القاهرة 1936، وفى بغداد 1954، وكتب «شاخت، وبوزورث» تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى، وحسين مؤنس، وإحسان العمد فى جزأين، تناول فى الجزء الأول الصورة الغربية والدراسات الغربية للإسلام، ثم الإسلام فى عالم البحر الأبيض المتوسط، ثم الحدود القصوى للإسلام فى أفريقيا، والسياسة والحرب، والتطورات الاقتصادية، وفى القسم الثانى من الجزء الأول تناول الفن والعمارة، والفنون الزخرفية والتصوير، وفى الجزء الثانى تناول الأدب (ص5ـ55) الفلسفة، وعلم الكلام، والقانون والدولة، والعلوم بأنواعها، وأصدرتْ سلسلة عالم المعرفة الكويتية طبعته الثانية فى أغسطس 1978ومايو 1988، وصدرت سلسلة تراث الإنسانية منذ المجلد الأول عام 1962 عن وزارة الثقافة، تعْرض وتعرّف وتبحث وتحلل روائع الكتب المؤثّرة فى الحضارة الإنسانية، وكان للتراث العربى فيها نصيب وافر؛ فقد ضم الجزء الثالث التأملات لديكارت وتعليق د. عثمان أمين، وأزهار الشر لبودلير، وضحى الإسلام، والفتوحات المكية لابن عربى بأقلام بعض الكتاب، وأشرف على تحريرها العقاد، وزكى نجيب محمود، وعبد الحليم منتصر، وعلى أدهم، وإبراهيم زكى خورشيد، وإبراهيم

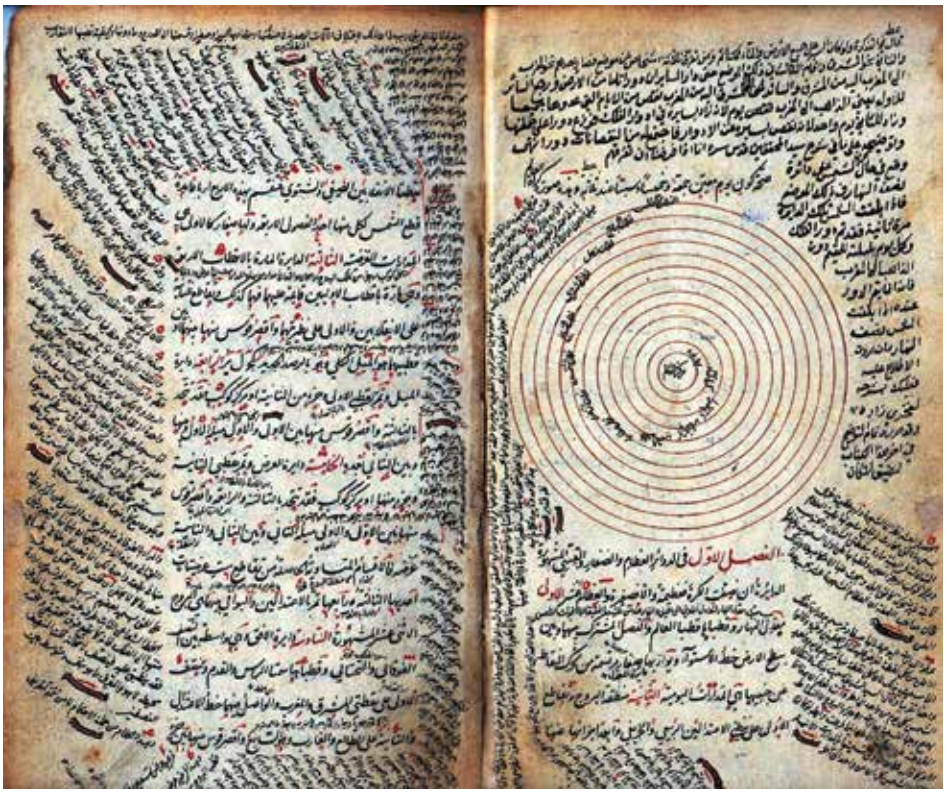

مخطوط_لكتاب_عربي_في_علم_الهندسة_والفلك5

الخط المسند الَّذى اشْتُقَّ منْهُ الخَط العَرَبى، وكَمَا هُو واضِح مِنْ أَحَد النقوش السبئية لإلَهِ القَمَر ألمقه.

الإبيارى، وأصدرتْ مؤسسة آل البيت بعمّان بالأردن، المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية (الفهرست الشامل للتراث العربى الإسلامى المخطوط ـ علوم القرآن 1987 فى 12 مجلدا).

فماذا كان دور المسلمين والعرب فى (ظهور الكتاب) مخطوطاً؟ وما دورهم فى «خدمة التاريخ»، كما عبّر مؤلفا كتاب (ظهور الكتاب): لوسيان فافر، وهنرى جان مارتان، ترجمه عن الفرنسية محمد سميح السيد، دمشق، دار طلاس 1988 فى إشارة نراها ضرورية لدور العرب من قبل الإشارة إلى الدور الأوروبى المعاصر؟

وهنا نكون فى صميم التراث الذى يعده البعض من مصدر دينى عقدى، ومنهم من يراه تكويناً فكرياً عاماً. بل يبعده عن الدين والمعتقد، ومنهم من يدرسه أنثروبولوجيا، بعنْصره الثقافى المتوارث بين الأجيال اجتماعياً، وتراكمياً، ومادياً، وروحياً، وأدبياً، وفنياً باعتباره رواسب ثقافية survival، ومنهم من يميل به إلى المكونات الشعبية فى جذورها التاريخية العتيقة من مأثورات، وتراث شعبى شفاهى أو كتابى، ومن ثم يكون له وجهان أحدهما: شعبى، والآخر فصيح، وهو ما نهتم به هنا، وهو ممتد بجذوره مع الوجود البشرى منذ الجاهلية الأولى حتى انتشار الحضارة العربية عالمياً، حتى أصبح البحر المتوسط (بحيرة إسلامية) بتعبير « ليفى بروفنسال»، وما عاد رومانياً، (الحضارة العربية فى إسبانيا، ترجمة د. الطاهر مكّى، دار العالم العربى، القاهرة 2010)، إنه دور تراثى حضارى عظيم يُعَدُّ الأساس الراسخ لكلّ ما أنجزته البشرية فى عصورها منذ اختراع الطباعة إلى الآن بما أدّاه الكتاب الإسلامى من حفظ للحضارة والتراث الإنسانى، ربما يعتبر إرْهاصاً لإنجازات القرون التالية فى مجال الكتاب: مخطوطاً ومطبوعاً، إن لم يكن رائداً.

وفى عام 1982قام الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب فى موضوع الرعاية الصحية الأولية د. «د. س. مورلي»، وقال فى كلمته أمام الملك فهد بن عبد العزيز، وهو يسلمه الجائزة: « فى مجال أمراض الأطفال وأبحاثى ومحاضراتى عن مرض الحصبة بالذات فإننى حريص على الاستشهاد بملاحظات الطبيب المسلم أبى بكر الرازى، والذى من ضمن ما أبدى من ملاحظات عن مرض الحصبة أنها» إنْ كانت داكنة الحمرة مسْودّة اللون ـ يقصد التغييرات الجلدية ـ فإنها فتّاكة (قتّالة)»، لقد علمْت هذا منذ عشرين عاماً، ولكن الرازى أبدى ملاحظته تلك وغيرها قبل ألف عام خلتْ»ـ عن جائزة الملك فيصل العالمية فى خمس سنوات، الأمانة العامة للجائزة 1977ـ 1982، ط1 1983، ص181.

هكذا كان دور الكتاب العربى، وهو دور يبدأ من وعاء الفكر والمعنى والدلالة والحضارة؛ اللغة، حيث كانت، وظلتْ، وستظلّ اللغة العربية وعاء للتراث العالمى.

صلاح جاهين: حياته ورباعياته

صلاح جاهين (25 ديسمبر 1930– 21 إبريل 1986) من مواليد شبرا بالقاهرة، التحق بكلية الفنون الجميلة ثم تركها ليلتحق بكلية الحقوق بناءً على رغبة والده الذي كان يعمل بالسلك القضائي. تأثر بعمل والده الذي كان يَجُوبُ المحافظات، حيث أكْسَبَهُ – هذا التّنقّل – معرفته بِنَمَط حياة ولهجات مختلفة في مصر، أحْسَن استغلالها في أشعاره العامية وأزجاله.

د.أحمد الجويلى

ahmed.ali.gowaily@gmail.com

بدأ حياته العملية في جريدة «بنت النيل»، ثم جريدة «التحرير»، أصدر أوّل دواوينه: كلمة سلام عام 1955. وبدأت شهرته كرسام كاريكاتير في مجلة «روز اليوسف»، ثم في مجلة «صباح الخير». اشتهرت شخصياته الكاريكاتورية، مثل: «قيس وليلى»، «قهوة النشاط»، «الفهامة».

أصدر عدة دواوين شعرية من أواخر الخمسينيات وحتى نكسة 1967. مثل: موال عشان القنال 1957. الرباعيات 1963. قصاقيص 1965.

وتنوعت أشعاره بين نوعين من المتناقضات فمنها السّارُ والبهيج، كما كان منها الحزين. ولكي ندلل على ذلك نجد المقطع الرائع في أغنية بالأحضان، دلالة على الشعر البهيج.

فَجَّر ينابيع الخير تحت أقدامْنا
والمستقبل خليه نور قُدّامنا
اللهم انصر بلدي، وأيّدها
بارِكْ خطوتها وخُذْ إيدها

ما هذه الروعة في كلمات «أقدامنا -قدّامنا» و «أيّدها – خُذْ إيدها» في مثل ذلك الجناس الرائع.

أما عن الجانب الآخر، وهو «جانب الحزن» نختار واحدة من الرباعيات، يقول فيها:

دخل الرّبيع بيضحك، لقانى حزين
نده الرّبيع على اسمى لم قلت ميـن!
حط الربيع أزهاره جَنبى، وراح
وشْتعمل الأزهار للميتين عجبى

يعلق الأستاذ يحيى حقي في تقديمه للرباعيات، على هذه الرباعية «بخطْوة متوقعة يسيرة ينتقل «صلاح» من الشعور بالخوف إلى الشعور بشكل الإرادة، فلا تفسير لهذا الشكل إلا بهذا الخوف المبدئي والبدائي. إنه شلل تام يكاد يشبه الموت، بل هو الموت بعينه».

كما نجد له رباعية، يمكن أن نقول – بعد قراءتها- إنها تتوافق مع الموقف النهائيّ له في الحياة، حيث يقول:

مرغم عليك يا صبح، مغْصُوب يا ليل
لا دخلْتها برجْلَيّا، ولا كان لى ميل
شايلنى شيل دخلت أنا في الحياة
وبكره ح اخرج منها شايلنى شيل عجبى

ولقد جاءت الرباعيات، عند «صلاح جاهين» مختلفة في الشكل عما جاء بأعماله الأخرى، مثل قصاقيص ورق.

وعوداً إلى رباعياته، وما تتضمن من أفكارٍ رائعة، وموضوعات مختلفة بث فيها تجاربه وخبراته في الحياة. نجد له رباعية، تناول فيها حيرته. يقول:

يا باب يا مقفول ... إمتى الدّخولْ
صُبرْت ياما، واللى يصبر ينُولْ
دقيت سنين، والرّدْ يرجع لى: «مينْ»
لو كنت عارف مين أنا كنت أقول عجبى
إنه لا يعرف كنهه! .. لا يدرى مصيره!!

يذكّرنا قوله هذا بالشاعر الكبير إيليا أبي ماضي في قصيدته: الطلاسم

جئتُ لا أعْلَمُ من أين . ولكنّ أتيتُ
هذا عن إيليا أبي ماضي.. أمّا عن «صلاح جاهين» فإنه يرى أن الأمر يختلط عليه، وهو يزداد – لذلك – حيرةً وتساؤلاً!! أين يمضى، وكيف السّبيل إلى الخروج من هذه المتاهات؟! إنه

في موقفين لا يعلم أيهما يسلك، وإلى أين المصير، لأنــه لا يدرى – أصْلا – كيف يســير! هل يســير في الظلام، أم ســيكون ســيُره نهارا حيث النّور والهداية، التي من المفترض أنها تأتي مع النّور والضّياء، لكنه – للأســف- يكون في حيرة من أمره، ويكون أمْرُه عُسْرا، حتى وإن جاء النّور ... وتكون حيرته أكثر مما هو فيه من قبل. يقول:

وأنا في الضّلام .. من غير شعاع يهتكه

أقــف مكــانى بخــوف ولا أتــركه

ولما بيجي النّــور وأشــوف الدّروب

أحتــار زيــادة .. أيــهــم أسْلُــكُــهْ

عجبى

ويعلق الأســتاذ يحيى حقى على «الاســتفهام» الــذي يطرحه صلاح جاهين في هذه الرباعية بأسلوب يميل إلى المرح والمداعبــة ويقول «فليس هذا باســتفهام محتاج إلى جواب! لا معنى أن تقول له خُذْ جوابك» خُد هذا الدّرب اليمين»، أو هذا «الدّرب الشِمال» أما في ســؤال «الأصْل هو الموت ولاّ الحيــاة» فإنّه – قطعــاً– يحتاج إلى جواب. ولو بقولك: «لا أدرى».

أثر المجتمع على تغيير السلوكيّات:

في عبارة رائعة، يســتهلُّ بها الأديب الرّائع «إحســان عبدالقدوس» روايته «الطّريق المسدود» يقول في مقدمتها: «إنّ الخطيئة لا تُولد معنا، لكنّ المجتمع هو الذي يدْفَعُنا إليها»!! وقد صدق.

كمــا صــدق شــاعرنا «صلاح جاهيــن».. فالناس يولــدون صفحةً بيضاءَ لكن بعض الناس، وقد اختلطوا – لســوء حظِّهم – ببعض الأشــرار، أصبحوا أشراراً مثلهم.. بل أشدّ منهم.. اسمعه يقول:

مع إن كل الخلْق من أصْل طيــن

وكلّهــم بينــزلوا مِغَمّضِيــنْ

بعد الدقايقْ ... والشّهور والسِّنين

تلاقى ناس أشرار وناس طيبيــن

عجبى

يعلّق الأســتاذ يحيى حقى على هذه الرباعية بقوله: «وصلاح يؤمن أنَ الأصْل في الخِلقةِ واحد.. ولكن المصير هو الذي يتغيــر.. ثم يأتي بالرباعية.. وبعدها يقول: ويَحْسُنُ بِنا أنْ نَقِفَ عند كلمة «طين»، في البيت الأول، فهي قَدْ تنْبِئ بأنّ «صــلاح» يعتقد بأنّ الأصل معدن خســيس يمثل الشّــرّ، في كل إنسان مُضغة منه».

عواطف الأخــوة: إنّ صلة الأرحام من أهم ما نَصّتْ عليه الأديانُ، لأنها هي التي تؤدي إلــى المحّبة والتّرابط، كما تزرع في القلوب قِيــم الحقِّ والعدْل، وتعمل على نشــر المحبة والسلام.. لكننا نجد – بكل أسف– تباعُدَ النّاس. فنجد تباعد الأخ عن شــقيقه. لذا نجد صلاح جاهين، في رباعية له ينتقد هذا الوضع:

قالوا الشقيــق بيمص دم الشقيــق

والناس ماهيّاش ناس بحق وحقيق

قلبى رميته، وجِبْت غيره حَجَــرْ

داب الحجــر، ورجعت قلبى رقيق

عجبى

كما تنــاول أغراضاً أخرى كثيرة، حيث تحدث عن غرور الإنسان فخاطبه بألفاظ قاســية مثل: «مــا أجْهَلك، ما أضألك.. يا موهوم. إلــخ. كما هاجم النّفاق، وتناول موضوع الشّر.. وتناول أمــوراً كثيرة رآها في وطنه.. لأنه كان يعيش آمال وطنه.. وأحزانه.. فالحياة خليط بين الأبيض والأسود.

هكذا كان تصوير «صلاح جاهين» لها فى رباعياتــه: مثلا رائعا لتجاوب الشاعر مع أفراح الشعب ومع النجاح.. وغيره..

وهو صورة رائعة للشــاعر النبيل، الصادق في كل موقف.

ابن سينا

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا، عالم وطبيب وفيلسوف وشاعر مسلم من بخارى، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما .ولد فى قرية أفشنة بالقرب من بخارى فى أوزبكستان حالياً سنة 980م وتوفى فى همدان فى إيران حالياً 1037م.

أ.د. محمد رضا عوض

m.redaawad@gmail.com

عُرف باسم الشيخ الرئيس وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبى الطب الحديث و«جالينوس الإسلام»، ألف حوالى 450 كتاباً كلها كتبت باللغة العربية باستثناء بضعة مؤلفات صغيرة كتبها بلغته الأم الفارسية . بقى منها 240 كتاباً فى شتى العلوم منها 40 كتاباً فى علوم الطب أشهرها موسوعة الشفاء وموسوعة القانون فى الطب.

أنشأ ابن سينا نظاماً طبياً حديثاً بناء على خبراته الشخصية فى الطب الإغريقى والطب الفارسى القديم والطب الإسلامى والطب الهندى ثم خبراته وتجاربه الشخصية فى ممارسة الطب. ويعتبر ابن سينا هو أبو الطب الحديث عند علماء الطب فى العالم الإسلامى والغربى على السواء وهو أول من كتب عن الطبّ فى العالم. استطاع الشيخ الرئيس ابن سينا أن يُقدم للإنسانية أعظم الخدمات والاكتشافات؛ فإليه يرجع الفضل فى اكتشاف العديد من الأمراض التى مازالت منتشرة حتى الآن؛ إذ إنه أول من كشف عن طفيلة (الإنكلستوما)، وسماها: الدودة المستديرة. ثم إنه تطرَّق إلى بعض أنواع الديدان الطفيلية الأخرى؛ مثل: ديدان العين، وديدان الفلاريا المسبِّبَة لداء الفيل .كما أنه أول من وصف الالتهاب السحائى، وأول من فرَّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلى فى الدماغ والشلل الناتج عن سبب خارجى، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفًا بذلك ما استقرَّ عليه أساطين الطب اليونانى القديم، فضلاً عن أنه أوَّل من فرَّق بين المغص المعوى والمغص الكلوى. وكشف فى دقّة بالغة عن أعراض حصاة المثانة السريرية، بعد أن أشار إلى اختلافها عن أعراض الحصاة الكُلوية. وذكر عدوى السل الرئوى، كما ميز التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوى. وأمراض الجهاز الهضمى وانتقال الأمراض التناسلية، والشذوذ فى تصرفات الإنسان. وكان ابن سينا صاحب الفضل فى علاج انسداد القناة الدمعية بإدخال مسبار معقَّم فيها! كما كان لابن سينا باع كبير فى مجال أمراض النساء؛ فوصف بدقّة بعضها مثل: الانسداد المهبلى، والإسقاط، والأورام الليفية. وتحدَّث عن الأمراض التى يمكن أن تُصيب النفساء؛ مثل: النزيف، واحتباس الدم، وما قد يسبِّبه من أورام وحميات حادَّة، وأشار إلى أن تَعَفُّن الرحم قد ينشأ من عُسر الولادة أو موت الجنين، وهو ما لم يكن معروفًا من قبلُ. كما تعرَّض -أيضًا- للذكورة والأنوثة فى الجنين، وعزاها إلى الرجل دون المرأة، وهو الأمر الذى أكَّده مؤخَّرًا العلم الحديث .كما كشف ابن سينا -لأوَّل مرَّة أيضًا- طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدرى والحصبة، والذى يعد نقطة تحول فى تاريخ الطب البشرى وصاحب فكرة الحجر الصحى للحد من انتشار هذه الأمراض، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة فى الماء والجو، وقال:» إن الماء يحتوى على حيوانات صغيرة جدًا لا تُرى بالعين المجرَّدة، وهى التى تسبِّب بعض الأمراض». وهو ما أكده (فان ليوتهوك) فى القرن الثامن عشر والعلماء المتأخرُون من بعده، بعد اختراع المجهر.

ويُظهر ابن سينا براعة كبيرة ومقدرة فائقة فى علم الجراحة؛ فقد ذكر عدَّة طرق لإيقاف النزيف؛ سواء بالربط، أو إدخال الفتائل، أو بالكى بالنار، أو بدواء كاوٍ، أو بضغط اللحم فوق العرق. كما نبَّه إلى ضرورة أن يكون المعالج على معرفة تامَّة بالتشريح، وذكر أهميه أثر المعالجة النفسانية فى الشفاء. وأشهر أعماله كتاب القانون فى الطب والذى ترجم وطبع عدّة مرات: والذى ظل يُدرس فى جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر، جمع فيه ما عرفه الطب القديم وما ابتكره هو من نظريات واكتشفه من أمراض، وهو أيضاً أبوالطب النفسى الحديث والتغذية الطبية، وأبو علم الصيدلة الإكلينيكية، وهو الذى قدم الطب التجريبى فى علوم الطب، وكيفية عمل التجارب على الحيوانات للأدوية المختلفة قبل استعمالها للمرضى، وتحديد سلامتها ودرجة فاعليتها والجرعة المؤثرة.

(Evidence Based Medicine)

وكتب ابن سينا مرجعاً يحتوى على 760 وصفاً كاملاً للأدوية والأعشاب المستعملة وطرق تحضير هذه الأدوية فى صورة حبوب أو شراب أو مروخ أو لبوس. وهو أول من استعمل الأدوية الكيماوية فى علاج الأمراض مثل استعمال الكبريت فى علاج مرض الجرب، واستحدث دواء لعلاج مرض الصرع وعلاج الشلل الرعاش وأمراض القلب. وفى العلوم الأخرى فهو يعتبر أبو الجيولوجيا الحديثة, وأبو علم الطبيعة الحديثة فهو صاحب قانون الثبات والحركة وقانون نيوتن الأول والذى نسبه لنفسه إسحاق نيوتن. وقد تُرجمت كتب ابن سينا فى الطب إلى اللاتينية ومعظم لغات العالم، وظلَّت حوالى ستة قرون المرجع العالمى فى الطب، واستُخدمت كأساس للتعليم فى جامعات فرنسا وإيطاليا جميعًا، وظلَّت تدرس فى جامعة مونبلييه حتى أوائل القرن التاسع عشر. توفى فى يونيو 1037ميلادية، الموافق لشهر رمضان المبارك، فى سن الثامنة والخمسين من عمره، ودفن فى همدان بإيران. وفى عام 1978 دعت منظمة اليونسكو كل أعضائها للمشاركة فى احتفال إحياء ذكرى مرور ألف عام على ولادة ابن سينا وذلك اعترافاً بمساهماته فى مجالى الطب والفلسفة والذى أقيم عام 1980 فى دمشق. ولقد كتب عنه العالم الكندى الكبير السير ويليام أوسلر إن كتاب قانون الطب كان هو الإنجيل الطبى والمرجع الوحيد لأطول فترة فى تاريخ الطب البشرى .

جابر بن حيان

هو أبو موسى جابر بن حيان الأذدل، وُلد فى مدينة حران فى شـــمال العراق وكان والده يعمل صيدليـــاً وينتمى إلى قبيلـــة أزد وهى قبيلة يمنية هاجرت إلى الكوفة فى عصر الدولة الأموية. عاش فى القرن السابع الميلادى وعمل فى مجال الكيمياء والصيدلـــة والطب وكان عالماً أيضاً فى الفلك والهندســـة والجيولوجيا والفلسفة وعلم الطبيعة.

كان والده من أنصار الحكم العباسى وكان يؤازرهم ضد الأمويين فأرســـله العباسيون إلى خراسان (إيران اليوم) لينـــال تأييدهم ضـــد الأمويين ولكنه قُبض عليه هناك وأُعدم وغادرت أسرته إلى اليمن، وهناك تعلـــم جابر القرآن والرياضيات. وبعد سيطرة العباسيين على الخلافة رجع جابر وأســـرته إلى الكوفة وبدأ ممارسة الطب تحت رعاية وزير الخليفة هارون الرشـــيد وأصبح تلميذاً وتابعاً للإمام الســـادس جعفر الصادق.

يُعتبر جابر بن حيـــان واحداً من أعظم علماء العالـــم العربى، فقد ترك تراثـــاً علمياً كبيراً حوالـــى 112 كتاباً مهداة إلى وزير الخليفة هارون الرشيد وســـبعين كتاباً فى الكيمياء من بينهم كتاب الزهـــرة وكتاب الأحجار. تُرجمت كتبه إلى اللاتينية وتحتوى بعض كتبه على نظريته الشـــهيرة عن التوازن فى الطبيعة. وذكر جابـــر فى كتبه فضل المصريين القدماء والإغريقيين والفرس على علم الكيمياء.

اعتمد جابر على إجـــراء التجارب الكيميائيـــة ويرجـــع لـــه الفضل فى اكتشاف واستعمال عشرات من الأدوات التى تُســـتعمل فى معامـــل الكيمياء الحديثة اليوم وأشهرها جهاز «الأمبيق» للتقطير الكيماوى. كان دقيقاً فى إجراء التجارب الكيميائية وكان يقول دائماً أن الأساسيات المهمة فى علم الكيمياء هى إجراء التجـــارب للوصول إلى الحقيقة، وهو الذى أرسى علم معادلات الكيمياء الحديثة وله الفضل فى اكتشاف وسائل جديدة لتحســـين صناعة الصلب ومنع الصدأ والتى تستعمل حتى الآن، وكذلك صناعة الذهـــب ودبغ الجلود والصباغة واســـتعمال أوكســـيد الماغنسيوم فى صناعة الزجاج والتى تســـتعمل حتى الآن.

نَجح ابن حيان فى اختراع نوع من الحبر يُمكن بواسطته رؤية الكتابة ليلاً، كما اخترع نوعاً من الورق يُقاوم الماء والحريق، ولقد اكتشـــف جابر عشرات المعادن والأحماض لأول مره فى تاريخ الكيميـــاء، وحضّر أيضاً مـــاء الذهب والصودا الكاويـــة، ونجح فى تحضير الأحماض مثـــل حمـــض الكبريتيك، النيتريك، هيدروكلوريك، واكتشـــاف المعادن مثل الزنك، انتمون، البزموت، الكبريت، والزئبق فأصبحت هذه المواد أساساً للكيمياء الحديثة.

كما أضـــاف الجديد إلـــى عملية التبخيـــر والتقطير والتبلـــور والمزج والتســـييل، وهو أول من فصل معدن الذهب عن الفضة باستعمال الحامض وهى طريقة تســـتعمل حتى الآن. كما اهتم جابر أيضاً بدراســـة الطب والفلك وكان عالمـــاً فى الهندســـة الكروية. و مهّـــد جابر الطريـــق للعلماء العرب من بعـــده فى علم الكيميـــاء كالكندى والرازى والذين عاشوا خلال الفترة من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر. وفى العصور الوســـطى تُرجمت كتب جابر بن حيـــان إلى اللاتينية وأصبحت مرجعاً لهذا العلم فى أوروبا لعدة قرون وبالأخص كتاب الكيميـــاء الذى ترجم بواسطة روبرت شيستر عام (1144م) وكتاب الســـبعين بواســـطة جيرارردى كريمونه عام (1187م). ولقد قال عنه ماكس مايرهوف «إن أثر ونفوذ جابر بن حيان موجود بعمق فى تاريخ الكيمياء الأوروبية». وقال عنه المؤرخ الكيميائى إريك جون هولميارد «إن أهمية جابر بن حيان فى تاريخ الكيمياء مساوية لعمل روبرت بويل ولافوازيه».

وفى عام 815م تُوفـــى جابر بن حيان فـــى مدينة الكوفة تـــاركاً تراثاً عظيماً فى علم الطب والكيمياء الحديثة.

وداعاً ستيفن هوكنج

فى شـــهر مارس الماضى أفل نجم من أكثر النجوم بريقاً وســـطوعاً فى ســـماء العلم والمعرفة والحضارة الإنســـانية، غيب الموت عالم الفيزياء البريطانى الفذ ستيفن هوكنج عن عمر يناهز 76 عاماً.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

ومن المفارقات أن هذا العالم الفذ الذى تعتبره الدوائـــر العلمية الدولية الضلع الثالث فى ثالـــوث أعظم علماء الفيزيـــاء فى التاريخ، اســـحق نيوتن وألبرت أينشـــتاين وســـتيفن هوكنج يصادف تاريخ وفاتـــه يوم 14 مارس تاريخ ميلاد أينشـــتاين منذ 138 عاماً كما أن يوم مولـــده فى 8 يناير 1942 يصادف يوم ميلاد عالم الفلك الإيطالى العظيم جاليليـــو جاليلى الذى ولد قبله بـ300 عام بالتمام.

ولد ستيفن هوكنج فى أوج اشتعال الحرب العالمية الثانية لأبوين متعلمين تعليماً راقياً فكلاهما تخرجا من جامعة أوكسفورد العريقة الأب فرانك هوكنج كان طبيبـــاً يعمل فى مجـــال البحث العلمى ووصل إلى منصب رئيس قسم الطفيليات فى المعهد الوطنى للأبحاث الطبية، أما الأم ايســـابل فقد درســـت الفلسفة والاقتصاد والعلوم السياسية. لم تبشر طفولة ســـتيفن بأى مظاهر للتميز أو النبوغ بـــل على العكس فقد تعثـــر فى دراســـته الابتدائية حتى أنه تأخر فى تعلم الكتابة حتى سن الثامنة، إلا أنه ما أن وصل إلى مرحلة المراهقة حتى بدأت معالم نبوغـــه تتضح، فقد تمكن وهو لم يتجاوز سن 16 فى عام 1958 أن يصنع جهاز كمبيوتر بسيط مستخدماً أجزاء من ساعة قديمة وأجزاء تليفون قديم مع ملاحظة أن الكمبيوتر فى هذا الزمن كان شـــيئاً مستحدثاً لا يعلم عنه شـــيئاً إلا نخبة مـــن العلماء والمتخصصين.

وفى سن السابعة عشرة حصل على منحة لدراســـة الفيزياء والكيمياء فى جامعة أوكســـفورد وفى أثناء دراسته الجامعية بدأت شخصية ستيفن تبشر بشـــاب نابه متفتح طموح مقبل على الحيـــاة فأظهر اهتماماً بالموســـيقى والمســـرح والرياضة فانضم إلى فريق التجديف الشـــهير لجامعة أوكسفورد إلا أن اهتماماته الجديدة لم تصرفه عن دراســـته فتخرج من الجامعة بتقدير امتياز مع مرتبة الشـــرف الأولى وقُبل لدراســـة الماجســـتير والدكتوراة فى جامعة كمبريدج.

وفى هذه المرحلـــة التى بدا فيها أن الدنيـــا قد أعطته كل شـــيء العلم والشباب والنجاح والشهرة وسط أقرانه، وقعت الطامة الكبرى عندما كشـــفت الفحوصات الطبيـــة التى أجراها عقب وعكة بسيطة أنه مصاب بداء نادر يؤدى إلى ضمور الأعصاب ثم يؤدى إلى الشلل التام وأخيراً إلى الموت وأعطاه الأطباء برهة لا تتجاوز العامين فى الحياة.

صدمة هائلة أصابت الشـــاب الذى لم يتجاوز عمره الواحد وعشرين عاماً ودخل فى نوبة مـــن الاكتئاب والعزلة. وفى هذه الظـــروف المفعمة بالظلام والكآبة أقنعه أصدقـــاؤه بالخروج من عزلتـــه وحضور حفل راقـــص، التقى خلاله جين وايلد الفتـــاة الجميلة التى تدرس اللغويـــات والتى حصلت لاحقاً على الدكتوراة فى الأدب الأســـبانى فى القـــرون الوســـطى، وكان الحب الذى أخرج ســـتيفن من عزلته ورغم معرفة الجميلة جيـــن بمرضه واحتمالات موته فقد تزوجته واســـتمر زواجهما قرابة الثلاثيـــن عاماً وقفـــت خلالها بجانبه وأنجبت له ثلاثة أبناء.

مع عودة الأمل الـــذى جلبته جين استمر ستيفن فى أبحاثه وتفوقه وحصل على الدكتوراة من جامعة كمبريدج فى عام 1966 ولم يتجاوز سنه 24 عاماً، وكان عنوان رســـالته خـــواص الكون المتمدد وحصل فى نفـــس العام على جائزة آدامز العريقة التى تمنح لأحسن الأبحاث العلمية منذ العام 1850 وكان من أصغر الذين حصلوا عليها سناً.

وشـــملت أبحاث ســـتيفن هوكنج نظريات نشـــأة الكون وأبرزها نظرية الانفجار الكبير والثقوب السوداء وكان أول من اقترح أن الثقوب السوداء يصدر عنها إشـــعاعات خلافاً للرأى المتوافق عليه بأن الجاذبية داخل الثقوب السوداء من القوة بحيث لا تســـمح لأى شيء أن يخرج منها حتى الضوء أو الإشـــعاع، وســـميت هذه الإشـــعاعات إشعاعات هوكنج تكريماً له. كمـــا أجرى أبحاثاً للتوفيق بين نظرية النســـبية والنظرية الكمية.

وكان تتويـــج رحلتـــه العلمية هو جلوســـه على كرســـى الرياضيات فى جامعة كمبريدج الذى تأســـس ســـنة 1663 نسبة إلى هنرى لوكاس لرئاسة قســـم الرياضيات والذى يعد من أهم المناصب الأكاديمية فـــى العالم وهو المنصب الذى احتله العديد من القامات العلمية أبرزهم العالم اسحق نيوتن. كما شغل ستيفن هوكنج العديد من المناصب العلمية الرفيعة، وشارك فى أبحاث فى

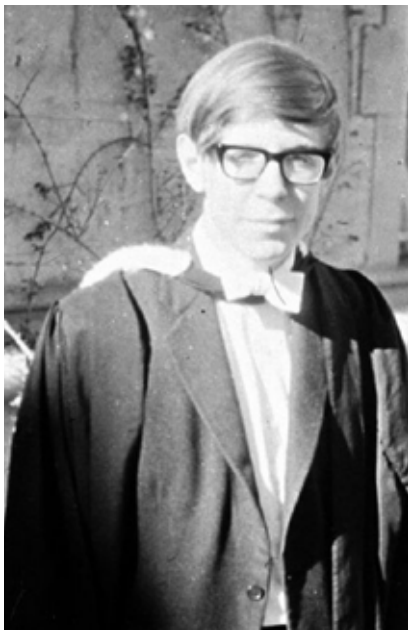

الولايات المتحـــدة وأوروبا ونال العديد من الجوائـــز والتكريم. ولعل من أجمل ما فى شـــخصية ســـتيفن هوكنج هو مرونة نظرته دون التعصب لرأى فرغم معارضته الشـــديدة لرأى عالم الفيزياء بيتر هيجز الذى طـــرح نظرية وجود مكون مفقود فى تركيب الذرة. ورغم أن أبحاث هيجز النظرية كانت تؤكد وجود هذا المكون منذ ستينات القرن الماضى إلا أنه لم يســـتدل عليه معملياً إلا بعد خمســـين عاماً عندما تم الاستدلال عليه فى إطـــار التجارب التى أجراها المركز الأوروبى للأبحـــاث النووية من خلال جهاز الهادرون التصادمى الكبير، التى أثبتت معملياً وجود بوزدن هيجز الذى أنكره هوكنج إلا أنه كان أول المهنئين لهيجز وأكد أحقيته فى جائزة نوبل فى الفيزياء التى نالها فى عام 2013 مدللاً على أن العالـــم الحقيقى هو من يبحث عن الحقيقة لا من يبحث عن إثبات رأيه الخاطئ.

ولعـــل الجانب المبهـــر أيضاً فى شـــخصية ســـتيفن هوكنج هو عدم استســـلامه لضعفه الجســـمانى وقد أصبح قعيداً مشـــلولاً مـــن رقبته إلى أصابع قدميه، فقد أصر فى عام 2007 أن يجتاز تجربـــة انعدام الجاذبية على متن إحدى الطائرات التابعة لوكالة ناسا الفضائية.

ورغم حالة ستيفن هوكنج الصحية وانشـــغاله الدائم فى أبحاثه وأسفاره العديدة لإلقاء المحاضرات والمشاركة فى الأبحاث إلا أنه لم ينعزل عن الشأن العام فـــكان مـــن المعارضين لحرب فيتنام وشـــارك رغم حالتـــه الصحية فى التظاهر ضدها، كما عارض بشـــدة غزو العراق وعـــارض خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبـــى. كما كان مؤيداً لحقوق الشعب الفلسطينى ورفض فى عام 2013 دعوة إســـرائيلية للمشاركة فى مؤتمر القدس الذى تقيمه إسرائيل ســـنوياً تحت رعاية رئيس جمهوريتها وتحت عنوان «مواجهـــة الغد» وتدعو إليه صفوة الشـــخصيات السياســـية والاقتصادية والعلمية والفنية وأكد أنه قاطع المؤتمـــر احتجاجاً على الاحتلال الإسرائيلى والمعاملة التى يلقاها الشعب الفلسطينى على يد سلطات الاحتلال.

ولم يكتف ســـتيفن هوكنج بأبحاثه وإسهاماته فى إثراء العلم لكنه عمل أيضاً على إيصال العلم بشكل مبسط إلى غير المتخصصين بكتب مبسطة كان أشهرها كتاب «تاريخ موجز للزمن» الذى نشر عام 1988 الذى بيع منه عشرة ملايين نسخة وترجم إلى ثلاثيـــن لغة، فظل فى قائمة أكثر الكتب مبيعاً لمدة تزيد على خمس سنوات، وأتبعه بالعديد من الكتب العلمية المبسطة فى علم الفلك من أبرزها «تاريخ أكثر إيجـــازاً للزمن» وكتاب «على أكتاف العمالقة» الـــذى يظهر تواضعه وإقراره بأنه ما كان يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه فى مجال البحث العلمى لولا إنجازات ما سبقوه من علماء عظام، وكتاب الانفجار العظيم والثقوب السوداء والعديد غيرها من الكتب العلمية المبســـطة. وفى إطار جهوده لتبسيط العلم قدم أيضاً العديد من الأفلام التليفزيونية فى بريطانيا والولايات المتحدة مثل سلسلة داخل الكون.

كما كتب مع ابنته لوســـى عدداً من الكتب العلمية المبسطة للأطفال أشهرها سلســـلة جورج وهو طفل يتعرف على أسرار الكون.

برحيل ســـتيفن هوكنـــج فقدت الإنســـانية إنســـاناً عبقرياً فذاً تحدى الإعاقـــة وأثرى العلـــم والعقل، واهتم بالشـــأن العام ورفض الظلم والاحتلال والحرب، وأعلن عن فلسفته فى كلمات بسيطة قال فيها: «ستظل الحياة مهمة طالما لم تستسلم».

وفى النهاية كرمت بريطانيا ابنها الفذ التكريم اللائق بدفنه فى كاتدرائية وســـت منســـتر بجانب ملوك وملكات بريطانيا، وجاء قبـــره مجاوراً لعملاق آخر من عمالقة العلم إسحق نيوتن.

سألت الرئيس ..

التواصل وقنوات الحوار المفتوحة فى أى مجتمع هى من أهم أدوات التفاعل البنّاء بين مختلف الأطراف والأطياف وبين المسئولين والمواطنين.. بما يحقق درجة أفضل من وضوح الرؤية للشعب حول توجهات وسياسات وقرارات الدولة.. كما يتيح للمسئولين التعرف على توجهات الرأى العام ونبضه..

د. وليد عوف
عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية
w.auf@medmark.eg

ومن واقع تجربتى الشخصية كانت لى عدة محاولات للتواصل مع كبار رجال الدولة فى مصر وأحياناً خارج مصر للتعبير عن آراء ومواقف.. أو انتقادات مختلفة وكنت دائماً أحرص على التعبير بشكل مختصر وموضوعى ولائق عند مخاطبة أى مسئول.. ولقد لاقت بعض محاولاتى نجاحاً وتوفيقاً فى الوصول للمسئولين والرؤساء وباء كثير منها بالفشل ولم يلق أية استجابة أو تعقيباً أو حتى إفادة بالاستلام..

وفى واقع الأمر فإننى أرصد اهتماماً حقيقياً من الدولة ومؤسسة الرئاسة لدعم وتطوير آليات التواصل الجماهيرى لمختلف الأغراض سواء لتقديم بلاغات أو شكاوى خدمية للمواطنين من خلال بوابة الشكاوى الحكومية التى تطورت كثيراً خلال السنوات الأخيرة من خلال مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار برئاسة مجلس الوزراء.. أو لأغراض التواصل فى الشأن العام.. ومن أبرز المبادرات فى هذا المجال المؤتمرات الرئاسية مع الشباب.. ومبادرة لنشر عنوان بريد إلكترونى للتواصل مع السيد الرئيس كانت تجربتى الشخصية أنا وبعض الأصدقاء فيها غير موفقة حيث توجهنا بعدة رسائل لآراء فى قضايا متنوعة للشأن العام دون أى رد أو تعقيب أو حتى إفادة أوتوماتيكية باستلام الرسائل.. مما يجعلنى أدعو كافة المسئولين والمعاونين لهم لوضع آليات لاستقبال الرسائل والتعامل معها جميعاً مع تقديرنا للحجم الهائل للرسائل.. وهو أمر متوقع يلزم الاستعداد له.. وعندما أطالب بالتعامل مع جميع الرسائل فإننى لا أقصد على الإطلاق أن يقوم المسئول المعنى بالإجابة والرد، فمن المفهوم أن هذا لن يحدث إلا لعدد قليل ومحدود للغاية من الكم الهائل للرسائل.. ولكن أضعف الإيمان وأبسط درجات التعامل هو مجرد رد إلكترونى يفيد باستلام الرسالة كما يمكن لعدد من الرسائل التى لن يتعامل معها الرئيس أو المسئول المعنى لحظياً أو مباشرة أن يتم الرد عليها فى توقيت لاحق من خلال الأجهزة المعاونة المختصة.. لأن ارتفاع مستوى التجاوب يدعم ثقة الجمهور فى آليات التواصل ويرفع درجة مصداقيتها وتفاعل الجمهور معها.

وكانت لى مؤخرا تجربة ناجحة فى التواصل مع السيد الرئيس من خلال مبادرة «اسأل الرئيس» حيث تم عرض سؤالى التالى وأجاب عليه السيد الرئيس يوم الأربعاء 16 مايو الماضى. وكان نص السؤال:

حوار ديموقراطى

سيادة الرئيس.. قضايا الأمن القومى لا تخفى أهميتها ومنطقتنا مستهدفة.. وإحدى الآليات المهمة لخلخلة أمن واستقرار المنطقة ترتكز على إشعال فتنة سنية شيعية بالمنطقة.. فهل تأخذ مصر زمام المبادرة فى فتح حوار واع وبناء من موقع القوة والاعتدال مع إيران لنزع فتيل هذه الفتنة.. خاصة وأن وضع إيران يزداد حرجاً بعد انسحاب أمريكا من الاتفاق النووى وضغوطها على أوروبا لعزل إيران.. وكذلك استهداف إسرائيل للقوات الإيرانية فى سوريا.. التوقيت الحالى يبدو مواتياً أكثر من أى وقت سابق يا سيادة الرئيس .. والقضية خطيرة ولها أبعاد إقليمية تمس أمننا القومى ومستقبل المنطقة.

وجاءت إجابة السيد الرئيس فى حوالى خمس دقائق ألخص فهمى وتحليلى لها على النحو التالي:

1 - بداية أقدر أن سؤالى المطروح حول الحوار مع إيران سؤال له حساسية إقليمية ودولية خاصة من الناحية السياسية وله أبعاد أمنية وعسكرية لا تخفى.. وبالطبع لا يتوقع أن يتناوله الرئيس بشكل مفصل ومباشر..

2 - إن مجرد اختيار هذا السؤال من بين حوالى 250 ألف سؤال توجه بهم المواطنون للرئيس ليكون ضمن مجموعة محدودة من الأسئلة التى يتفاعل معها السيد الرئيس وتعرض علانية فى حوار إعلامى يتابعه العالم.. يحمل رسائل واضحة حول اهتمام الدولة بالتساؤل المطروح..

3 - ما أشار إليه السيد الرئيس فى مستهل إجابته من نصح للجميع.. بتغليب النهج السلمى.. والسعى لتجنب الحرب.. وتوضيحه فى وقت لاحق أن مصر ليست مع جهة.. ضد أخرى.. يحمل رسائل بناءة وإيجابية لاهتمام مصر بالحوار السلمى.. كما يعبر عن إمكانية اضطلاعها بدور الوسيط الناصح بشكل متوازن بين الأطراف الرئيسية للخلاف..

4 - تطرق الرئيس لمراجعة الفكر والخطاب الدينى بما يدعم روح التسامح والتعايش السلمى بين المذاهب المختلفة بدلاً من التعصب والتحريض والعداوة.. وإشارته فى هذا الصدد لـ «الدكتور سعد» (والمقصود على ما أظن د. سعد الهلالي) دون إشارة للأزهر.. هى إشارة لها دلالة حول تقييمه لدور الأزهر.. وربما مؤسسات دينية أخرى بالمنطقة.. وهى دعوة مفتوحة لنبذ الفكر الطائفى..

ولا أستبعد.. بل أتمنى أن يساهم طرح هذا التساؤل وتفاعل السيد الرئيس معه بروح إيجابية فى التمهيد لحوار بناء لنزع الفتيل المشتعل حالياً فى المنطقة.. والله ولى التوفيق طالما صدقت النوايا.. وغلبنا صوت العقل..

الإنسان والتعود

الاعتياد على شـــىء معين إما يكون موروثاً، وإما نكتســـبه بالإرادة والممارسة. والعـــادات والطباع التى نجدها معنا أو فينا قد لا تكون كلها مرغوباً فيها، كســـرعة الغضب فى تعاملنا مع الأشـــخاص أو المواقف التى تمر بنا أو نمر بها، مثال ذلك إذا كسر أحدهم علينا أثناء قيادة السيارة ـ وكثيراً ما يحدث ذلك! فإننا ننفعل ونستشيط غضباً، وقد نوجه الســـباب ونشير بأيدينا لمن فعل هذا بما يحمل مشاعرنا الغاضبة، ولو نتج عن هذا الخطأ تلفيات بسياراتنا، سارعنا بالنزول من السيارة والاشتباك مع الشخص الآخر بغليظ القول، وقد يتطور الأمر إلى تشابك بالأيدى وما إلى ذلك.

هذه مجرد عينة لسرعة الغضب وعدم التروى والتأنى فى المواقف التى لا نحبها..

وسرعة الغضب سواء فى هذا الموقف أو غيره قد تكلفنا الكثير، وقد تخســـرنا أعز النـــاس إلينا كالزوجـــة أو الصديق أو القريب، وكثيراً ما يحدث ذلك ونســـمع به أو نقرأ عنه فى أخبار الحوادث فى الصحف، كأن يرمى الزوج يمين الطلاق علـــى زوجته إذا تأخرت ـ مثلاً ـ فى إعداد الطعام أو خرجت من المنزل دون إذنه.. إلخ.

الإنسان يستطيع ـ إذا توافرت لديه الإرادة ـ أن يعدل عن سرعة الغضب هذه بـــدلاً من أن يظن أن الطباع الموجـــودة لديه أزلية ولا يســـتطيع حيالها شـــيئاً، لا.. بل يســـتطيع كل واحد منا أن يغير مـــن عاداته وطباعـــه بما يجعل منه إنســـاناً أفضل. كل ما هنالك أن يزيل عنه الاعتقـــاد بأبدية ما وجد نفســـه عليه من طباع، وأنه يمكنه اســـتبدالها بغيرها بمجرد تفعيـــل الإرادة، إلى أن تتحول مع الوقت والممارسة إلى طباع أخرى نمارسها بلا مشقة ولا تكلف.

سفير د. فتحى مرعي

ولو لم يكن ذلك كذلك لما أرسل الله الأنبياء والرســـل إلى أقوامهم لكى يكفوا عن عبادة غير الله من تماثيل أو أصنام أو حيوانات، بلا تفكير أو تدبر، وإنما لأنهم وجدوا آباءهـــم كذلك يفعلـــون «قالوا يا صالح قد كنت فينـــا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباونا» «هود 62» والذيـــن أصروا منهم على أن يعبدوا ما وجدوا أنفسهم عليه من دون اللـــه، حاق بهم ما كانوا يكســـبون فى الدنيا ولعذاب الآخـــرة أكبر لو كانـــوا يعلمون. والذين اهتدوا زادهـــم الله هدى وأصلح بالهم.

إلا أن بعـــض الناس يلتصقون بما وجدوا أنفســـهم عليه، ويقول الواحد منهم «أنا كده ومش هتغير» وهذا قول خاطئ مرده إما ضعف الإرادة وإمـــا العناد، أو الغرور أو الجهل. الإنســـان ـ كل إنســـان ـ ينبغى أن يراجع نفســـه بغرض الارتقاء بها وحملها على ما يجعل الواحد منا إنساناً له إرادة يستطيع أن يفرض بها على نفســـه ما يراه صواباً أو مناســـباً مـــن العادات والطباع.

ومن العـــادات التى يتعين أن ننأى بأنفسنا عنها التدخين الذى يضر أكثر بكثيـــر مما ينفع. علو الصوت الذى يزعـــج الآخرين بلا داع أو مبـــرر. الغـــرور والخيلاء والتباهى بما لدينا من الأشـــياء. الحديث عن الناس بما يسيئ إليهم فى سمعتهم. الكسل والتراخى فى النهوض بما يجب علينا أن ننهض به. عدم الإحســـاس بالمسئولية تجاه الآخريـــن أو المجتمع. عدم احترام المواعيد. الأنانية المفرطة.

ومن العـــادات التى يجب أن نتخذها الصدق والأمانة والتواضع، وأن نفى بما نعد به، هذا إذا أردنا أن نقوّم أنفســـنا وأن نرتقى بها، وهذا ما ينبغى أن يكون.

دبلوماسية كرة القدم

منذ ظهور مفهوم القوة الناعمة وبلورته على يد عالم السياسة الأمريكى الشهير «جوزيف ناي» فى العقد الأخير من القرن العشرين، وبالرغم من كونه عكس واقعاً كان موجوداً لقرون طويلة من التاريخ الإنسانى، فإنه كان مفهوماً كاشفاً لمكونات ومفردات تدخل تحت مظلته، ومن بينها ما أطلق عليه «دبلوماسية الرياضة»، والتى كان من أشهر تجلياتها ما عرف بـ «دبلوماسية تنس الطاولة» فيما بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين الشعبية، وهو ما تجسد فى زيارة فريق تنس الطاولة الأمريكى للصين الشعبية فى أبريل 1971 فى أول زيارة لوفد أمريكى إلى الصين الشيوعية بعد عشرين عاماً من آخر زيارة أمريكية إلى الصين، وهى الزيارة التى مهدت لاحقاً لزيارة الرئيس الأمريكى الراحل «ريتشارد نيكسون» إلى العاصمة الصينية «بيجين» ولقائه التاريخى مع الزعيم الصينى الأسطورى الراحل «ماو زى دونج» فى الفترة ما بين 21 و28 من شهر فبراير من عام 1972، وما ترتب على ذلك من تطبيع أتى سريعاً للعلاقات بين البلدين الكبيرين.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وتأتى مناسبة مشاركة منتخبنا الوطنى لكرة القدم فى كأس العالم المقام فى روسيا الاتحادية، وذلك فى المشاركة المصرية الأولى فى هذه البطولة الأكثر شهرة فى العالم منذ 28 عاماً، نظراً لكونها بطولة الرياضة الأكثر شعبية فى العالم بأسره اليوم، كفرصة جديدة ومهمة للحديث مجدداً عن الرياضة كأحد المصادر البارزة والمكونات المحورية لمفهوم «القوة الناعمة»، ومن هنا يتجدد الحديث أيضاً عن «دبلوماسية الرياضة»، ومن أهم ما يندرج تحت هذا العنوان العريض هو مفهوم «دبلوماسية كرة القدم»، وهو مفهوم، مثله فى ذلك مثل المفهوم الأعم الذى يضمه بين جنباته «دبلوماسية الرياضة»، يرتبط بنشر صورة وردية عن الدولة والمجتمع والثقافة التى جاء منها هذا المنتخب الوطنى، وأيضاً بتوجيه رسالة إيجابية إلى مختلف أرجاء العالم عما تحتويه هذه الدولة وعما أنتجه هذا المجتمع على مدار تاريخه الطويل من عطاء حضارى ومنظومة قيمية وإسهام ثقافى، وكذلك بالترويج لنموذج إنسانى يمثله أبناء هذا المنتخب من لاعبين وجهاز فنى وإدارى وطبى والمنظومة التى تقف خلف هؤلاء جميعاً من إدارة للرياضة عموماً ولكرة القدم تحديداً، بكل ما يشمله هذا النموذج من مباديء ومثل عليا، وهو جهد ترويجى تترتب عليه مكاسب متنوعة ومتعددة.

إلا أن هذا الدور لـ «دبلوماسية كرة القدم» لا يقتصر على ما هو «تاريخي» وماضوي»، بل يجب أن يعكس سلوكاً حضارياً راقياً يتسق مع الخلفية التاريخية المضيئة التى يمثلها المجتمع الذى جاء منه المنتخب الوطنى ويجسد تلاقى عبقرية الزمان مع عبقرية المكان، وهو المفهوم الذى بلوره وأحسن صياغته فى أرقى مراحله وأكثرها تقدماً المفكر المصرى الراحل الكبير جمال حمدان، والتى تمثلها الحالة المصرية فى أروع تجلياتها، ففى نهاية الأمر فإن المشاركة فى كأس العالم 2018 فرصة لتصحيح ممارسات عديدة باتت منتشرة لدى البعض، منها الاكتفاء بالحديث عن أمجاد الماضى والتغنى بها، أو الاستعلاء على الآخر انطلاقاً من الارتكان على هذا الماضى التليد، ويتعين بدلاً من ذلك الارتقاء بالذوق والسلوك وضرب المثل من خلال النموذج، والجمع بين الماضى والحاضر، بل والمستقبل أيضاً، فى كل متكامل يراعى التواصل التاريخى وعدم الانقطاع بين مرحلة وأخرى وتأكيد الانفتاح على الآخر والتفاعل الإيجابى والبناء معه من منطلق الانتماء للإنسانية الواسعة الرحبة الواحدة، مع استمرار التمسك بالثوابت الثقافية والحضارية ودونما تفريط فى المميزات المجتمعية للشعب المصرى العريق، بل مع تعظيم هذه العناصر التى تعكس الخصوصية المصرية، والتى تمثل بدورها نتاجاً حياً لدوائر عديدة متفاعلة عبر الحقب التاريخية المتتالية منها الدوائر العربية والأفريقية والإسلامية والمتوسطية والآسيوية والعالم ثالثية، بل وحتى الدائرتين الأوروبية والآسيوية أيضاً، وبدون انتقاص من دور كل مرحلة أو التقليل من شأن إسهامها فى صياغة هذه التركيبة المصرية الفريدة ذات البصمة العالمية الخالدة على المسيرة البشرية أمس واليوم وغداً.

إلا أنه بعيداً عن تأكيد تواجد مقومات القوة الناعمة اللازمة لتوظيف المشاركة المصرية فى كأس العالم للترويج لها عبر آلية «دبلوماسية كرة القدم»، فإن مجرد تواجد هذه العناصر لا يعد كافياً فى حد ذاته، بل يستدعى الأمر بالضرورة استراتيجيات تعنى بكيفية التحرك لتحقيق هذا الترويج على الأرض ولتحويل وجود المقومات إلى حقيقة ملموسة وواقع معاش ولترجمة ما هو مخطط فى هذا الشأن من غايات عامة ومطلقة إلى خارطة طريق محدد لها تتابع مراحلها والارتباط فيما بينها والأهداف النسبية لكل مرحلة والتكتيكات الخاصة بضمان النجاح فيها عبر البناء على ما قبلها والتمهيد لما هو آت بعدها.

وإذا انتقلنا من الحديث عن القوة الناعمة ومقوماتها ووسائل وأدوات وآليات الترويج لها، سواء فى العموم أو فى الحالة المصرية بشكل خاص،

إلى الحديث عن الريادة المصرية فى الرياضة بصفة عامة وفى كرة القدم على وجه الخصوص، نجد أن لمصر باعاً طويلاً فى الرياضة، سواء تاريخياً منذ التاريخ الفرعونى، كما هو ثابت من الرسوم على جدران المعابد الفرعونية القديمة، أو فى الحقب التاريخية التالية من بطلمية/إغريقية، ورومانية، وعربية/إسلامية، وحديثة ومعاصرة، وفى زمن الأولمبياد الحديثة كان لمصر وأبطالها وفرقها ومنتخباتها الوطنية المختلفة بصماتها التى لا تنسى وأثرها الذى لا يمحى وأرقامها القياسية فى ألعاب عديدة فردية وجماعية للرجال والسيدات على حد سواء. وإذا عدنا مرة أخرى إلى الرياضة الشعبية الأولى فى العالم، وأعنى كرة القدم، فإن لمصر ريادة عربية وأفريقية ومتوسطية، بل وعالمية فى بعض الحالات.

ومن الصحيح أن اللاعب «محمد صلاح» هو حالة متألقة ونموذج متوهج فى التفوق المصرى العالمى فى كرة القدم، وجميع المصريين فخورون بما حققه فى زمن قياسى قصير نسبياً من إنجازات فى سويسرا ثم إيطاليا ثم المملكة المتحدة حيث وصل إلى قمة نضوجه الكروى، وكذلك فإن تفرده وما وصل إليه من مكانة لا يأتى فقط عبر الموهبة الرياضية والجد والاجتهاد وبذل الجهد والعرق ولكن أيضاً من خلال النموذج الذى أعطاه كمثال وقدوة على حسن السلوك المتحضر والراقى والأخلاق الرياضية الرفيعة، أخلاق الفرسان، وحسن العلاقة مع زملائه، بل ومنافسيه، وهو ما أوجد حالة ترويج «مجانية» لمصر فى العالم الخارجى، خاصة فى المملكة المتحدة ومن قبلها فى إيطاليا ومن قبلها سويسرا، ولكن أيضاً فى السياق الأوروبى، بل والعالمى، الأوسع، حيث أن التقدير والإعجاب بصلاح جذب الكثيرين من مشجعيه للتعرف أكثر على بلده مصر وعلى تاريخها وثقافتها وشعبها ومجتمعها وعاداتها وتقاليدها وقيمها، بل إن الكثيرين من محبيه قفزوا فوق مرحلة السعى للمعرفة إلى مرحلة الإعجاب التلقائى بمصر والشغف بها وبشعبها وبثقافتها وبعطائها التاريخى نتيجة حبهم لنجمهم المفضل صلاح.

إلا أن ما سبق لا يتعين أن يجعلنا ننسى أو نغفل عن حقيقة أن الإنجازات المصرية فى رياضة كرة القدم لها تاريخها منذ نشأة اللعبة وليست حديثة عهد، سواء قارياً أو عربياً أو متوسطياً أو دولياً، ومن ينسى فوز مصر بالمركز الرابع فى كرة القدم فى أولمبياد طوكيو عام 1964؟ ومصر كانت مهد بطولات كأس الأمم الأفريقية وأول منتخب وطنى يفوز به ومقر الاتحاد الأفريقى للعبة، والمنتخب المصرى لكرة القدم هو من حصد العديد من البطولات على الصعيد العربى، وكذلك فى بطولات كرة القدم فى إطار دورات الألعاب المتوسطية، ناهيكم عن ألقاب حصدتها فرق أندية مصرية عديدة على صعيد بطولات كروية أفريقية وعربية ومتوسطية وهو الأمر الذى لا يتسع المجال لذكره تفصيلاً فى هذا المقام ولكن لزم التنويه إليه فى عجالة ولم يكن من الممكن أو الجائز أن نتغافل عنه بل لزم على أقل تقدير وفى أضعف الإيمان أن نمر عليه ونعرض له وبشكل سريع.

وعلى صعيد الأخلاق الرياضية الأولمبية فهناك العديد من الأمثلة التى يمكن أن نضربها هنا، وقد رأيت بعينى مدى ما يكنه الشعب اليابانى بأسره من إجلال على سبيل المثال لبطل الجودو المصرى العالمى محمد على رشوان بسبب سلوكه الحضارى فى أولمبياد لوس أنجلوس عام 1984 حين رفض الإجهاز على منافسه اللاعب اليابانى «ياسو هيرو» عندما علم بإصابته خلال لقائهما، وبالتالى ضحى بحصوله على المركز الأول والميدالية الذهبية التى كان يستحقها عن جدارة وحصل على المركز الثانى، ولكنه حصل فى المقابل على حب واحترام وتقدير الجميع وتم تكريمه آنذاك من اليونسكو التى منحته ميدالية «الروح الرياضية» كما تم اختياره بسبب هذه الواقعة فى نفس العام، 1984، للقب واحد من أفضل ستة رياضيين فى العالم. وهكذا قدم دعاية مجانية تساوى بلايين الجنيهات لمصر، بل وللعرب والمسلمين، فى العالم ككل. ولهذا فإن اللاعب محمد صلاح ليس نبتاً منقطع الصلة بما قبله بل هو امتداد أصيل لسلسلة من النماذج المشرفة فى الرياضة المصرية أداءً وأخلاقاً وسلوكاً وعطاءً.

وهكذا تبدو الفرصة ذهبية وتاريخية أمام المنتخب المصرى، هذه المرة فى روسيا لإعادة إنتاج التاريخ مرة أخرى من خلال الأداء الجاد والاجتهاد الدائم وبذل العمل الدءوب وضرب المثال والنموذج عبر الخلق الرفيع والسلوك الحضارى الرياضى للدلالة على عمق عطاء الشعب المصرى للإنسانية فى مختلف مناحى الحياة، بما فيها الرياضة، على مدار التاريخ، بما فى ذلك زماننا الراهن، وحتى تكون الرسالة واضحة حول قيم شعب مصر ومبادئه ومثله العليا، للبشرية جميعها، وعبر أحد أهم وسائل التواصل والتفاعل مع شعوب العالم، وهى رياضة كرة القدم، ومن خلال أهم الفعاليات الدولية لتلك الرياضة، أى كأس العالم للعبة، ومن شأن ذلك أن يكون بمثابة نقل صورة براقة وجذابة عن مصر وشعبها ومجتمعها وثقافتها يترتب عليها عوائد كثيرة معنوية وأدبية ومادية، بما فى ذلك جذب السياحة والاستثمارات والتكنولوجيا إلى مصر من مختلف أنحاء العالم للمساهمة فى تحقيق الرخاء والرفاهية للشعب المصرى، وبما يساعد على بناء مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة المهمين لمستقبل الشباب والنشء فى مصر، ولكن أيضاً لجذب التبادل الإنسانى بين مصر من جهة وعوالمها التى تنتمى إليها من جهة أخرى، خاصة جذب زيارات الشباب لمصر من كل حدب وصوب، وهم نصف الحاضر وكل المستقبل، ويتحقق ذلك كله عبر الترويج الإيجابى والبنّاء لمصر من خلال رياضة كرة القدم فى لقطة تاريخية من الممكن أن تكون الأكثر إشراقاً التى تشهدها الأجيال الموجودة حالياً منذ سنوات عديدة.

اصدق تمنيات أسرة مجلة الدبلوماسى لمنتخبنا القومى بالتوفيق فى روسيا 2018 وتحقيق آمال الجماهير

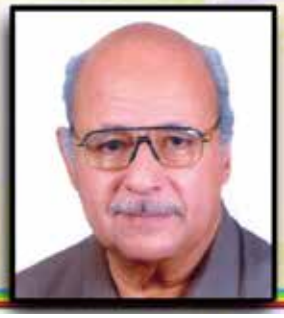

السفير فخرى عثمان

الفنان طاهر عبد العظيم

نقطة نور (Light Spot)

أقام الفنان طاهر عبد العظيم معرضاً لأعماله الفنية من اللوحات الزيتية والباستيل والإكريليك المائية فى قاعة (الباب) فى ساحة دار الأوبرا. والفنان حصل على درجة الدكتوراة من كلية الفنون الجميلة (تخصص ديكور عام 2001)، وأقام العديد من المعارض المحلية والدولية التى استلهم وقودها من البيئة المصرية، كما أشرف على العديد من الرسائل الجامعية وناقش الكثير منها. نال العديد من الجوائز المحلية والدولية المهمة فى مجال الفنون والتصميم، وله أبحاث علمية والعديد من أعمال جداريات ومنجزات فنية بمطار القاهرة الدولى الجديد كما أقام العديد من المعارض الخاصة والجماعية وورش العمل المحلية والدولية.

ويقول أ. د. خالد سرور رئيس قطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة: تمثل أعمال الفنان رحلة خاصة فى أجواء المحروسة وتعكس ميله وشغفه بالحياة الشعبية البسيطة بشوارعها وأزقتها وسواحلها وحقولها وبين المداحين والصيادين والفلاحين والبائعين، فى حركة رصد فنى لمظاهر وعادات مصرية أصيلة ..إنه يقدم للمتلقى حالة بصرية جمالية مشوقة وممتعة.

ويقول الفنان د. محمد الناصر: يتغنى باللون مستغرقاً لتأتى عجائنه محملة بإيقاعات موسيقية متنوعة تحمل ثراءً نابعاً من وعيه بمتطلبات المشهد والحالة الواقعة بين الحلم والواقع تحت تأثير العلاقات اللونية حيث طوعها للحالة باقتدار وتمكن.

سبق لى أن علقت على إبداع سابق للفنان ورأيته متمسكاً

الفنان بكر الشعراوى

(حكايات)

بالواقعيـــة المصرية والبراعة فى مزج الألوان الســـاخنة القوية فى مذاقها ولحنها وصداها. ويتســـم فـــى إبداعه بالدقة فـــى علاقات الضوء والظل فـــى كافة مفردات العمل والبراعة فى اختيار الألوان المتناغمة وأحيانـــاً غير متناغمة هذا بالإضافة إلـــى الجرأة وعدم التردد فى ضربات فرشـــاته التى تحمل اللون مع الاهتمام البالغ فى تحديد موقع بـــؤرة الضوء وغالباً فى وســـط اللوحة لتقدم ومضات ضوئية بلمسات لونية داخل ظلال اللوحة لتستدعى المتلقى للغوص فى داخل عمق اللوحة ويســـتمتع بما يدور حوله فـــى عمق الواقع المصرى التراثى الشعبى وبرحيقه الأصيل.

كل التحيـــة والتقدير للفنان المصرى ابـــن وادى النيل الخالد طاهر عبدالعظيم.

وقـــد فوجئـــت بعـــد مرور أسبوعين يقيـم الفنان معـرضـا آخر فـــى قاعة المركـــز الثقافى الروســـى للأعمـــال الفنية تحت عنـــوان (حكايات) وقـــد افتتحه المستشـــار السياســـى والثقافى للسفارة الروســـية ,وقد انبهرت بغزارة الأعمـــال من اللوحات التى غلفت جميع جدران قاعة العرض وقد استخدم لغة واحدة فى إبداع اللوحـــات وقد ضاعفـــت الألوان المستخدمة من قوة إضاءة القاعة حيـــث وضح مدى عمـــق طاقات الفنان الإبداعية فـــى العديد من المجالات ومـــدى الكفـــاءة فى استخدام الألوان الساخنة والعزف بها للتعبير وبحسه الفنى المتميز فى ســـرد موضـــوع الحكايات الغزيرة المتراكمـــة فى وجدانه، أعجبت كثيـــراً لمدى التناســـق والتناغم بين الألـــوان والمفردات التـــى تتطلب مـــن المتلقى عدم الســـرعة فى التنقل بين كل لوحة ولوحة والتأنى فى محاولة التعرف على مضمون كل حكاية وأبعادها التى تســـتقبلها حواس الإنسان لتسعده وتبهجه!!

ومع كل تقديرى للفنان .

مدريد.. نار الله الموقدة

يحدثنا أمير الصحافة أن أصدقاءه المصريين فى باريس نصحوه ألا يزور إسبانيا فى شهر يوليو 1949، لأن الحر لا يطاق وخصوصاً فى مدريد.

قلت: وهل تكون شراً من القاهرة؟

قالوا: بكثيـــراً.. لأن القاهرة مهما اشـــتد حرها وقيظها بالنهـــار، فإنها تعوضك خيـــراً فى المســـاء، وليالى القاهرة يغازلها دائما النســـيم العليل.. أما مدريد!

وها أنذا أكمل عبارتهم بعد أن عرفت مدريد.... (أما مدريد فنار الله الموقدة! نهارها وليلها سواء بل لعل ليلها شر من نهارها بكثير!).

ولكن كان لا بد أن أزور إســـبانيا وأطـــوف بمدنها الكبـــرى وخصوصا (مدنهـــا) العربيـــة الأندلســـية.. طليطلة- ويســـمونها هنـــا (توليدو) وأشبيلية (ســـيفيل) وغرناطة وقرطبة أو (كوردوفـــا).. وأن أرى بدائع الفن العربي- أو ما بقى منه! أو بعبارة أدق (ما بقى القـــوم هنا منه!) وعملية الهدم تجرى الآن فى آخـــر دار عربية كانت باقية فى مدريد.. وهم يهدمونها لكى يقيموا مكانها عمارة حديثة البناء!

كان لا بد أن أزور إســـبانيا بعد أن كنت هممت بزيارتها مرتين، وعدلت عن زيارتها مرتين.

الأولى فى عـــام 1937، وقد حال نشوب الحرب الأهلية دون زيارتى.

والثانية منذ عامين فى عام 1947..

وهكذا غـــادرت باريـــس بقطار الصباح لكى أمضى فى القطار ســـتاً وعشرين ساعة قبل أن أصل إلى مدريد!

والطائرة تقطع المســـافة فى أربع ســـاعات، ولكننى - والأعمار بيد الله- لـــم أكن فى يوم ما من أنصار الســـفر بالطائرة!

ومضـــى القطـــار - ويســـمونه إكسبريس الجنوب- مارا بأورليان وبلوا وبواتييه وأنجوليم... وهى مدن وأسماء معالم شهيرة فى تاريخ فرنسا..

وفى هذه الرقعة بين بواتييه وتور وإنجولى لقيـــت جيوش العرب الغازية أول هزيمة منذ انطلقـــت من صحراء العرب مكتسحة ما أمامها عبر فلسطين

شريفة محمد التابعـى

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com

ومصر وشـــمال أفريقيا وبوغاز جبل طارق وإســـبانيا وجبـــال البرنيز إلى ضفاف الجيروند وما يليها..

هنا قابلهم شارل مارتل الفرنسى، ودحرهـــم فـــى معركة مـــن المعارك الحاسمة التى غيرت سير التاريخ..

وارتد المد العربى إلى جزر

ولـــولا هـــذه المعركة الحاســـمة لكانت جيوش العرب مضت فى سيرها وأخضعت فرنسا كلها ورفعت أعلام الهلال على القرية الصغيرة يومئذ التى أصبحت اليوم باريس!!

ومن يـــدرى فلربمـــا كان العرب والأتراك التقوا بعد ذلك بنحو ستة قرون فى وسط أوروبا..

وأفقت من هـــذا الحلم عندما وصل القطار إلى مدينة بوردو، وكانت الساعة الثالثة بعد الظهر.

وقام المســـافر الجالس أمامى إلى (الترموتير) المعلـــق عند مدخل عربة البولمان وعاد يقول: (36).

أى أن درجة الحرارة 36 فى الظل!

فماذا تكون فى الشمس، بل ماذا تكون فى مدريد؟

ولكننى كنت انتقلـــت من حلم إلى حلم..

وفى بلدة (هنـــداي) - وقد وصلنا إليها قبيل الساعة الثامنة مساء، أتممنا إجـــراءات الجمرك وفحـــص جوازات السفر...

ثم مضى بنا القطار - وقد خرجنا من الأرض الفرنسية- إلى بلدة (إيرون) وهى أول بلدة على الحدود الأســـبانية، وهنـــا غادرنا القطار الـــذى حملنا من باريس...

وتغير الحـــال! وجوه مختلفة ولغة مختلفة، وعادات مختلفة، وفى (بوفيه) المحطة أمهات يحملن أطفالاً، ويسحبن بأيديهن أطفـــالاً، ويحيط بهن أطفال.. تماماً كأنك فى محطة طنطا أيام مولد السيد البدوي! والذباب الذى كنا لا نراه إلا نادراً فى فرنســـا.. أقبل علينا يحط ويحيى تحية المشـــتاق! ولعله شم فى رائحة الذى أنجبه ورباه ثم أطلقه لعنة على العالمين!

وبين صراخ النسوة وعويل الأطفال وطنين الذباب أحسســـت أننى لســـت (غريباً) وأننى قد استبدلت أهلا بأهل! وأننى هنا فى وسط (بلديات) وأن هذا الذباب هو الشاهد الحى القائم على أن للشرق والسلف الصالح فى إسبانيا آثاراً لن يقوى على محوها الزمن!.

والإهمال... وعدم الاهتمام... وشباك التذاكر الـــذى كان يجب أن يفتح قبيل وصول القطار يفتح بعد، لأن الموظف المختص لم يحضر بعد!.

ووقفنا طابوراً طويلاً أمام شـــباك التذاكر... ولما طال بنا الوقوف، وقرع زجاج شـــباك التذاكر على غير طائل، ومضينا - ونحن أبنـــاء أمم مختلفة- نســـتنزل اللعنات على أم رأس أو رأس أم الموظـــف المذكـــور باللغات الحية والميتة!.

وأخيراً حضـــر الموظف، ولم يبق على موعد قيام قطار مدريد سوى بضع دقائق!.. وبدلاً مـــن أن يبدأ عمله فوراً مضى أولاً إلى زميل لـــه يقترض منه سيجارة... ثم يشعلها على مهل وينفخ دخانها مرتين وثلاث مرات...

وأخيراً... تحرك بنا قطار مدريد فى تمام الساعة العاشرة مساء، وقد غربت الشـــمس منذ دقائق فقط تاركة وراءها

عنـــد الأفق لجة من الـــدم تطفو فوقها عروض من الذهب المذاب.

وفتحت نافذة ديوان النوم، ولكن أين هو الهواء!.

وعجبت كيف كان العرب يصومون شهر رمضان فى إسبانيا إذا حل الشهر المبارك فى الصيف؟

إن الشـــمس لا تغرب هنا فى شهر يوليو إلا بعد منتصف الساعة العاشرة مســـاء، فكيف يكون الصيام!.. ومتى يكون الإفطار؟ ومتى يكون تناول طعام السحور؟!

وقلت وأنـــا أتقلب فى فراشـــى، والقطـــار يهدر فى طريقه، ويتســـلق رويداً رويداً جبـــال البرنيز، وقد بدأت أحس لذة نسيم الليل – بعد أن ارتفعنا عن سطح البحر نحو ألف متر أو تزيد – قلت.. (لعل العرب زهدوا فى إسبانيا وتركوا الأندلس هرباً من صيام شـــهر رمضـــان فى هذا البلد الـــذى لا تغرب شمسه إلا بعد 18 ساعة من الشروق)!.

وأقبلنا على مدريـــد فى منتصف الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالى...

ومدريد عاصمة إســـبانيا أشـــبه بالمرآة التى لا هى جميلة ولا هى دميمة! لا خفيفة الـــدم... ولا ثقيلة الدم! مدينة عادية تماماً لا طابع لها ولا لون.

لباريس مثلاً طابع خاص، ولروما طابع خاص، وللنـــدن طابع خاص.. ولـــكل عاصمـــة تقريباً مـــن عواصم أوروبا من أنقرة واســـتانبول إلى فيينا وبودابست طابع خاص... إلا مدريد!

فى بعض أحيائهـــا القديمة يخيل إليـــك أنك فـــى رومـــا!.. و فى بعض شـــوارعها التجارية يخيل إليك أنك فى باريس!.

وإذا جســـت خلال حواريها – وما أقذرها– ظننت أنك فى حى (الإيســـت إند) فى لندن!.

ولكن لمدريد ميزة واحدة فى هذه الأيام، وهى أنها قطعـــاً، وبكل تأكيد، أرخص عاصمة فـــى أوروبا، ونفقات المعيشـــة فيها أقل من نصف مثلها فى باريس، بل أقل مـــن مثلها فى القاهرة بكثير.. (كان هذا فى عام 1949).

والغرفة بحمام التى تدفع أجراً لها فى باريس نحو الثلاثـــة جنيهات فى اليوم، لا تكلفك هنا أكثر من 120 قرشاً!

ووجبة الطعام فى مطاعم الدرجة الأولى فى مدريد لا تكلف أكثر من 60 قرشاً... فى حين أنها تكلفـــت فى باريس نحو جنيهين!.

وقال لى طالب مصرى من أعضاء بعثة الفنون الجميلة هنا إن فى مدريد فنادق طيبة يســـتطيع السائح أن يجد فيها طعاماً وشـــراباً وفراشاً بنحو 70 قرشاً فى اليوم الواحد.

والســـلع – وخصوصاً المصنوعات الجلدية– أرخص مـــن التراب، والحذاء الجيـــد المتقـــن الصنـــع يعرض فى واجهات المحال التجارية بسعر يراوح بين 60 و 120 بيزيتا! والبيزيتا تساوى قرشاً واحداً!.. أى أن أسعار الأحذية فى مدريد مثل أسعارها أو أقل فى دمياط!.

والذى أعجبنى هنا بوجه خاص هو قناعة الأسبان ورضاؤهم بالقليل... من العطاء أو (البقشيش).

تناولت الطعام فـــى أول يوم فى مطعم الفندق الذى نزلت فيه... ودفعت الحســـاب! وناولت (الجرسون) على سبيل العطاء ورقتين ماليتين حسبت أن كلا منهما من فئة خمس بيزيتات، أى أن جملتهما عشرة قروش...

وانحنى الجرســـون مثـــل رقم 8 يشكرنى شكراً جزيلاً!

ولكننى اكتشـــفت بعدها أننى لم أعطه سوى قرشين اثنين! وأن الورقتين كانتا من فئـــة بيزيتا واحدة! وحفظت الدرس!.

أما فى باريس فقد تمنح (الجرسون) مائة وخمســـين فرنـــكاً، أى نحو 15 قرشاً، فيضعها فى جيبه!.. وقد ينسى أن يشكرك! وإن شكرك فبكلمة واحدة تخرج وهى تعرج من بين شفتيه!.

والمتسولون هنا كثيرون، ولكنهم أقـــل (فنـــاً) بكثير مـــن زملائهم فى إيطاليا، وهم يســـتحلفونك بالقديسين والقديسات.. ولكن ذخيرتهم من أسماء أولياء الله أقل بكثير من ذخيرة إخوانهم الإيطاليين.

أما فى الإلحاح فإن الفريقين سواء.

ولكن شـــحاذى مدريد يقنعون بما قيمتـــه مليم! ويدعون اللـــه أن يدخلك جناته، آمين!.

أما إذا جسرت أن تجود على شحاذ فى باريس بأقل من عشرة فرنكات (أى قرش صاغ) فإنه يدعو لك بالجحيم ومع سرعة التنفيذ!.

* * *

والقـــوم هنـــا راضـــون بحالهم وقانعـــون.. والحياة كما قلت ســـهلة رخيصـــة، وأعمـــال التعميـــر والبناء والتجديد وإصلاح مـــا خربته الحرب الأهلية قائمة فى كل مكان، وهم يشيدون الآن على حدود المدينة الشـــمالية بناء ضخماً على مساحة نحو عشرة فدادين لكى يجمعوا فيه كافة وزارات الحكومة، إلا وزارة الطيران – ولا أفهم الســـبب– فإنهم يشيدون لها بناء خاصاً بالقرب من المدينة الجامعية...

مدريد.. نار الله الموقدة

وفى مدريد عمارة كبيرة شيدتها الحكومة لرجال الفنون على اختلاف ألوانها، فهى تضم بين طبقاتها السبع أندية للموسيقيين والمطربين والراقصين والرسامين، ولرجال الآداب والقلم.. إلخ.. لكل طائفة ناد خاص، أو طابق خاص!.

وبعد.. فإن حكم فرانكو هو الفاشية كما يقال.. وكان رخص المعيشة ورضاء المحكومين وقناعتهم من ثمرات هذا الحكم الفاشيستى فمرحبا بالفاشية وفى أية صورة تكون!.

❋ ❋ ❋

والأمر الوحيد الذى ينغص الحياة على أهل مدريد فى هذه الأيام هو قلة الماء! ماء الشرب وماء الاستحمام! والسبب فى ذلك أن مدريد تعتمد فى حاجتها من المياه على الأمطار والثلوج، ومياه الأمطار تجمع فى خزانات.. ولكن السماء شحت بأمطارها فى الموسم الماضى، ولم يسقط من الثلوج إلا أقل القليل.

واضطرت الحكومة أن تخضع توزيع الماء لما يشبه نظام البطاقات! ومن هذا فإن المياه لا تجرى فى المواسير إلا لمدة نصف ساعة فقط فى الصباح.. وعلى السكان أن يخزنوا حاجتهم فى الأوانى والمواعين لطول النهار!.

ولما كانت الكهرباء تعتمد فى توليدها على مساعدة المياه، فإن النور الكهربائى قد أخضع كذلك للقيود نفسها.. ومن هنا يقطع التيار خلال ساعات معينة فى كل يوم!.

ولكن الحكومة استثنت الفنادق الكبرى من حكم هذه القيود رحمة أو حرصاً على راحة ومرضاة السائحين، فالماء يجرى طول اليوم فى الفنادق، كذلك التيار الكهربائى..

ولقد دهشت فى أول الأمر – وقبل أن أعرف السبب– دهشت لكثرة الذين توددوا إلىّ من أبناء مدريد فى ردهة الفندق، وحرصوا على التعرف إلىّ..

والسبب بسيط!.. لكى أسمح لهم بالتمتع (بدش بارد) فى الحمام الخاص الملحق بغرفتى بالفندق!.

❋ ❋ ❋

ومدريد – مثل القاهرة وباريس– مملوءة بالمقاهى العمومية، والقوم هنا يمضون شطراً كبيراً من الليل فى هذه المقاهى، وقد تسمعهم يتبرمون ويسخطون بسبب أزمة الماء.. ويسبون ويلعنون – واللغة الأسبانية من أغنى لغات الأرض فى ألفاظ السباب– وهم يسبون هناك كل شئ.. تماماً كما هو الحال فى مصر!! ولكن لا شئ فى الحقيقة وراء هذا السباب! إن هو إلا ضيق الصدور.. وشدة الحر.. وبخار فى الهواء!.

❋ ❋ ❋

وأفقت صباح اليوم – وأنا لا أزال بين النعاس واليقظة– على أصوات خيل إلىّ معها أننى فى القاهرة لا فى مدريد!.

أصوات الباعة التى تصاعدت إلىّ من ميدان (الكورتز) مجلس النواب – الذى تطل عليه شرفة غرفتى هى أصوات باعة القاهرة نفسها..

نفس الأصوات ونفس النغمات ونفس المد والتمديد والترانيم.. التى نسمعها فى مصر تنادى على الخيار القشة اللى زى اللوبيا.. وبيض اليمام يا عنب!.

والخمسة قرون التى انقضت منذ تقلص حكم العرب عن هذه البلاد لم تمح عنها الطابع العربى.. والسبعة قرون التى ساد فيها حكم العرب شبه جزيرة أيبيريا قد خلفت وراءها طابعاً وطباعاً لن تقوى على محوها القرون!.

الغناء، الرقص، الموسيقى، هندسة البناء، الزخرف، العادات بل اللغة.. كلها تحمل الطابع الأصيل!.

وهذه السمراء الفاتنة، ذات العيون اللامعة الخاطفة.. ما أحراها أن تكون من فتيات حى المنيرة أو حى رأس التين!.

حتى الغزل و(البصبصة) وأساليب التقرب إلى حبيبة القلب... وطريقة إبداء الإعجاب عن طرق السب وحرق دين الملة كما يفعل إخواننا فى لبنان هى نفسها فى مدريد!.

وإذا كانت (البصبصة) فى ميدان العتبة الخضراء وشارع فؤاد تسمح بأن تقول: (يا لحم غالى ومتكلف!.. أو بلعن دين خفة دمك!) وفى لبنان يقولون: (يقصف لى عمرك! ما أخف دماتك!).

فهنا إذا أراد الفتى إبداء إعجابه بالغزل المار فى الطرق يقول: (كومينا) وإذا رأت الفتاة أن تبادله إعجاباً بإعجاب، وأن ترد عليه تحيته بمثلها.. ابتسمت له وهمست: (كومينو)! وكومينا... معناها قردة! وكومينو... قرد!.

نحن نقول فى القاهرة يا قطة! وهم فى مدريد يقولون يا قردة!.

❋ ❋ ❋

ليس فى إسبانيا مسجد واحد

حكم العرب إسبانيا أكثر من سبعة قرون، وخفقت راية الهلال فى سماء شبه جزيرة أيبيريا إلى أواخر القرن الخامس عشر، ومع ذلك لم يبق فى إسبانيا كلها إسبانى مسلم واحد... ولم يبق فى إسبانيا كلها مسجد واحد إلا مسجد قرطبة الذى أحاله الأسبان إلى كاتدرائية... ولكن (قبلة) الإمام لا تزال فى مكانها ! ولا يزال المنبر قائماً فى صدر المسجد حتى اليوم!.

وقلت لزميل صحفى إسبانى يعمل بجريدة (أ ب ج): أليس عجيباً أن مدريد ليس فيها مسجد واحد يؤدى فيه المسلمون فروض دينهم، ومع أن فى لندن وباريس وسواهما من عواصم أوروبا مساجد للمسلمين؟

ولأسبانيا مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا رعايا من المسلمين؟

قال الصحفى الأسبانى – ولو أنه ليس متأكداً من صحة ما يقول – قال: لعل السبب أن القانون فى إسبانيا لا يسمح بممارسة شعائر أية ديانة إلا الديانة الكاثوليكية!.

وأنا لا أصدق هذا، وإلا كان محرماً على البروتستانت والأرثوذكس وغيرهم ممارسة شعائر دينهم فى إسبانيا!.

وفى إسبانيا جالية عربية – معظمها من المراكشيين– وعلى رأسها التاجر المشهور السيد مبارك صاحب محل (البرايو) – أى الفردوس– وهو رجل كون ثروته الأولى فى تشيكوسلوفاكيا، ثم استوطن مدريد، وأصبح اليوم من أصحاب الملايين..

وأعتقد أن فى إمكان هذه الجالية العربية أن تشيد مسجداً فى مدريد إلا إذا كان صحيحاً ما قاله الصحفى الأسبانى من أن القوانين القائمة تحرم ذلك!.

❋ ❋ ❋

نافورة الدموع والأنين فى قصر الحمراء

وفى قصر الحمراء المشـــهور فى غرناطة نافـــورة يحرص الزائرون على مشـــاهدتها والوقوف طويـــلاً أمامها يصغون لرواية الدليل..

يقول الدليل، أو تقول الأساطير: إن أحد خلفاء الأندلس شك فى أن لزوجته – أو بعبارة أصـــدق إحدى زوجاته – علاقة مريبة بأحد الأمراء..

ودعا الخليفة المذكور الأمير، ودعا معه نساءه، وأهله وبناته وأولاده وخدمه وكل فرد من أفراد حاشيته، وكان عددهم ستة وثلاثين!! دعاهم جميعاً إلى وليمة فخمة أقيمت لهم حول النافورة.

ولمـــا انتهى الأميـــر وأهله وأفراد حاشـــيته من تناول الطعـــام، انقض عليهم حرس الخليفة وأمسكوا بهم وذبحوهم واحداً بعد واحد فى النافورة ذبح الشاة!.

وامتلأت النافـــورة بدمائهم حتى فاضت!.

ثم يقول الدليل: سيداتى وسادتي! وإذا جئتم هنا ليـــلاً، ووقفتم أمام هذه النافورة ســـمعتم بوضوح صوت بكاء وحشـــرجة تنبعث من النافورة، وهو صـــوت الضحايا الذين أمـــر بذبحهم الخليفة المخدوع!.

ويظهـــر أن العرب عندما نزلوا فى إســـبانيا توزعوا فـــى أنحائها طوائف طوائف.. فالذين كانوا من أصل سورى مثلا اســـتوطنوا غرناطة.. أما لبنانيو الأصل منهم فقد نزلوا فى أشبيلية..

والفلسطينيون والعراقيون اختاروا قرطبة..

وإنك لتمضى أســـبوعاً طويلاً فى غرناطة فـــلا تلقى بين أهلهـــا واحداً يضحك أو واحداً يبتسم!

ذلك لأنهم من أصل سوري! والأصل غلاب!.

وتلقى فى أشبيلية مرح اللبنانيين وجدهـــم ونشـــاطهم.. وكذلك جودهم ونظافة دورهم!.

أما فـــى قرطبة.. فيكثـــر العراك والشجار فى شوارعها..

* * *

فرانكو.. والطابور الخامس

ولعـــل هناك كثيـــرون لا يعلمون أن عالم الصحافة، بل عالم السياســـة والحروب، يديـــن للجنرال فرانكو بهذا التعبير الذى على كل لسان حتى ليوشك أن يأخذ مكانه فى قواميس كافة اللغات، و أقصد تعبير (الطابور الخامس).

تقدمت قوات فرانكـــو – فى أثناء الحـــرب الأهليـــة – صـــوب العاصمة مدريـــد، و كانـــت لاتزال تقيـــم فيها حكومـــة الجمهورية وتدافع عنها قوات الجمهوريين.

والتـــف المراســـلون الحربيـــون للصحف الأجنبية حول الجنرال فرانكو فى مقـــر قيادته يســـألونه عن مقدار أمله فى النجاح باقتحام اســـتحكامات مدريد..

وأجابهـــم فرانكـــو: إن طوابيرى الخمســـة كافية تماماً للاســـتيلاء على مدريد.

قال المراسلون الحربيون خمسة؟! الذى نعرفه أن هناك أربعة طوابير فقط هى التى زحفت صوب مدريد!.

وابتسم فرانكو وأجاب: نعم، ولكن طابـــورى الخامس فـــى داخل مدريد نفسها!.

يقصد الطابور السرى المؤلف من أنصاره وجواسيسه وعيونه المندسين بين أهل مدريد، والذين سوف يذيعون الرعب والفوضـــى والتدمير فى المدينة ســـاعة تهجـــم عليها قـــوات فرانكو، ويسهلون على هذه القوات مهمة اقتحام مدريد.

وذهبت مثلاً يضرب لقوات الأعداء السرية الموجودة وراء الصفوف أو بين الصفوف!.

وتحدثـــت فى هذا مـــع الصحفى الأســـبانى فقـــال إن هـــذا (الطابور الخامس) المزعوم لم يكن فى الحقيقة سوى (فشرة) أو لون من ألوان الدعاية قصد بها فرانكـــو أن يوهم الرأى العام العالمى أن أنصـــاره كثيرون فى داخل مدريد نفســـها – وهـــى يومئذ قلعة الجمهورية – فى حين لم يكن قد بقى فى مدريد يومئـــذ إلا كل جمهورى قح الأصل! وربما كان لفرانكو يومئذ حفنة من الأنصار والجواسيس، ولكنهم على كل حال كانوا أقل من أن يؤلفوا طابوراً أو ما يشبه الطابور!.

وكأنما أحس الزميل الأســـبانى أنه قد أفضى بما لا يســـتحب أن يفضى به إســـبانى مخلص لفرانكو لأنه استدرك

بســـرعة وأضاف: وعلى كل حال فإن إســـبانيا كلها – لا مدريـــد فقط – قد أصبحـــت اليوم تلتف حـــول الجنرال فرانكو!.

* * *

الكأس ثمنها أربعة مليمات!

ولكن صاحب البار يشيعك بتحيات الشكر إلى الباب:

فى ســـوق خضار ميـــدان العتبة الخضراء بـــار يقصد إليه الممثلون فى أيام الإفلاس.. وهى طبعاً أيام الســـنة، وهناك يروون ظمأهم بســـعر الكأس الواحدة خمسة مليمات! وكان هذا قبل الحرب وقبل ارتفاع الأسعار! أما اليوم فإن سعر الكأس قد ارتفع إلى قرشين..

ولكننـــى وجدت فى مدريـــد باراً أرخص بكثير من بار ســـوق الخضار.. قلت لصاحبـــى الكريـــم – وهو أحد موظفى مفوضية مصـــر فى مدريد – إننى أحب أن أرى الأحياء الوضيعة فى مدريد، وأن أجوس خلالها وأمشى فى حواريها.. فليست فنادق الدرجة الأولى، ولا مطاعم الدرجـــة الأولى، ولا الأحياء النظيفة، والشـــوارع الفســـيحة بالتى تكشـــف لك عن حقيقة أى شـــعب من الشعوب.

وقادنـــى صاحبى إلـــى (الباريو باخـــوس) أى الأحيـــاء الوضيعة فى (

الرائحة)!.. ليســـت على أنفي!.. فهى قريبـــة وابنة عم لرائحـــة بعض أحياء القاهرة!.

والأظافـــر القـــذرة!.. والملابس المهلهلة القذرة!.. والوجوه القذرة التى لم تعرف الماء والصابـــون منذ أيام.. ولكن السماحة تعلو سيماها.. والابتسام دائماً على شفاهها.. هى نفس الأظافر ونفس الملابـــس ونفس الوجوه القذرة الســـمحة، التى تلقاها فى بارات شارع محمد على بالقاهرة..

ووقفنـــا – أنا وصاحبـــى – أمام (البنك) أى رخامة البار..

وأقبلت علينا شقراء ضخمة الجثة مفتولة الذراعين تســـألنا أى شـــراب نطلب؟

وأجابها صاحبى بالأســـبانية التى درســـها وأتقنها فى أثنـــاء إقامته فى مدريد..

وملأت الشقراء كأسين ودفعت بهما أمامنا..

ثم قدمت طبقـــاً مملوءاً بالجمبرى على سبيل (المزة)..

وقضينا نحو ربع الساعة.. وأفرغنا كأســـينا كيفما اتفق.. أما الجمبرى فلم نمـــد له يداً ! ثم طلبنا الحســـاب، وإذا بفاتورة الحســـاب ثمانون سنتميا! أى ثمانية مليمات.. بما فيها طبق الجمبرى المسلوق!.

وتـــرك صاحبى بقشيشـــاً قدره بيزيتان أى قرشان..

قرشان بقشيش على حساب قدره ثمانية مليمات!.

وشكرتنا الشقراء المفتولة الذراعين بلسان إســـبانى مبين! وخرج صاحب البار يشيعنا شاكراً إلى الباب!.

وقلت لصاحبى وأنا أشد إلى صدرى نفسا من الهواء النظيف:

كل هذا الشـــكر من أجـــل ثمانية مليمات! تـــرى ماذا يفعلـــون لو كان حسابنا مثلا عشرة قروش؟

قال: فى هذه اللحظة يشيعك جميع خدم وخادمات البـــار إلى الخارج وهم ينشدون أغنية أســـبانية معناها: (أيها الضيف المحترم العزيز لقد أســـعدتنا جدا زيارتـــك، فلا تبخـــل علينا بهذه السعادة مرة أخرى)!.

ألا ليت لأصحاب المقاهى والبارات فى مصر مثل هذه الآداب العالية والذوق الحسن الكريم!.

* * *

الويل لمن تعجب به الراقصة ؟!

وفى شـــارع الكالا – أى قلعة وهى كما تـــرى كلمة عربية حـــرف نطقها الأسبان – فى الشارع المذكور مرقص أو كباريـــه صغير كوكبتـــه أو نجمته راقصة اسمها (لاكونشيتا). ولاكونشيتا ســـمراء هيفـــاء القد حلـــوة العينين، وصاحبة مزاج (ناري) خاص!.

إذا أعجبها أحد الحاضرين.. رقصت أمامه وله رقصها البديع المثير.. ومالت عليه بين حركات الرقص، وأرخت جدائل شـــعرها فوق وجهه!، فإذا ما انتهت من الرقص جلست معه إلى مائدته.. من غير استئذان! ولو كان الرجل جالساً مع زوجته أو ابنته أو صديقته! لا يهم! ولاكونشيتا لا تهتم كثيراً ولا قليلاً بالرسميات..

وتطلب لاكونشيتا الشراب لنفسها ولمن أعجبت به.. ولا يحســـبن أحد من زبائن صالات شـــارع عمـــاد الدين أن لاكونشيتا تطمع فى (العمولة)، أو تعمل هذا طمعاً فى المال، كلا، لأنها هى التى تدفع الحساب!، وعلى الرجل (المعجب به) – إذا ما انتهت الســـهرة أن يصحب لاكونشيتا إلى دارها..

أما إذا رفض الرجل أن يســـمح لها بالجلوس معـــه.. أو رفض أن يصحبها إلى دارها.. فالويل له ثم الويل له!.. لأن لاكونشيتا ســـوف تتناول جميع أقداح وصحون الكباريه وتحطمها على رأس المعجب به المذكور!.

ولقد ذكرتنى لاكونشيتا هذه السيدة من كواكب الســـينما المصرية كانت إذا ثملت، وتحركت فى صدرها الأشـــجان – أشجان الهوى طبعاً، وذكرى الحبيب المفقـــود! – تناولت ما على المائدة من صحون طعام وأقداح وقذفت بها وجوه الحاضرين!!.

وقد مرت الراقصة لاكونشيتا مراراً من أمام مائدتـــى دون أن تلتفت إلىّ، سامحها الله!.

الشركة السعودية المصرية للتعمير
Saudi Egyptian Construction Company
شركة مساهمة مصرية مملوكة للحكومتين السعودية والمصرية
secon
AL RIYADH
الرياض SECON
شروط سداد ميسرة
كمبوند سكني متكامل بالقاهرة الجديدة
كاملة التشطيب بمساحات تناسب جميع الاحتياجات
مول تجاري - حضانه - مسجد - نادي اجتماعي
الادارة العقارية - المركز الرئيسي
4 شارع طلعت حرب - القاهرة
(+2) 01089077744
(+2) 01089077755
(+2) 01001725068
www.secon-realestate.com
www.facebook.com/secon.com
19352
يمكنكم التواصل مع مكتب التسويق بالموقع
(+2) 01008600113
(+2) 01001725126

أجهزة Apple دلوقتي بالتقسيط مع CIB

اشتري أجهزة Apple من الموزعين المعتمدين وادفع
بالتقسيط على ١٢ شهر بدون فوائد مع بطاقة CIB الائتمانية.

CIB | Tradeline STORES | switch | iSHOP

العرض ساري حتى ٣١ يوليو ٢٠١٨
تُطبق الشروط والأحكام

١٩٧٧٧ ٧/٢٤ | WWW.CIBEG.COM | /CIBEgypt
بنك نثق فيه